الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

سـرت

جامعة التحدي

كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها

شعر قضاة غرناطة في القرن الثامن الهجري

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات التخصص العالي (الماجستير)في الأدب العربي

إعداد الطالبة : أزهار خليل زهـدي

إشراف الدكتور : محمد محمد الجطلاوي

للعام الجامعي 2007_2008 افرنجي

الاعداء

الرابع يكابد في ليلة جنان كلما جاز علي الزمان

الرابع يكابد في ليلة الابان كلما عصفر في الاباء

الرابع العطاء الذي يضيع الرابع حياتي اسي غايب

الليل يا غالية يا امي الحبيبة صعب رحيلي عن دياي لكنه ضروري

حاضرة في قلبي الى ان القاك في جنة الخلد ان شاء الله.

المقدمة :-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ..... وبعد.

يعنى هذا البحث بدراسة شعر قضاة مملكة غرناطة في القرن الثامن الهجري، وهو معد لنيل درجة الإجازة العليا ((الماجستير)) في الأدب العربي .

وكان من أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع ما وجدته فيه من جدة وطرافة فهو يربط بين الشعر والقضاة وعلى الرغم من البعد الظاهري الذي قد يظن ، فإن هؤلاء القضاة كان لهم علاقة وثيقة بالشعر بل كانوا جزءاً من الحركة الأدبية فى ذلك العصر .

وكان تعيين حدوده المكانية والزمانية بمملكة غرناطة في القرن الثامن الهجري راجعاً إلى أن مملكة غرناطة مثلت الحقبة الأخيرة من الوجود العربي في الأندلس، التي استمرت أكثر من قرنين ونصف القرن، وقد بلغت غرناطة أوج مجدها في هذا القرن، على الرغم من التحديات الكبيرة التي كانت تواجهها من صراعات داخلية وخارجية، ومع ذلك استطاع أبناؤها أن يرسوا قواعد حضارة زاهرة، وكان شعر القضاة أحد مظاهرها .

وقد عقدت العزم على أن أتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة وبخاصة بعد استشارتي لأهل العلم والاختصاص كالدكتور عبد الحميد الهرامة – عبر الاتصال الهاتفي – الذي أكد لي أهمية البحث للمكتبة العربية وبخاصة مع قلة الدراسات التي عنيت بجمع شعر قضاة غرناطة ودراسته.

والدكتور – محمد الحرباوي – رحمه الله تعالى–، وقد أبدى وقتها إعجابه بخطة البحث، وأثنى عليها بكلمة مكتوبة أعتز بها .

ب فقمت بتجميع المادة الشعرية للقضاة المعنيين بالدراسة من بعض المصادر القديمة وكتب المختارات ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها:

كتاب ابن الخطيب الكتيبة الكامنة فيما لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة وهو يحوي تراجم لأشهر القضاة ونماذج لأشعارهم، وكتابيه الإحاطة في أخبار غرناطة، واللمحة البدرية في الدولة النصرية .

وكتابا ابن الأحمر نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، ونثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، وكتاب – نهاية الأندلس والعرب المستعربين – للدكتور عبد الله عنان، وكتب الأدب العربي قديمها وحديثها.

وأهم ما واجهت من صعوبات أثناء الدراسة، عدم وجود مصادر تستقل بشعر قضاة الأندلس بعامة، وغرناطة بخاصة في القرن الثامن الهجري، كدواوين بعض القضاة التي عدت من المفقودات، ووجود ما تبقى من أشعارهم بصورة مشتّة بين كتب التراجم والمختارات، مما جعلني أفتقد مرجعية أحتكم إليها خاصة عند وجود اختلاف بين روايات الأشعار، فكان بذل الجهد المضاعف في تقصي الشعر في كل مصدر ذكر فيه، وقد تعذر حصولي على بعض الكتب الهامة للدراسة ككتاب فيرسة الحضرمي، وكتاب أزهار الرياض للقاضي عياض، كما كانت قلة الدراسات والأبحاث التي تناولت عصر القضاة وهو القرن الثامن الهجري، سواء تلك التي تتناول موضوعات عامة، أو ظواهر مجددة، أو التي تهتم بدراسة شخصيات معينة، وقد حاولت بمساعدة أستاذي المشرف، وتوجيهاته السديدة أن أتغلب على جانب كبير منها .

كما كانت لزيارتي للقاهرة، ودمشق دورها في الحصول على بعض المصادر الهامة في موضوع الدراسة، ككتاب كناسة الدكان بعد انتقال السكان، وأعمال الأعلام وهما لابن الخطيب ويعدّان من الكتب النادرة .

وقد اقتضت جوانب البحث في مباحثه المختلفة عددا من المناهج الدراسية، فقد اتبعت المنهج التاريخي في دراسة الحياة السياسية، والاجتماعية، والفكرية واتبعت المنهج الإحصائي عند تجميع، وتصنيف الأشعار وبحورها، واتبعت المنهج الفني عند دراسة الخصائص الفنية للشعر .

والدراسة جاءت في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة بحسب مقتضى توزيع المادة على النحو الآتي:

الفصل الأول بعنوان القضاة في مملكة غرناطة

وينقسم إلى مبحثين :-

المبحث الأول :- يتناول مملكة غرناطة والتعريف بها ، حيث يتم دراسة أحوالها السياسية، والاجتماعية، والفكرية بشيء من الاختصار، وذلك بغرض بيان تأثير تلك الحياة على القضاة ، فالشاعر نتاج لبيئته .

المبحث الثاني :- يتناول القضاء في مملكة غرناطة في القرن الثامن الهجري، حيث يتم التمهيد له ببيان معنى القضاء، ومكانته في الإسلام ثم يبين أحوال القضاة، وتقسيم خطة القضاء في الأندلس والتي عدت من أعظم الخطط، وسيبين هذا المبحث أيضا شروط اختيار القضاة ، ووظائفهم ، وخصاليم ، وملابسهم .

الفصل الثاني : وعنوانه شعر القضاة .

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : يتم فيه التعرف على العلاقة بين القضاة والشعر، وثقافة القضاة وتأثيرها في نتاجهم الشعري، ومقدار ما وصل إلينا من شعرهم، وأسباب فقدان جزء منه، والتعريف بأهم مصادر شعرهم .

.والمبحث الثاني : يتناول أغراض شعرالقضاة ، وبيان تنوع أغراضهم الشعرية، وبيان أيها كان أكثر حظا في شعرهم .

الفصل الثالث : دراسة فنية لشعر قضاة غرناطة تبعا للمحاور الآتية :-

1 – الموسيقى :- حيث يتم دراسة أوزان هذا الشعر وقوافيه والتصريع في مطالعه والكشف عن الموسيقى الداخلية للشعر والناتجة عن التكرار، والتجانس بين الحروف .

2 – اللغة :- حيث تدرس لغة الشعر من حيث السهولة والسلاسة ، ومعرفة العوامل المؤثرة في تحديد طبيعة الألفاظ، وبناء العبارات.

3 _ التصوير الفني:- حيث يتم دراسة هذا الشعر من حيث الصورة الفنية ، وأنواعها،وأهم وسائل رسمها في هذا الشعر،

4 –بناء القصيدة من حيث الابتداء، والمطلع، والتخلص وحسن الخروج، وختام القصيدة ، وبيان مدى الاعتناء بالمطلع، والابتداء.

ثم الخاتمة وتضمنت أهم ما يتوصل إليه البحث من نتائج .

وأخيرا... أرى لزاما على أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة ، في سبيل إنجاز هذا البحث وإخراجه على صورته .

وفي مقدمة هؤلاء أستاذي المشرف الدكتور_ محمد الجطلاوي الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث ، فكانت لتوجيهاته أكبر الأثر في إثرائه، وإخراجه على صورته هذه ، فلطالما شجعني على العمل ، وأمدني بمعلوماته وخبراته فجزاه الله خيرا .

وإن كانت يد المنون قد حرمتنا من مشاركة أعزاء علينا ، إلا أنني اعترف لهم بالجميل والعرفان في هذا اليوم، فكم تمنيت مشاركتهم لي في هذه اللحظات ، إنها أمي الحبيبة الغالية التي سهرت الليالي معي تشد من أزري ، وتقوي من عزمي ، وتدعوا الله لي بالنجاح

والتوفيق،رحمة الله تعالي عليها وجمعني وإياها في جنة النعيم والأستاذ_ سامي كمال شـــويدح ، الذي كان نعم الأخ والصديق ، فهو لم يدخر جهدا في سبيل مد العون والمساعدة لي ـــ رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته، والدكتور – محمد الحرباوي– رحمه الله تعالى .

كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى الدكتور ربيع أبو ريان – زوجي ورفيق دربي– الذي كـــان شديد الحرص على الدفع بي إلى الأمام، وتشجيعي كلما خبت شعلة العمل والاجتهاد .

ولا يفوتني أن أسجل شكري للأخوة الموظفين بالمكتبة المركزية بجامعة التحـــدي وأخـــص منهم الأستاذ زين، وإلى من قام بطباعة هذا البحث وبذل جهدا معي في مراجعتـــه وتصـــحيحه وإلى جميع أفراد أسرتي الذين بذلوا جهدا في تشجيعي على العمل . فلهم مني جميعـــا جزيـــل الشكر والوفاء .

وأمل أن يكون الجهد مثمرا فإن كان ذلك فتلك بغيتي، وإن كان غير ذلك فشفيعي، أني لم آل إلى الأحسن جهدا ، وحسبي ثوابا في مشاركتي شرف البحث، وبذل الجهد .

والله ولي التوفيق

((وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب))

الفصل الأول

مملكة غرناطة والقضـــاء فيها

المبحث الأول:
معالم الحياة في مملكة غرناطة

المبحث الثاني:

القضاء والقضـاة في مملكة غرناطـة

المبحث الأول:

معالم الحيـاة في مملكة غرناطـة

- غرناطة (اسمها - موقعها - ولاياتها)

- الحياة السياسية في مملكة غرناطة

- الحياة الفكرية في مملكة غرناطة

- ملامح الحياة في المجتمع الغرناطى

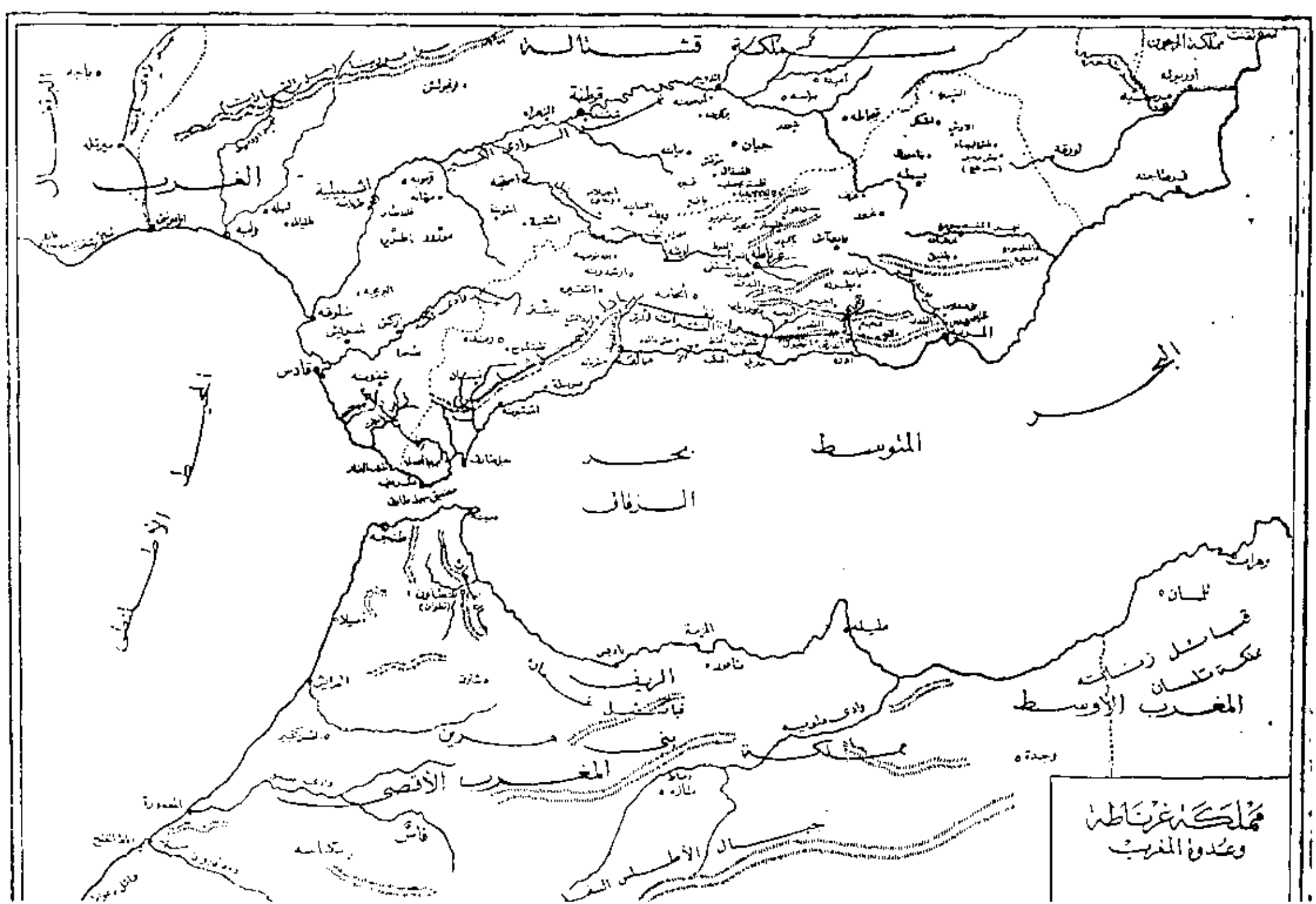
مملكة قشتالة
قرطبة
الغرب
البحر
المتوسط
بحر
الزقاق
المحيط
الأطلسي
الريف
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
مملكة غرناطة
وعدوة المغرب
فاس
تلمسان
بجاية
الجزائر
وهران
مليلة
وجدة
تازة
سبتة
طنجة
قادس
إشبيلية
غرناطة
المرية
بلنسية
جيان
بياسة
أندوجر
ملكة الجون
أربونة
برشلونة
سرقسطة
الأندلس
جبال الأطلس

غرناطة:-

اسمها :- يقال عنها غرناطة، وإغرناطة، وهما اسمان أعجميان، كما سميت قديما شام الأندلس، أو دمشق الأندلس " فهي شامية في أكثر الأحيان" [1]

موقعها:- [2]

امتددت مملكة غرناطة من ساحل جبل طارق جنوباً وحتى ألمريـة علـى سـاحل البحـر الأبيض المتوسط، ومن الداخل امتدت حتى سفوح سلسلة جبال رنده، وجبال المرية، وهضبات البشرات، من الشمال تحدها ولايات جيان وقرطبة، أشبيلية، ومن الشرق تحدها ولاية مرسية، وشاطئ البحر الأبيض، ومن الغرب تحدها ولاية قادس، وأرض الفرنتيرة، و يخترقها عدة أنهار أهمها نهر شنيل، ونهر أندرش، ونهر حدرة، والجبال تخترقها من الوسط مثل جبال شلير (جبل سبيرانفادا)، وهضاب البشرات.

ولاياتها:-

ضمت مملكة غرناطة مدناً وقرىً كثيرة أهمها : ألمريـة، ومالقـة، و وادى آش، وبسطة، والمنكب، وشلوبانية، ولوشة، وبرجة، وأندرش، ورندة، وبلش، بالإضافة إلى جبل طارق وطريف. [3]

1- ينظر في اسم غرناطة ابن الخطيب لسان الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي - القاهرة - طبعة رابعة - 2001م ، 1/ 91 ، واللمحة البدرية في الدولة النصرية - منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ،طبعة ثالثة، 1980 م ، 21-22. وقد ذكر القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي- "أن غرناطة تشبه دمشق الشام وتفضل عليها بأن مدينتها مشرفة على غوطتها وهي مكشوفة من الشمال " ينظر- صبح الأعشى في صناعة الانشا، وزارة الارشاد والثقافة، المؤسسة المصرية 5/214

2- ينظر في موقعها ابن الخطيب - اللمحة 22-23، والإحاطة 1/93-94، والحميري - محمد بن عبد الله بن عبد المنعم - الروض المعطار في خبر الأقطار- نشر ليفي بروفنسال - الجزء الخاص باسم (صفة جزيرة الأندلس) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1937 م ، والقلقشندي - صبح الأعشى 5/208 .

3- ينظر ابن الخطيب - الإحاطة 1/91

الحياة السياسية في مملكة غرناطة:-

يُعد محمد بن الأحمر[1] مؤسس مملكة غرناطة، حيث دخل غرناطة في رمضان عام (635 هـ)، فصارت منذ ذلك العام تسمى بمملكة بني الأحمر نسبة إليه، وقد حاول محمد بن الأحمر تثبيت أركان مملكته بأن أعلن البيعة لابنه الأكبر [2] وذلك عام(662 هـ)، وبذلك صار حكم البلاد وراثيا، كان يعقد ابن الأحمر اجتماعًا للعامة مرتين أسبوعيا، تُرفع إليه الشكاوي والمظالم،[3] تظاهر بطاعة ملوك أفريقيا والمغرب مما ساعده على الحصول على معونات مادية مكنته من النهوض بمملكته .

من أهم ما قام به بناء حصن الحمراء وإمداده بالماء[4]وعمّر ابن الأحمر فشارف الثمانين، وتوفي عام (671هـ) خلفه من بعده ابنه محمد[5] المعروف بالفقيه لما عرف عنه من الصلاح، وانتحاله طلب العلم، والاهتمام بقراءة القرآن،[6] و"جرى على سنن أبيه، من اصطناع أجناسه، ومداراة عدوه "[7] استمرت فترة حكمه تسعة وعشرين عاماً مُلئت بالأحداث، وقد تكاثرت عليه الفتن، فبذل من الدهاء وسعة الصبر وشدة الحزم، ما جعله يقضي على هذه الفتن وينتصر على أعدائه وثبت بذلك ملكه[8] فتنظم دواوين دولته، وأنجز من العمران مضيفا إلى قصر الحمراء ما لم يُنجز أيام أبيه، كما شجع الشعراء والأدباء، وكان يقول الشعر ويُشجع قائليه. [9]

---

1. هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن حبيس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري وكنيته (594هـ) ، وأصله من أرجونة ، لقب بالغطيب بالك . ينظر ابن الخطيب ، اللمحة البدرية 42- 43، والإحاطة في أخبار غرناطة 92/2 .
2. ابن الخطيب ، اللمحة البدرية 33- 48، والإحاطة 90/2 .
3. المصدر السابق 44 .
4. المصدر السابق 43 .
5. هو محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن خميس الأنصاري الخزرجي ، ولد عام(633 هـ) وتوفي عام (761 هـ) ينظر ابن الخطيب ، اللمحة 50، والإحاطة 506/1
6. ينظر ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد - تاريخ ابن خلدون - دار الكتاب اللبناني ،1968 م ، 172/4
7. ابن الخطيب - الإحاطة 557/1
8. ابن الخطيب - اللمحة 50 ،والإحاطة 558-557/1 .
9. المصدران السابقان اللمحة 57، والإحاطة 506/1- 564.

تولى الملك بعد وفاته ولده أبو عبد الله- محمد الثالث- الملقب بالمخلوع،[1] نسج على منوال أبيه وجده من مهادنة الأعداء، فجدد معاهدة الصلح (الصلح الثابت والصحبة الصادقة)[2] بينه وبين ملك أراغون، رغم ذلك فإنه لم يكن سياسيا محنكا، ولم يستطع القيام بشؤون مملكته، فلم تستقر على حال، ولم يهدأ لها قرار مما شجع وزيره محمد اللخمي[3] على السيطرة على أمور الدولة فقامت ثورة داخلية بقيادة أبا الجيوش نصر[4] بمساعدة رجال الدولة الذين سئموا ظلم اللخمي، كان ذلك عام (708 هـ) يوم عيد الفطر، حيث أجبر محمد الثالث على التخلي عن ملكه فخلع نفسه أمام الأشهاد[5] وسيق إلى المنكب منفيا لمدة خمسة أعوام، حتى توفي.[6] ومن أهم أعماله خلال فترة حكمة بناء المسجد الكبير بالحمراء.[7]

تولى نصر زمام الحكم فاشتهر بدماثة الأخلاق وحبه للسلام، كان أديبا عالما " يخط التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة الطريفة ويصنع الالات العجيبة بيده "[8] رغم ذلك لم يحالفه الحظ " خلال فترة حكمه " فكانت أيامه كما شاء الله أيام نحس مستمر ... شملت فيها المسلمين الأزمة ، وأحاط بهم الذعر وكلب العدو". [9] فقد تحالفت مملكتا قشتالة و أرغوان لأول مرة ضد مملكة غرناطة، وعقدتا العزم على زعزعة أركان الدولة ، فشنوا حربهم على الجزيرة الخضراء

1- هو محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر الخزرجي ، لقب بالمخلوع لخلعه من السلطة ، ولد عام(655 هـ) ، توفي عام (713 هـ) ينظر ابن الخطيب - اللمحة 60 ، والاحاطة 544/1

2- ينظر حماده - محمد ماهر - الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقيا ، مؤسسة الرسالة ، طبعة ثانية 1986 م ، 250-252، وينظر عنان - محمد عبد الله - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، البيئة المصرية العامة للكتاب 2001 م ، 111

3- هو محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحي بن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين ولد عام (660 هـ) وتوفي عام (708 هـ) يوم عيد الفطر ، ينظر ابن الخطيب - الإحاطة 444/2

4- هو نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر بن خميس الخزرجي الأنصاري ، يكنى أبا الجيوش ، ولد عام (686 هـ) ، توفي عام (722 هـ) قام بالثورة على أخيه عام (708 هـ) ينظر ابن الخطيب – اللمحة 70، والإحاطة 334/3

5- ابن الخطيب - الإحاطة 552/1 – 553

6- ابن الخطيب - اللمحة 67، و الإحاطة 551/1 ، وقيل إنه اغتيل غرقا في بركة ساعد اللمحة 68 .

7- ينظر ابن الخطيب - اللمحة 62 و الإحاطة 546/1

8- ابن الخطيب - اللمحة 70.

9- المصدر السابق نفسه .

عام(709هـ)[1] فاحتلوها دون عناء، مما شجعهم على الزحف نحو جبل طارق ، ومحاصرته حصاراً شديداً من البر والبحر بضعة أشهر حتى أُرغم المسلمون على التسليم. [2]

قامت ضده ثورة تزعمها صاحب مالقة فرج بن إسماعيل (عمه) نتيجة لمهادنة الأعداء ودفع الجزية لهم وكراهية شعبه لذلك، تمكن فرج بن إسماعيل من النصر في ثورته ضد ابن أخيه واختير للعرش الأمير أبو الوليد إسماعيل ، [3] أجبر أبا الجيوش على التنازل عن عرشه، وغادر غرناطة إلى وادي آش حتى توفي ودفن بجامع القصبة ثم نُقل إلى مقبرة السبيكة في غرناطة.[4] تسلم إسماعيل بن نصر مقاليد الحكم في غرناطة فعمد إلى إقامة الحدود بإصدار أوامر بمنع الخمر، ومنع اختلاط النساء بالرجال في الحفلات والولائم، وقام بمحاربة البدع والفساد الأخلاقي، وتكريم أهل البيت، وله القول المعروف "أصول الدين عندي (قل هو الله أحد) وهذا "مشيراً إلى سيفه [5] يعني إقامة الحدود وشرع الله .

خلال فترة حكمه ازدادت حركة الجهاد ، فبادر إلى تحصين الجزيرة الخضراء بتجهيز مجموعة من الأساطيل للدفاع عنها وحمايتها، واستنجد بالسلطان المريني طالباً العون والمساعدة، إلا أن هذا الأخير اشترط عليه تسليم القائد عثمان بن أبي العلاء شيخ الغزاة المغاربة بالأندلس ، وهو شرط لم يستطع إسماعيل النزول عنده خوفا من عواقب الأمور،ولم يمض وقت طويل حتى زحف القشتاليون على غرناطة بجيش كبير، التقى مع جيش المسلمين

1- ينظر ابن الخطيب اللمحة 75، والإحاطة 339/3 .

2- ينظر ابن الخطيب ـ اللمحة 75.

3- هو إسماعيل بن فرج بن إسماعيل من يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي يكنى أبا الوليد ولد عام (677) هـ وتوفي عام (725هـ) ينظر ابن الخطيب ـ اللمحة 78،والإحاطة 377/1 .

4- في رأي الدكتور يوسف هرحات في خطأ حين ذكر أنه توفي في السنة نفسها أي سنة 713 هـ وهذا غير صحيح ، يراجع كتابه غرناطة في ظل بني الأحمر ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ،طبعة أولى 1982 م ، 40، و ابن الخطيب اللمحة 76، والإحاطة 311/3 للمقارنة .

5- ابن الخطيب ـ اللمحة 81، والإحاطة 387/1 .

بقيادة أبي سعيد عثمان، وكان عدد جيش المسلمين أقل من جيش العدو، إلا أن النصر كان حليفا للمسلمين بعد قتال دام ثلاثة أيام، فكان ذلك اليوم يوماً مجيداً في تاريخ غرناطة[1] .

وعلى أثر ذلك الانتصار العظيم توالت غزوات السلطان إسماعيل لأراضي النصارى فهاجم عام (724 هـ) مدينة بيانة المحصنة، وحاصرها بقوة واستخدم المسلمون سلاحا جديدا،[2] مما أثار الرعب في نفوس النصارى، فأرغموا على الاستسلام قسرا عام (725 هـ) و اتجه السكان إلى مدينة مرتش[3] التي لم تصمد أمامه فكانت هذه أعظم غزواته وآخرها ، فبعد ثلاثة أيام من عودته طعنه ابن عمه وذلك بباب قصره بغرناطة فقضى عليه[4] .

نال السلطان الغرناطي إسماعيل شهرة عظيمة لما تميز به من حزم وعزم وإقبال على الجهاد، والقضاء على المنكرات، ومحاربة الفساد، فكان موته فجيعة قوية "عظمت فيه فجيعة المسلمين لما تكلوا من جهاده وعزمه وبلوه من سعده وعزّة نصره، فكثرت فيه المراثي، و تراهقت في شجوه القرائح، وبكاه الغادي والرائح"[5] .

ومن المراثي التي أنشدت على قبره قول بن شبرين:[6] [7]

(الكامل)

عزّ العزاء فمـــا الذي نُبديه ... في الحزنِ إلاّ بعضَ ما نُخفيه

يا أيّها الغـــادي يَحثُّ قَلوصه ... إيه عـــن الخَبَر المُرجّمِ إيه

أودَى أمير المُســـلمين فكيفَ لا ... نَأسَى عليـــه ، وكيف لا نَبكيه

قَدْ كان للإسْـــلام عَين بَصيرة ... فأصابت الإسْـــلامَ عيـــنٌ فيـــه

1- ينظر ابن الخطيب- الإحاطة 1/389 ، وعنان - نهاية الأندلس 117 - 118 .

2- (الآلة العظيمة المتخذة بالنفط كرة حديد)- ينظر ابن الخطيب - اللمحة 85، والإحاطة 1/390 ، وعنان - نهاية الأندلس 120 .

3- بلدة أندلسية جنوب غرب مدينة جيان- ينظر عنان - نهاية الأندلس 391 .

4- ينظر ابن الخطيب - اللمحة 87- الاحاطة 1/392، وأعمال الأعلام فيما بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام- تحقيق ليفي بروفنسال- مكتبة الثقافة الإسلامية - طبعة أولى -2004، 295 .

5- ابن الخطيب- اللمحة 89 .

6- هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن شبرين ، أصله من أشبيلية،من أئمة النقل على الشعر ، توفي عام(747هـ)،ينظر ابن الخطيب - الاحاطة 2/240

7- ابن الخطيب- اللمحة 90 .

عقب وفاة السلطان إسماعيل الأول خلفه ابنه أبو عبد الله محمد الرابع[1] وتمت له البيعة وهو ابن العاشرة من عمره، فقام بأمر الدولة وزير أبيه أبو الحسن بن مسعود، لكنه توفي بعد أشهر قلائل، فتولى الأمر من بعده وكيل أبيه محمد بن أحمد بن المحروق وكان من الوزراء المستبدين الراغبين في السلطة والتسلط، لكنه لم يدم طويلا فقُتل عام (729 هـ). [2]

تولى محمد الرابع عرش أبيه، فقام بتجديد معاهدة الصداقة التي كانت بين غرناطة وأراغون وذلك عام(728 هـ). [3]

في فترة حكمه قام باسترجاع الجزيرة الخضراء وجبل طارق،[4] وما كاد محمد الرابع يعود إلى غرناطة بعد نصره على القشتاليين حتى اغتيل على يد مجموعة من المتآمرين بتحريض من بني العلاء. [5]

خلفه من بعده أخوه أبو الحجاج يوسف الأول،[6]وعاشت غرناطة على عهده عصرها الذهبي، حيث أحسن مداراة ذوي الشأن فجاء نسيجا وحده ، وقد عقد معاهدة صلح جديدة مع أراغون عام (735 هـ)[7]،وخلال فترة حكمه قامت المعركة الشهيرة بطريف بين جيوش النصارى، وجيوش غرناطة والمغرب معا ، وكان ذلك عام (741 هـ) وكان النصر حليفا للنصارى، وانهزم المسلمون هزيمة كبيرة، [8] انصرف السلطان يوسف الأول بعد هزيمته مع النصارى إلى تنظيم شؤون مملكته ورعايتها، فقد كان من أعظم ملوك بني نصر وأبعدهم همة وأرفعهم

1- هو محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن حميس بن نصر الخزرجي غرناطي بجهة البيت والفروسة ، مغرما بالشعر والأدب .ولد عام(715 هـ) ، وتوفي عام (733 هـ) ينظر ابن الخطيب اللمحة 90، والإحاطة 532/1 .

2- ابن الخطيب اللمحة 94،و الإحاطة 533/1،و عنان ، نهاية الأندلس 121 .

3- ينظر عنان ،نهاية الأندلس 121.

4- ينظر ابن الخطيب ،اللمحة 92- 93، وعنان ،نهاية الأندلس 124 .

5- ينظر ابن الخطيب ،اللمحة 96-97، والإحاطة 540/1-541 .

6- هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري استلم عرشه الثقيلة وعقب كلامه .ولد عام (718 هـ) وتوفي عام 755 هـ) ، وتولى الحكم وهو لم يتجاوز السادسة عشر ، وقد أخطأ الدكتور فرحات حين ذكر أنه تولى الحكم وهو ابن ستة وعشرين عاما ، يراجع غرناطة في ظل بني الاحمر 43، وابن الخطيب اللمحة 102 والإحاطة 319/4- والمقارنة بينهم ، ترجمته في ابن الخطيب اللمحة 111 ، والإحاطة 318/4

7- ينظر ابن الخطيب- كناسة الدكان بعد انتقال السكان- تحقيق محمد كمال شبانة المؤسسة المصرية العامة للتأليف- دار الكتاب العربي 163.

8- ينظر ابن الخطيب ،اللمحة 110، والإحاطة 331/4-332 ،و كناسة الدكان 164

خلالا، وكان عالماً شاعرا يحمي الآداب والفنون، وهو الذي أضاف إلى قصر الحمـــراء أعظـــم منشآته وأروعها[1] كما بنيت في أيامه المدرسة اليوسفية [2] مما شجع علـــى ازدهـــار الحركـــة الفكرية في غرناطة .

قتل يوسف الأول وهو في ريعان الشباب في يوم عيد الفطر عام (755 هـــ)على يد " رجـــل ممرور رمى بنفسه عليه وطعنه بخنجر ... ولم يستقر به إلاّ وقد قضى– رحمه الله – وأخـــرج ذلك الممرور للناس فمزّق ثم أحرق بالنار"[3]

تولى بعده ابنه محمد بن يوسف [4] الذي افتتح أيامه بالسلم والهدنة حيـــث أطلـــق ولاءه لملـــك قشتالة، وسعى لإقامة علاقة حسنة معه، كما حافظ على صداقته مع بني مرين. [5]

شب خلاف بين مملكتي قشتالة وأرغوان عام (759 هـــ)، وحرص محمد الخامس أن يثبـــت ولاءه لقشتالة بإرســال ثلاث فرق لمساعدة قشتالة، ووضع قواعـــده البحريـــة تحـــت تصـــرف أسطوليم إلا أن محمد الخامس لم يتمكن من إتمام مهمته في مساعدة قشتالة ، حيث خلـــع عـــام (760هـــ) وأبعد عن الحكم[6] ثم خلع محمد الخامس إثر فتنة نشبت بينه وبين أخيه إســـماعيل، يرجع سببها إلى أن أبا الحجاج السلطان يوسف الأول كان قد رشح للحكم بعده ابنه إســـماعيل، ثم عدل عن رأيه فرشح ابنه محمداً الخامس وصار الحكم إليه بعد وفـــاة أبيـــه، فحجـــب أخـــاه إسماعيل في بعض القصور، أثناء ذلك سعت أم إسماعيل للاستيلاء على الحكم لولدها بتحريض زوج ابنتها، وهو ابن عم السلطان ، على خلع محمد الخامس، وتمكين إســـماعيل مـــن الحكـــم منتهزين غيابه عن غرناطة، حيث نزلوا قصره وقتلوا حاجبه، واعتقلوا وزيره ،وأعلنوا البيعـــة

1- ينظر عنان- نهاية الاندلس 125 ، والآثار الاندلسية الباقية في أسبانية و البرتغال- مؤسسة الخانجي القاهرة- طبعة ثانية -1961 م- 190

2- ينظر ابن الخطيب- اللمحة 109 وكناسة الدكان 155-156

3- ابن الخطيب- اللمحة 110

4- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي غرف بالغني بالله ومحمد الخامس ولد عام (739 هـ) ، وتوفي عام (793 هـ) ينظر ابن الخطيب- الإحاطة 13/2

5- ينظر ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون 332/7

6- ينظر ابن الخطيب- اللمحة 120، والإحاطة 26/2، وابن خلدون - تاريخ ابن خلدون 306/7

لإسماعيل، وحين بلغ الخبر أسماع محمد الخامس جمع حوله أهالي مدينة وادي آش وأقام بينهم، وحين وصل الخبر إلى السلطان المغربي أرسل وفداً إلى إسماعيل يطالبه بالسماح لمحمد الخامس بالانتقال إلى المغرب، فكان له ما أراد، وظل محمد الخامس في فاس مترقباً الفرصة لاسترجاع ملكه.[1]

تولى إسماعيل الثاني[2] الحكم بعد خلع أخيه وقد كان حسن الصورة " منحطا في درك اللذة ، قاصر الهمة " [3] لم يُحسن إسماعيل سياسة الرعية " ولم يكن في أيامه ما يسيطر لضيق مجالها عن ذلك " [4] فقد دامت فترة حكمه لمدة عام واحد فقط .

ثار عليه ابن عمه محمد بن إسماعيل [5] فقتله واستولى على الحكم لكنه لم يحظ برضا ملك قشتالة لانقطاعه عن دفع الجزية له، والتي كان يؤديها محمد الخامس، اتصل ملك قشتالة بمحمد الخامس يدعوه لدخول غرناطة ووعده بالمساعدة، فوجدها محمد الخامس فرصة عظيمة لإعادة ملكه المسلوب. وتم له ذلك حين سقط محمد بن إسماعيل فريسة للخوف والفزع فلجأ إلى ملك قشتالة الذي قتله [6] واستعاد محمد الخامس ملكه السابق حيث حكم غرناطة للمرة الثانية، كانت فترة حكمه يسودها الازدهار والهدوء النسبي، وأكثر من العمران والإنشاءات، واستعاد الجزيرة الخضراء وعدداً من الحصون.[7]

توفي محمد الخامس عام (793 هـ) وقد أوصل مملكته إلى أوج عظمتها.

1- ينظر ابن الخطيب اللمحة 120-122، والإحاطة 2/26-29 ، 1/398-399.
2- هو إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الخزرجي ـ كان فتى وسيما بدنيا وك عام (740 هـ) وتوفي عام 761 هـ)، ينظر ابن الخطيب ـ اللمحة126، والإحاطة 398.
3- ابن الخطيب ـ اللمحة 127
4- المصدر السابق 128
5- هو محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ـ ولد عام (732 هـ) وتوفي عام(763 هـ) ينظر ابن الخطيب ـ الاحاطة 1/523
6- ينظر ابن الخطيب ـ اللمحة 129
7- ينظر ابن الخطيب ـ الإحاطة 2/50- 51، و أعمال الأعلام 308- 309.

وقد أُعتبر من الغرائب استمرار مملكة غرناطة طوال مدة قرنين ونصف القرن[1] إلا أنها استمرت تحمل لواء الإسلام ومشعل الحضارة في ظل بني الأحمر، حتى تم تسليمها على يد أبي عبد الله محمد إلى قادة قشتالة وذلك عام (897 هـ). [2]

وبسقوط غرناطة انتهى الوجود العربي الإسلامي في بلاد الأندلس فطويت صفحة ملئت بالأمجاد والمفاخر ... كان الصراع على السلطة، وكرسي الحكم هو المعول الأول في هدم هذه الحضارة .

تلك كانت غرناطة خلال فترة الحكم التي امتدت من عصر مؤسسها محمد بن الأحمر حتى أبرز سلاطينها محمد الخامس ، وبنهاية حديثنا عن الجو السياسي الذي ساد غرناطة خلال القرن الثامن نلجأ إلى الحديث عن الأجواء الفكرية والاجتماعية التي سادتها .

---

1. ينظر في أسباب سقوط غرناطة: الحجي، عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، دمشق، ودار القلم الكويت ، الرياض ، طبعة أولى 1976، 519- 523
2. ينظر عنان، نهاية الأندلس 198

الحياة الفكرية في مملكة غرناطة:-

أخذت الحياة الفكرية في الثبات، والاستقرار في مملكة غرناطة بعدما استقر أمرها وتوطدت دعائم ملكها، وانتقل إليها الأهالي كموطن جديد ووحيد لهم ، ومما ساعد على نمو الحركة الفكرية ورقيها تشجيع ملوك بني الأحمر للأدباء والشعراء، إذ كانوا بصورة عامة حماة للفكر والأدب ، فالكثير منهم كانوا يعدّون من جلّة الأدباء والعلماء ، فقد اشتهر مؤسس دولتهم محمد الأول بحمايته للعلم والأداب ، " فكانت له أيام خاصة يستقبل فيها الشعراء، فينشدونه من بدائع قصائدهم، وأشعارهم "[1] كما كان ابنه محمد الفقيه عالما ضليعا، يؤثر مجالس العلم والعلماء، ويقرض الشعر ويجزي عليه، [2] واشتهر ببراعة وحسن التوقيع، وكذلك الحال مع ابنه محمد المخلوع وله من الشعر الظريف ما أورد منه ابن الخطيب قوله:[3]

(السريع)

وَاعَدني وَعداً وَقَدْ أَخْلَفَا	أَقَلّ شَيءٍ في المِلاحِ الوَفَا
وَحَالَ عَلَيَّ عَهْدِي وَلَمْ يَرعه	مَا ضَرَّهُ لَو أَنَّهُ انصَفَا
مَا بَالُهَا لَمْ تَتَعطفْ عَلَيَّ	صَبٍّ لَهَا مَا زَالَ مُستَعطِفاً

وكذلك كان محمد الرابع يحب الأدب ويرتاح إلى الشعر، وينبه على العيون، ويلم بالنادرة الحائرة [4].

---

1. ابن الخطيب- اللمحة 44 .
2. ينظر ابن الخطيب- اللمحة 50 .
3. المصدر السابق 62 .
4. ينظر ابن الخطيب - الاحاطة 532/1 .

وقد بلغ الاهتمام بالحياة الفكرية من آداب، وفنون ذروته في عصر السلطان يوسف الأول فقد كان عالماً محباً للآداب والفنون، وفي عهده أنشئت المدرسة " العجيبة بكر المدارس "[1] فتسابق العامة إلى طلب العلم حتى صارت غرناطة مقصد كل طالب وعالم، وأصبحت منهلا للعلوم والاداب .

ومن أسرة بني الأحمر أشتهر الأمير إسماعيل بن يوسف الثاني[2] حيث عرف بأدبه . وبارع نثره .

ومن مظاهر تشجيع هؤلاء الملوك للأدب والشعر أن قلدوا كثيرا من الأدباء والشعراء مناصب وزارية هامة مما ساعدهم على وفرة العطاء الفكري، من أمثاليم الوزير ابن الحكيم اللخمي وكان وزيراً لمحمد الفقيه.

وابن الجياب [3] الذي أسندت له الوزارة في عهد يوسف الأول، وابن الخطيب [4] الشاعر والكاتب والمؤرخ الكبير .

ومما يزيد الأمر وضوحاً وجلاءً حين الحديث عن الحياة الفكرية في مملكة غرناطة أن نعدد مجالات الأنشطة الثقافية، والعلمية التي ذاع صيتها في غرناطة، ذاكرين أهم من أشتهر من رجال غرناطة في هذه المجالات ، مراعين تقسيم الحياة الفكرية إلى فترتين هما فترة النمو والنضج وهي تبدأ من أواخر القرن السابع الهجري وحتى أوائل القرن الثامن الهجري، ثم فترة الازدهار والاستقرار وذلك في أواسط القرن الثامن الهجري وأواخره .

---

1. ابن الخطيب ، اللمحة (10) .
2. هو اسماعيل بن يوسف بن محمد المعروف بابن الأحمر ، كان أديبا وشاعرا ، له عدة تواليف ، ينظر ترجمته في مقدمة كتابه نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة 1967م ، 61.
3. هو علي بن محمد بن سليمان بن الجياب الأنصاري ولد عام (673 هـ) وتوفي عام (749 هـ) ينظر ترجمته ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة فيما لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، لبنان 1983م ،183
4. هو محمد بن عبد الله السلماني اللوشي ، المعروف بابن الخطيب ولسان الدين ولد عام (713هـ) وتوفي عام(776هـ) له مصنفات عدة ينظر ترجمته في ابن الاحمر نثير فرائد الجمان 68 ، والمقري أحمد بن محمد ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1968م ، المجلد السادس والسابع.

فمن علماء الدين والفقه في الفترة الأولى نذكر من العلماء من نبغ وذاع صيته، مثل أبي إسحاق التوخي[1] فقد جمع القراءة وتدريس الفقه والعربية .ومنهم أبو القاسم بن جزي [2]صاحب كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ومنهم أيضا أبو جعفر بن فركون[3] من صدور الفقهاء في الأندلس.

وفي اللغة العربية فقد نبغ نخبة من أدباء غرناطة منهم ابن الزيات الكلاعي [4] خطيب متصوف ، أشتهر بعدة تآليف في العربية والفقه والتفسير .

وممن نالوا شهرة واسعة في النحو أبو جعفر بن الزبير الثقفي[5] ومن تآليفه صلة الصلة ، والبرهان في ترتيب سور القرآن .

تلك كانت إشارة عن بعض مجالات الحياة الفكرية في مملكة غرناطة وأبرز من أشتهر حتى أوائل القرن الثامن الهجري .

وسنرى لاحقا- إن شاء الله تعالى- مرحلة أخرى تمثل مرحلة النضج والاستقرار وهي الفترة التي برز فيها مجموعة من أعظم مفكري غرناطة فكللت بالإنتاج الأدبي والعلمي الوفير في الأدب والشعر، لمع أبو عبد الله بن شلبطور[6] (شاعر المرية) ببرع في الأدب، وأشتهر براعة نظمه.

1- هو إبراهيم بن محمد إبراهيم التوخي ولد عام (607هـ) توفي عام (727هـ) كان مفسرا - فقيها - ينظر ابن الخطيب - الكتيبة 32 ،والاحاطة 382/1.

2- هو محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ولد عام (693هـ)- توفي عام (741هـ) كان فقيها حافظا للتفسير - له فهرسة كبيرة ينظر ابن الخطيب - الكتيبة 46.

3- هو أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي ولد عام (649هـ) متوفي عام(729 هـ) كان ماهرا في علم الفريضة شارك في فنون العربية من قراءة وشعر يراجع ابن الخطيب الكتيبة 101، والإحاطة 195/1 والشافعي - المرقبة العليا فيما يستحق القضاء والفتيا تحقيق ليفي بروفنسال دار الآفاق الجديدة- بيروت- طبعة خامسة 1983 م ، 138 ، وينظر التكملة- أحمد بابا- نيل الابتهاج بتطريز الديباج تحقيق عبد الحميد الهرامة ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس 1989 م، 64.

4- هو أحمد بن الحسن بن علي كنى بأبا جعفر وعرف بابن الزيات ولد عام (649 هـ) وتوفي عام(728 هـ) ينظر ترجمته ابن الخطيب الكتيبة 34، و الإحاطة 395/1.

5- هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي يكنى أبو جعفر ولد عام(627 هـ) توفي عام (708 هـ) ينظر ترجمته ابن الخطيب- الاحاطة 188/1 ،وابن فرحون- إبراهيم بن نور الدين- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ،تحقيق مأمون محي الدين، دار الكتب العلمية- بيروت لبنان، طبعة أولى 1996م، 106.

6- هو محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي توفي عام(755 هـ) من أهل المرية ينظر ابن الخطيب- الإحاطة 360/2، والمقري- نفح الطيب 88/6 ،وعنان- نهاية الأندلس 469 .

ومن بدائع نظمه قصيدة يمتدح فيها أحد السلاطين منها قوله: [1]

(الطويل)

أثغرك أم سمط من الدرر ينظمُ ... وريقك أم مسك من الراح تختم

ووجهك أم بادٍ من الصبح نيرٌ ... وفرعك أم داجٍ من الليل مظلم

ومن طلائع الشعراء ابن خاتمة الأنصاري [2] وصفه ابن الخطيب بقوله " إنه صدر يشار إليه طالب ،متفنن، مشارك، قوي الإدراك، سديد النظر، قوي الذهن،... جيد القريحة " [3]

ومن أبرز شعراء غرناطة ابن الخطيب فكان أكثرهم شهرةً بغزارة إنتاجه الشعري وجودته، بالإضافة إلى مؤلفاته في علوم شتى سيأتي الحديث عنها لاحقا إن شاء الله .

وقد نال التاريخ والتراجم وأدب الرحلات، اهتماماً ملحوظاً خلال هذه الفترة، و ممن اشتهر من رجال غرناطة في هذا المجال ابن خاتمة الأنصاري، وابن الخطيب، ومن أشهر مؤلفاته اللمحة البدرية في الدولة النصرية، والإحاطة في أخبار غرناطة، وهما من المصادر الهامة لدراسة تاريخ غرناطة ، وفي أدب الرحلات برز اسم أبو البقاء خالد البلوي [4] حيث زار الكثير من الأماكن المقدسة وله كتاب (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) .

وفي التراجم يتصدر ابن الخطيب بكتابيه الكتيبة الكامنة، والإحاطة، وابن الأحمر بكتابيه نثير فرائد الجمان، ونثير الجمان .

---

1 - ابن الخطيب- الاحاطة 361/2

2 - هو أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ولد عام (710 هـ) توفي عام(770 هـ) شاعر المرية الكبير - له ديوان شعر تاريخي بعنوان (مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية) ينظر ابن الخطيب الكتيبة 239، والاحاطة 239/1، وابن الأحمر نثير فرائد الجمان 331، ونثير الجمان في شعر من تظمئ وفاء الزمان- تحقيق محمد رضوان الداية . مؤسسة الرسالة- طبعة ثانية 1987م 175.

3 - ابن الخطيب- الإحاطة 239/1

4 - هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم البلوي يكنى أبو البقاء ينظر ترجمته ابن الخطيب- الكتيبة 134 - والإحاطة 300/1، والمقري- نفح الطيب 285/3، والتنبكتي- نيل الابتهاج 173.

وفي العلوم الهندسية والرياضية والطبية لمعت عدة أسماء منهم عثمان بن ليون [1] وله عدة كتب في مجالات عدة، منها كتاب في الهندسة، وكتاب في الفلاحة .

ومنهم أبو عبد الله التلمساني[2] له مشاركات في العقليات، وجلس للإقراء بحضرة غرناطة ثم مال للتجوال والتصوف، وكان عبد الله العبدري[3] متضلعاً بالعربية، مشاركاً في الطب وله نصيب في الشعر .

كما لمع اسم ابن خاتمة الأنصاري في مجال الطب، فله كتاب عن الوباء الذي حل بالأندلس بعنوان (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد).

ولن يفوتنا ذكر مؤلفات ابن الخطيب في الطب (كرسالة تكوين الجنين)، و(عمل من طب لمن حب)، و (مقنعة السائل في المرض الهائل).

وفي علم الفلك اشتهر أبو يحيي الوادي آشي[4] وابن هذيل[5]، وقد ذاع صيت الأندلسيين في الفلك، أو ما كان يسمى وقتها بعلم الهيئة. ولقد استوقفني هذا العلم لما أبدع فيه الأندلسيون، وقد ألفوا فيها الكتب القيمة، واخترعوا الآلات العظيمة فسبقوا غيرهم من الأمم في هذا المجال، [6] ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر ما كان للرحلات العلمية المتبادلة بين الأندلس وغيرها من دول المشرق من أثر بالغ في إثراء الحياة الفكرية في الأندلس، فقد بلغت تلك الرحلات من

1- هو عثمان بن سعد بن أحمد بن ابراهيم بن ليون التجيبي ولد عام (681هـ) وتوفي عام(750 هـ)، يعد من أجل وأكابر علماء الأندلس- ينظر المقري- نفح الطيب 543/5 والتنبكتي- نيل الابتهاج 123

2- هو محمد بن خميس التلمساني من أكابر الشعراء والبلغاء توفي عام(804 هـ) ينظر المقري نفح الطيب 309/5 ، والسيوطي - جلال الدين - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل- مطبعة عيسى الحلبي - طبعة أولى 1956 م - 253/1

3- هو عبد الله بن محمد بن يبلى العبدري ولد عام(680 هـ)، توفي عام(753 هـ) وقد أثرى من التكسب بالكتب- ينظر ترجمته ابن الخطيب - الكتيبة (90)- والمقري نفح الطيب 384/5، والسيوطي بغية الوعاة 253/1

4- هو محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد الشريف ويعرف بالوادي آشي كان مشاركا في علوم كثيرة منها الحساب والهندسة -ينظر ترجمته ابن الخطيب - الإحاطة 141/2

5- هو يحيي بن أحمد التجيبي الغرناطي المعروف بابن هذيل طبيب مشهور له مشاركة في الحساب، جلس للتدريس بالمدرسة اليوسفية، ينظر ترجمته في ابن الأحمر - نثير فرائد الجمان، - وابن الخطيب - الإحاطة 390/4

6- ينظر- شنون- عبد الواحد - دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، الدار الإسلامي- طبعة أولى 2004م ، 43- 68

الأهمية أنه لم يكن هناك عالم من علمائها إلا وكانت له رحلة باستثناء القليل منهم " فالرحلة في طلب العلم لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال" [1]

أما العلوم الفلسفية فقد قل الاهتمام بها ويرجع ذلك إلى أن الفلسفة "ضررها في الدين كثير" [2] هذا ما اعتقده الغرناطيون، فقد كان لسيادة الروح الدينية عندهم دورها في رفض الفلسفة ، فكانوا يعيبون على متعلميها، وهذا ما نجده عند ترجمة ابن الأحمر ليحيى بن هذيل حين يقول: " وبه غمزت الأندية،وأجريت الأودية، في مجال الطعن الشينية . لا في رجال المعاني الزينية، ولاستغراقه في العقليات، واطراحه النجاة بالنقليات " [3] وتشدد بعض اللاطين في معاقبة من أتهم بالزندقة استرضاءً للفقهاء والعامة الذين اعتبروا الفلسفة نوعا من الإلحاد، والتطرف الفكري، وتتضمن كتب التاريخ روايات عن علماء عذبوا ونكل بهم لاتهامهم بالإلحاد، وتكتفي بالإشارة لما حدث لابن الخطيب مثالاً لذلك، حين أتهم بالتلاعب بالشرعية مما أودى بحياته، وإحراق بعض كتبه[4]. وقد أوجب القاضي البناهي [5] السجن، والحرق "على من وجد بخطه شيء من المذاهب الفلسفية المخالفة للشرع " [6] .

---

[1] - ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون - تحقيق علي عبد الواحد وافي- دار نهضة مصر - القاهرة - طبعة ثالثة - ج1، 541 - وينظر - شون- عبد الواحد الرحلات المتبادلة بين الغرب الاسلامي والشرق- الدار الإسلامي- طبعة أولى 2004م - 41-72

[2] - ابن خلدون - المقدمة 514 .

[3] - نثير فرائد الجمان 322 .

[4] - ينظر المقري - نفح الطيب 122/5.

[5] - هو علي بن عبد الله بن الحسن الحثامي البناهي (أبو الحسن) كان قاضي الجماعة بغرناطة، ينظر ابن الخطيب- الإحاطة 92/1، والكتيبة 146

[6] - البناهي- المرقبة العليا 201 .

ملامح الحياة في المجتمع الغرناطي

عاش المجتمع الغرناطي حياة السعة والرخاء، فكثرت لديه الأقوات صيفاً وشتاءً، فقد حباه الله تعالى من الطبيعة الجذابة، والأراضي الخصبة ما فاضت عليه بموفور الخيرات، والنعم. فقد ضمت مملكة غرناطة على صغر مساحتها، وانحسار رقعتها، موارد طبيعية هائلة فوديانها خصبة يتخللها عدة أنهار، وإقليمها متنوع بين الحرارة والبرودة مما فسح المجال أمام فلاحيها ومزارعيها لاستغلال تلك الهبة في إنعاش الزراعة، فاشتهروا بزراعة الفاكهة كالعنب والتين والتفاح واللوز ... وغيرها، وعمد الناس على اختزالها لاستعمالها لغير موسمها ، كما اعتنوا بتنظيم قنوات الري ، وطرقه ، فأصبحت مزارعهم، وحدائقهم مضرب الأمثال في الجودة والنماء.[1] واستطاعت مملكة غرناطة أن تستبقي كثيراً من الصناعات الأندلسية القديمة التي اشتهرت بها الأندلس بصفة خاصة فدعمتها وعملت على ازدهارها بما وجد في أرضها من ثروات معدنية كالذهب والحديد والرصاص ، فبرزت صناعة الأسلحة والذخائر والدروع.[2] .

كما برعوا في صناعة الأقمشة الملونة، وفي الصناعات الجلدية والخزفية، وتفوقوا في الصناعات الدوائية، واستخراج العطور من الزهور.[3]

أما واردات بيت المال في غرناطة فأهمها الجزية التي كانت تجبى من أهل الذمة ، ومن زكاة المسلمين ، والضرائب التي كانت تفرض على التجارة البرية والبحرية.[4]

نقود الغرناطيين كان من النوع الممتاز تخرجه دار السكة الملكية، التي اشتهرت بأمانتها ودقتها،"فصرفهم فضة خالصة وذهب إبريز، طيب محفوظ، لا تفضل سكتهم سكة " [5]

---

1 - ينظر ابن الخطيب- اللمحة 40 ،و الإحاطة 138/1 ، وعنان - نهاية الأندلس 445- 446

2 - ينظر عنان - نهاية الأندلس 447

3 - ينظر المقري - فتح الطيب 167/1 ، وفرحات - غرناطة في ظل بني الأحمر 144

4 - ينظر ابن الخطيب - اللمحة 41، و فرحات - غرناطة في ظل بني الأحمر 81 ، وعنان - نهاية الأندلس 448

5 - ابن الخطيب - اللمحة 40

فقد عاش أهالي غرناطة حياة الترف، والمرح، يعشق أفراد المجتمع مباهج الحياة، والحفلات العامة وقد حرصوا على التأنق، والتزين فيها، فتنوعت أثوابهم، واختلفت ألوانها، وتعددت أشكالها " فتبصرهم في المساجد، وأيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة، تحت الأهوية المعتدلة " [1]

وكثرت المنتديات وذاع الغناء. وغدت الفروسية من أمتع مباهج الحياة، فضلا عن كونها من عماد الدفاع الوطني، وكانت رياضة الصيد، ورمي الجريد من أهم أعمال التسلية.

هكذا كانت غرناطة يسودها المرح والتفاؤل حتى في أيام المحن والاضطراب، ولم تملأها الكآبة إلا حينما دق أبوابها العدو الإسباني.

صفات الأندلسيين وسماتهم:

الشعب الأندلسي كسائر الشعوب، له صفاته الخاصة التي تميزه وتكشف عن طباعه وعاداته وأخلاقه، وقد أبدع ابن الخطيب في وصفه لسمات الغرناطيين الخلقية، فنعتهم بأجمل الصفات، وأبدع الأشكال، حيث وصفهم بوسامة الوجوه، واعتدال القدود، وسواد الشعر، ونضرة اللون، فقد قال فيهم " وصورهم حسنة، معتدلة أنوفهم، بيض ألوانهم، مسودة غالبا شعورهم، متوسطة قدودهم، فصيحة ألسنتهم، عربية لغاتهم، يتخللها عرف كثير، وتغلب عليها الإمالة "[2]

كما أحسن في وصف شمائلهم وأخلاقهم فقال " وطاعتهم للأمراء محكمة، وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة، وأخلاقهم أبية في معاناة المنازعات ... " [3]

1- المصدر السابق 39 ، وينظر الاحاطة 135/1

2- ابن الخطيب - اللمحة 38، والاحاطة 134/1

3- ابن الخطيب - اللمحة 38،و الاحاطة 134/1 وينظر عتيق - عبد العزيز - الأدب العربي في الأندلس - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت 1976م - 141 - 143

واشتهر الأندلسيون بحب النظافة، وعن هذه الصفة يخبرنا المقري بقوله "وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعلق بهم ..."[1]

المرأة في الأندلس:

حظيت المرأة في الأندلس، وفي غرناطة بالأخص بمكانة مرموقة وعناية خاصة، فقد وفرت لها طبقة الخاصة، ثقافة عالية، وتربية جيدة، فقد عرف المجتمع الغرناطي عددا من النساء اشتهرن في ميادين السياسة ، والعلم، والأدب.[2]

نذكر منهن أم إسماعيل، ودورها البارز في خلع محمد الخامس[3] وفي مجالي الأدب واللغة ، اشتهرت حفصة بنت الحاج،[4] وحمدونة بنت زياد [5]

وفي مجال العلم ذاع صيت أم الحسن بنت أبي جعفر.[6]

وعن صفات المرأة الأندلسية، فحين تذكر في المصادر تنعت بأجمل الصفات " فقد حباهن الله تعالى بجمال أخاذ، وبسحر فتان، معتدلات السمن، ناعمات الجسم، رشيقات الحركة، ينطقن بنبل الكلام، مع حسن المحاورة، وإن كان يندر فيهن الطول "[7]

وقد ضرب الحجاب على المرأة الأندلسية إلزاما ولم يكنّ يُخالطن الرجال إلا في المناسبات الخاصة، كالاحتفال بعودة السلطان بعد غيابه عن المملكة، وقد بالغن في التفنن في الزينة والتجمل" فكان الإعجاب ببريق السلاح والعيون ، وحمرة الرايات والشفاه ".[8]

1- نفح الطيب 208/1 ، وينظر عتيق ـ الأدب العربي 141

2- وقد ذكر الوادي آشي في برنامجه عدد من النساء اللاتي احترفن، ينظر الوادي آشي ـ محمد بن جابر، برنامج الوادي آشي ـ تحقيق محمد محفوظ ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ طبعة ثالثة 1982م ، 169- 173.

3- ينظر أحداث الفتنة التي أدت إلى خلع محمد الخامس ص 7 من هذا البحث.

4- هي حفصة بنت الحاج الركونية، أديبة، نبيلة، سريعة الشعر، ينظر ابن الخطيب ـ الاحاطة 1/ 491

5- هي حمدونة بنت زياد المكتب، شاعرة وكاتبة، ينظر المصدر السابق 489/1

6- هي أم الحسن بنت أبي جعفر الطنجالي، نبيلة، تجيد قراءة القرآن، لها مشاركة في مسائل طبية، كما نظمت الشعر، ينظر المصدر السابق 430/1

7- ابن الخطيب النسخة 141و الإحاطة 139/1

8- ابن الخطيب ـ الإحاطة 318/1

المبحث الثاني:

القضاء و القضاة في مملكة غرناطة

- المعنى اللغوي للقضاء
- المعنى الاصطلاحي للقضاء
- مشروعية القضاء في الإسلام
- أهم صفات القاضي
- خطة القضاء في الأندلس
- قضاة الأندلس (عزوفهم عن القضاء - تعليمهم - لباسهم)

المعنى اللغوي للقضاء:

القضاء في اللغة [1] هو إمضاء الشيء وإحكامه، وتأتي كلمة القضاء بمعنى الإبلاغ والإنهاء، وبمعنى الصنع والتقدير، فيقال : قضاه أي صنعه وقدره ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [2]

ويأتي القضاء بمعنى الأداء تقول : قضيت ديني وقضى زيد دينه أي أداه ووفاه، وبمعنى العلم نحو قضيت لك بكذا أي أعلمتك به، والفعل قضى- يقضي يأتي بمعان كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً ﴾ [3] أي حدد موعدا لموتكم، وقوله تعالى: ﴿وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَو كِلاَهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍ ولَا تَنْهَرْهُمَا وقُل لَّهُمَا قَولاً كَرِيما ﴾ [4] أي أمر وحكم ربك ، وقوله تعالى﴿وإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [5] أي إذا أراد الله أمرا ، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ [6] أي قمتم بتلك المناسك وفرغتم من أدائها، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ والَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[7] أي فاحكم فيما تشاء وافعل ما تريد، وقوله تعالى:﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ، ومِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ، ومَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا ﴾ [8] أي من الذين صدقوا العهد من مات، ومنهم من ينتظر أجله.

---

1. ينظر في معاني القضاء لغة (مادة: قضى) ابن منظور - لسان العرب - دار صادر بيروت ، والفيروز أبادي - القاموس المحيط - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت.
2. فصلت: آية 12
3. الأنعام : آية 2
4. الإسراء : آية 23
5. البقرة : آية 117
6. البقرة : آية 200
7. طه : آية 72
8. الأحزاب : آية 23

وأصل كلمة القضاءفي اللغة: هو قضاي لأنها من قضيت، إلا أن الياء عند ما جـاءت بعـد الألف أبدلت همزة. وجمع قضـاء أقضية- ككـساء وأكسية وكقباء وأقبية- ويقال: اسـتقضى فلانـاً أي صيره قاضياً، والقاضي هو القاطع للأمور المحكم لها. [1]

المعنى الاصطلاحي للقضاء:

اختلف العلماء في تحديد معنى اصطلاحي واحد للقضـاء، وتعددت أراؤهم في هذا الصـدد .

فقال بعض الفقهاء : إن القضاء هو " الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام " [2]

وقيل بل هو " الفصل في الخصومات وقطع المنازعات على وجه مخصوص "[3]

وقيل : القضـاء معناه " الإلزام بالحكم الشرعي وفصل الخصومات " [4]

ومن تلك التعريفات يتضح اتفاقها على خصيصتين في القضاء :

أولهما : إن فصل الخصـومات هو على سبيل الإلزام.

وثانيهما : إن هذا الفصل يكون بالإخبار عن حكم الشارع ، وعليه فإن الفصل بغيـر حكـم الله تعالى منكر، ينبغي اجتنابه فهو ليس بقضاء حقا. [5]

1- ينظر الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر 1994م (مادة قضى- 513)
2- ينظر ابن فرحون- ابراهيم بن نور الدين- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، المطبعة الشرفية بمصر طبعة أولى 1301 هـ ، 8
3- ينظر المصري- زين الدين بن نجيم- البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ ، 277/6
4- البهوتي ، منصور بن يونس- كشاف القناع عن متن الإقناع المطبعة الشرفية، بالقاهرة طبعة أولى، بدون تاريخ 285/6
5- ينظر ملحمي- أحمد محمد- النظام القضائي الاسلامي، مكتبة وهبة، طبعة أولى 1984م ، 17 - 18

مشروعية القضاء في الإسلام:

تُعد تولية القضاء من أقوى الفرائض في الدين الإسلامي بعد الإيمان بالله تعالى، فهي من أشرف العبادات، وأفضل القربات [1] وقد أمر الله تعالى به كل نبي مرسل، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ، فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً، وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [2] والأصل في مشروعية القضاء في الإسلام ثلاثة :- كتاب الله، وسنة نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- والإجماع، فقد قال تبارك وتعالى:﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [3]

وقال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[4]

وقد تولى- صلى الله عليه وسلم- القضاء بنفسه للفصل بين قضايا المسلمين مستعيناً بكتاب الله تعالى، وبما أوتي- صلى الله عليه وسلم- من علم وما ينطق عن الهوى، وسار على نهجه الخليفة الأول- أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- إذا جاءه الخصوم نظر في كتاب الله تعالى فإن لم يكن وعلم عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن لم يجد خرج فسأل المسلمين، وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قضى بذلك قضاء، فربما اجتمع عليه النفر يذكر عن رسول الله- صلى الله عليه

1- ينظر البهوتي ، كشاف القناع 286/6
2- المائدة : آية 44
3- ص : آية 26
4- النساء : آية 65

وسلم- قضاء، فيقول أبو بكر- رضي الله عنه- : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا، فإن أعياه أن يجد في سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قضاء جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع أمرهم على أمر قضى به.[1]

فكانت العدالة والحرص على نصرة المظلوم من الأسس الهامة في القضاء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[2]

ومن هنا تأتي أهمية القضاء بالعدل، و بيان للمسئولية الملقاة على عاتق القضاة، [3]ووجوب اتصافه بعدة صفات.

1- ينظر عوتوس - محمود محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، المطبعة المصرية بالقاهرة 1954، ص 19

2- المائدة: آية 42

3- ينظر- حسين- حمدي عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، طبعة أولى 1986م، ص 283

صفات القاضي:

عن الصفات التي يجب أن تتوفر في القاضي فلا يجوز تقليد القضاء إلا من كملت فيه سبعة شروط أوردها الماوردي[1] وهي : الإسلام، و(الذكورية والبلوغ)، والعقل، والحرية ، والعدالة، وسلامة حاستي (السمع والبصر)، والعلم .

الشرط الأول : وهو الإسلام لكونه شرطا في جواز الشهادة فلا يجوز قضاء الكافر على المسلم .

الشرط الثاني : ويشمل صفتي الذكورية والبلوغ، فلا تَلِي المرأة منصب القضاء لأنها تنقص عن كمال الولايات، وقبول الشهادة، والبلوغ فلأن الصبي لا يلي على نفسه .

الشرط الثالث : العقل، فالمجنون لا يلي على نفسه ويدخل في نطاق شرط العقل أن يكون القاضي فطنا بعيدا عن السهو والغفلة .

الشرط الرابع : الحرية، فالعبد ليس من أهل الولايات ولا كامل الشهادات .

الشرط الخامس : العدل، فالعدل أساس القضاء، حيث يبتعد القاضي عن أهوائه، ورغباته الشخصية .

الشرط السادس : سلامة البصر والسمع، ذلك يضمن للقاضي إثبات الحقوق وتميز المقر من المنكر فيتميز له الحق من الباطل.

الشرط السابع : أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية، وعلمه بها يتضمن معرفته بأصول أربعة وهي :

أولها :/ المعرفة بكتاب الله تعالى وبما يتضمنه من الأحكام .

ثانيها :/ علمه بسنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في أفعاله وأقواله .

---

[1] ينظر الأحكام السلطانية، طبعة مصطفى الحلبي بمصر الطبعة الثانية بدون تاريخ ، ص6

ثالثها :/ علمه بآراء السلف فيما أجمعوا عليه، وما اختلفوا فيه ويجتهد رأيه مع الاختلاف .

رابعهما :/ علمه بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والجمع عليها.[1]

وأضاف الماوردي شرطا ثامناً لصحة تولية القضاء حيث لابد أن يكون واحدا لا أكثر، فلا يصح تقديم اثنين على أن يقضيا معا في قضية واحدة، لاختلاف الأغراض، وتعذر الاتفاق، وبطلان الأحكام بذلك.[2]

وينبغي للقاضي أن يتأدب في قضائه بآداب شرعية بعضها مستحق عليه ، وبعضها مستحب له التأدب بها.[3]

---

1. ينظر الماوردي - الأحكام السلطانية 66
2. ينظر البغدادي - المرقبة العليا 4
3. البغدادي - المرقبة العليا 4، وينظر التوزري- شهاب الدين أحمد نهاية الارب في فنون الأدب ، تحقيق علي محمد البجاوي - وزارة الثقافة، طبعة أولى 1986م ، 248/6 وما بعدها ، وواصل، ناصر فريد محمد، السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام المكتبة التوفيقية، مصر، طبعة ثانية بدون تاريخ 121 وما بعدها ، وينظر - ابن أبي الدم- شهاب الدين إبراهيم- كتاب أدب القضاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1987م 59- 78

خطة القضاء في الأندلس:

عُدت خطة القضاء في الأندلس من أعظم الخطط عند العامة والخاصة، وذلك لتعلقها بأمور الدين، فلم يكن يشغل منصب القضاء سوى العلماء والفقهاء، وفي مملكة غرناطة كان يطلق على رئيس القضاة اسم قاضي الجماعة، وقاضي الحضرة وهو خطيب المسجد في العاصمة، ويليها مرتبة قاضي مالقة، والمرية، ووادي آش، ورندة، وبسطة، وبلش .

وإذا كانت المدينة التي يتولى قضاءها مدينة صغيرة أطلق على قاضيها لقب المشدد. [1]

وكان لقاضي الجماعة سلطة على سائر القضاة فيُشرف على أعمالهم ويرشدهم، ويُراقب سلوكهم الأخلاقي، والاجتماعي، وله الحق في التأكد من صحة ما يصدرونه من أحكام، مع ذلك كانت سلطتهم هذه سلطة مبدئية، فقد كان السلطان يصدر مرسوما يعرف باسم (ظهير ملكي) يعين بموجبه قضاة الأقاليم دون العودة إلى رأي قاضي الجماعة [2] واختيار رئيس القضاة الذي يكون في مركز الوزير أمر يتعلق بالسلطان وحده، الذي يكون حريصا على تولية هذا المنصب إلى من تتوفر فيه شروط خاصة. [3]

أما مهام القاضي وصلاحياته فقد كانت واسعة متنوعة عددها البناهي وهي عشرة أحكام:[4]

الأولى / قطع التشاجر والخصام بين المتنازعين.

الثانية / استيفاء الحق لمن طلبه، وتوصيله إلى يده.

الثالثة / إلزام الولاية للسفهاء والمجانين، والتحجر على المفلس حفظا للأموال .

الرابعة :/ النظر في الأحباس، والوقوف والنقد لأحوالها .

1- ينظر المقري، نفح الطيب 2007/1 وينظر السامرائي، إبراهيم، وعبد الواحد ذنون، وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الحديثة، طبعة أولى 2000 م، 138.
2- ينظر البناهي، الشرقية العليا 21، وينظر السامرائي وآخرون، تاريخ العرب 451
3- سبق أن عرفنا بأهم شروط اختيار القاضي وصفاته ص 23 من هذا البحث
4- ينظر الشرقية العليا 5، 6

الخامسة :/ تنفيذ الوصايا على شروط الموصي إذا وافقت الشرع .

السادسة :/ تزويج الأيامى من الأكفاء إذا عدم الأولياء .

السابع :/ إقامة الحدود .

الثامنة :/ النظر في المصالح العامة .

التاسعة :/ تفقد الأمناء والشهود .

العاشرة :/ وجوب التسوية بين القوي والضعيف .

كما كان القاضي يقوم بإمامة المصلين أيام الأعياد والجمع ويلقى الخطبتين . ويهتم بتطبيق تعاليم الدين فى شتى مناحي الحياة ، وملاحقة الزنادقة ومحاكمتهم[1] أما القضايا الثانوية فإنها تكون من اختصاص قاض مساعد يعرف باسم صاحب الأحكام .

كما وجد صاحب الشرطة يعاونه صاحب السوق المسئول عن أحوال السوق بصورة عامة، عرف صاحب السوق باسم متولي الشرطة، وصاحب المدينة، وصاحب الليل، يساعده حراس يجوبون الشوارع ويراقبون أفعال الناس، وقد أطلق عليهم اسم الدرابين ، وتصحبهم الكلاب أحيانا[2] أما قاعة المحكمة فكانت إحدى الغرف التابعة للمسجد الجامع في المدينة، " فيقعد القاضي بين مستشاريه وكتابه مواجهاً صاحب العلاقة. "[3]

و كان القاضي يقوم بجانب وظيفته الأولى كقاضي بمهام دبلوماسية أحيانا، فقد أرسل محمد الخامس القاضي أبا البركات[4] إلى بلاد فارس في مهمة سياسية.[5]

1- ينظر المرقة العليا 5- 6

2- ينظر المصدر السابق 5

3- المقري – نفح الطيب 217/1

4- هو محمد بن محمد بن ابو القاسم قاضي ومؤرخ من أعلام الأندلس في الأدب والحديث، ينظر ابن الخطيب ـ الكتيبة 127، الإحاطة 389/4 .

5- ينظر البناني – الزهرة العليا 140، و ابن الخطيب ـ اللمحة 95

أما مذهب أهل الأندلس فكان في أول أمرهم على مذهب الأوزاعي ، ثم انتقل أهل الأندلس إلى مذهب الأمام مالك في عهد بني أمية. [1]

وقد كان من أهم أسباب انتشار المذهب المالكي في الأندلس _ بالإضافة إلى رغبة أمير بني أمية _ أن رحلة طلبة العلم من أبناء الأندلس كانت في معظمها تتجه إلى الحجاز للتزود من العلوم الشرعية فكان أبناء الأندلس ياخذون من علمائها. وكان مالك إمام المدينة وفقيهها. فاخذوا العلم عنه وقلدوه . [2].

1- عن أهم مذاهب أهل الأندلس ينظر: شويخ – سامي كامل . العصبية وأثرها في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف . رسالة ماجستير غير مطبوعة (2000م). كلية الاداب والتربية ،جامعة قاريونس ، 101- 103.

2- ينظر ابن خلدون – المقدمة 1054/3 ،والمصدر السابق 161- 166

قضاة الأندلس : { عزوفهم عن القضاء – تعليمهم – لباسهم }

عزوفهم عن القضاء:

من أهم ما اتصف به قضاة الأندلس أنهم كانوا قضاة ورعين زاهدين، و دفعهم ذلك للعزوف عن القضاء لما تقرر من بلائه، فهو محنة وبلية، ومن دخل فيه عرض نفسه للهلاك، لذا فر عنه كثير من الفضلاء وتغيبوا حتى تركوه، وسُجن بسببه عند الامتناع آخرون .

والأمثلة كثيرة لقضاة عزفوا عن تولي منصب القضاء ورعاً وخشية،[1] نكتفي بمثال للقاضي محمد الخشني[2] حين أراد الأمير أن يقلده القضاء، فأبى ونفر نفوراً شديدا حتى أنه لم يأبه بغضب الأمير وعقوبته التي قد تصل إلى إهدار دمه، فما كان من القاضي الخشني إلا أن نزع قلنسوته من رأسه ومد عنقه وجعل يقول:" أبيت كما أبت السموات والأرض، إباية إشفاق، لا إباية نفاق." [3]

تعليمهم :[4]

كان التعليم في الأندلس حراً، يعهد فيه الآباء وأولياء الأمور أبناءهم إلى معلمين ومؤدبين منذ نعومة أظافرهم، فاهتموا بتحفيظهم القرآن الكريم، وتعلم أحكامه، كما اهتموا بالحديث الشريف وحفظه، واهتموا بتعليمهم آداب اللغة العربية وفنونها، لذا كان قضاة الأندلس شديدي الحفظ للقرآن الكريم، على دراية كبيرة بعلوم الفقه والحديث والتفسير، وبرز عدد منهم في مجال الشعر، ونظموا في أغراضه المختلفة.

---

1. ينظر للاستزادة – البناهي ، المرقبة العليا 12-16 ، و الخشني – محمد الخشني ، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، طبعة ثانية 1994م 13-30.
2. هو محمد بن حارث بن أسد الخشني ، كان حافظا للفقه ذكيا نبيها توفي عام (361 هـ) ، ينظر مقدمة المحقق عزت العطار ، قضاة قرطبة وعلماء إفريقيا 7 - 8 .
3. ينظر البناهي ، المرقبة العليا 13
4. سيتم إن شاء الله الحديث عن ثقافة قضاة غرناطة في الفصل الثاني من هذا البحث.

تنوعت المنابع التي نهل منها القضاة علمهم، فقد أخذوا العلم عن الشيوخ، والعلماء، والقضاة الأكثر علماً.[1] و كانت للرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق أثرها البارز في إثراء ثقافة قضاة الأندلس، مما أسهم في جعل الأندلس منافساً للمشرق ومتفوقاً عليه أحياناً. [2]

1 - ينظر لتون - عبد الواحد طه- دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها - دار المنار الإسلامي - طبعة أولى - 2004م - 71.
2 - المصدر السابق 191 .

لباسهم:

أولا : لباس الرأس :ـ

أ. *العمائم* :ـ

العمائم تيجان العرب، لبسها رؤساؤهم وساداتهم في الجاهلية، والإسلام، فكانت تعرف باسم التاج أو العصابة[1] وللعمائم فوائد كثيرة ذكرها ابن قتيبة في قوله: " قيل لأعرابي إنك تكثر لبس العمامة، فقال إن شيئا فيه السمع والبصر لجدير أن يوقى من الحر والقر "[2]

وفي الأندلس كان لبس العمامة هو المفضل للعلماء، والفقهاء خاصة من أهل الغرب الأندلسي، فيذكر المقرى ذلك بقوله: " فلا تكاد ترى فيهم، أي أهل الغرب الأندلسي قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة، وقد تسامحوا بشرقيا في ذلك "[3]

ب. *القلانس والغفائر* :ـ

القلنسوة : ما يغطي الرأس من الوشي، أو الصوف، أو الفراء وعدت قديما من أفضل ألبسة الرأس لدى المسلمين، قال علي بن أبي طالب " تمام جمال المرأة في خفيها، وتمام جمال الرجل في كمته أي قلنسوته ".[4]

وفي الأندلس شاع استخدام القلانس في عصر الدولة الأموية بخاصة، وإن كان ارتداؤها لم يكن مألوفا لدى القضاة الذين فضلوا عليها لبس العمائم، فقد لبسها بعض القضاة منهم القاضي محمد الخشني، فكان يضع قلنسوة على رأسه، عندما أسندت إليه خطة القضاء وقد تمنع عنها ثم اضطر إلى خلع قلنسوته عن رأسه.[5]

---

1. ينظر الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة 1968م 97/3
2. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، مجموعة تراثنا، بدون تاريخ 300/1
3. المقرى، نفح الطيب 217/1، وينظر ابن الخطيب، اللمحة 39، والإحاطة 136/1
4. الجاحظ، البيان والتبيين 97/1
5. ينظر الشامي، شرقية العليا 13، والخشني، قضاة قرطبة 18

أما ***القفارة*** :ـ فهي في الأصل خرقة تضعها المرأة على رأسها حماية للخمار من دهان الرأس ، ولكنها في الأندلس عبارة عن طاقية تطوق الرأس، وتشبه القلنسوة .

وقد جاء ذكرها بمعنى القباء في سياق حديث الخشني عن لباس القضاة [1] وأغلب القفائر كانت تصنع من الصوف، وألوانها غالبا ما تكون خضراء أو حمراء[2] .

ج. الطيالس:ـ

الطيلسان في الأصل ثوب معين يوضع على الرأس ويندل على الكتفين، ثم تغيرت صورته إلى طيلسان مربع الشكل، يوضع على الرأس كالقلنسوة .

يُصنع الطيلسان عادة من الخز ، أو الديباج، وألوانه متعددة،[3] وقد شاع استخدامه في الأندلس، فلبسه الأدباء، والوعاظ، والقضاة لما عُرف بأنه لباس الأشراف، وأهل المروءة[4] .

ثانيا :/ الملابس الخارجية :ـ

/ - الجباب:ـ

وهو لباس الرجال المفضل يلبسه الخواص، والعوام على السواء، وقد عرفها كذلك العرب قبل الإسلام، وفي عصر النبوة، وقد استظرف لبسها أهل الأندلس، فلبسها الفقهاء والقضاة وكبار رجال الدولة من الوزراء، وأصحاب الخطط، وأرباب الخدمات، ومن القضاة الذين لبسوا الجبة القاضي سعيد بن سليمان الغافقي [5] عندما تولى القضاء في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط.[6]

---

1. الخشني - قضاة قرطبة 94
2. المقري - نفح الطيب 208/2
3. ينظر عبد العزيز - سحر - ملابس الرجال في الاندلس - بحث ندوة الأندلس الترس والتاريخ ، كلية الآداب الإسكندرية، بدون تاريخ ، 250
4. المقري - نفح الطيب 208/1 .
5. هو أبو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب ، أصله من مدينة غافق ينظر - الخشني - قضاة قرطبة 93- 93، و الجنابي - الدولة العليا 54
6. ينظر الخشني - قضاة قرطبة 91، و عبد العزيز - ملابس الرجال في الأندلس 261

الفصل الثاني

شعر القضاة في مملكة غرناطة

المبحث الأول :
ثقافة القضـاة وشـــعرهم

المبحث الثاني:
أهم أغراض شـعر القضـاة

المبحث الأول:
ثقافة القضاة وشعرهم

- ثقافة القضاة

- علاقتهم بالشعر

- ضياع دواوين بعض القضاة وفقدانها

- اختلاف الرواية في شعر القضاة

- مقدار ما وصل إلينا من شعر القضاة وأهم مصادره

ثقافـــة القضـــــاة:

غفلت المصادر الحديثة الحديث عن تعليم القضاة و ثقافتهم، والأمـــاكن التـــي تلقـــوا فيهـــا دراستهم، والمدة التي استغرقوها في الدرس والتحصيل، والكتـــب التـــي قرؤوهـــا وشـــكلت شخصياتهم.[1] لكننا لا نعدم طريقة نرسم من خلالها صورة لحياتهم العلميـــة. فهـــم لابـــد أن يكونوا قد بدأو كما بدأ علماء وأدباء عصرهم بتعلم الكتابة، وحفظ القـــرآن الكـــريم، ودراســـة العلوم الشرعية، وعلوم اللغة والأدب، وقراءة الشعر العربي في مختلف عصـــوره، " فلأهـــل الأندلس طريقتهم في تعليم صبيانهم تبدأ بتعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الـــذي يراعونه في التعليم ... فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولـــدان روايـــة الشعر في الغالب و الترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ... إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة "[2]

كما لم تذكر لنا المصادر التاريخية اسم مدرسة بعينها كان يتلقى فيهـــا صـــبيان غرناطـــة تعليمهم. وهذا يعني أن حلقات الدرس كانت تعقد في جوامع غرناطة،[3] وهناك التقى القضاة بشيوخهم فأخذوا عنهم، ونهلوا من علمهم .

وحري بنا أن نذكر أهم المشايخ الذين تلقوا عنهم مختلف العلوم والمعارف. وسنكتفي بـــذكر بعض القضاة أمثلة، فالحديث عنهم جميعا يطول ولن تفي صفحات هذا البحث بذلك، وســـنعتمد في الحديث عن مشايخ القضاة على كتاب ابن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة باعتبـــاره

---

1. ينظر برنامج التجيبي- القاسم بن يوسف- تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس 1981م وهو من المعاصرين لعصر القضاة وقد أورد في برنامجه مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف المجالات ، يمكن أن تكون نفسها التي درسها القضاة وفي تنوع هذه الكتب واختلاف مجالاتها دليل على اتساع ثقافتهم ومعارفهم.
2. ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون 538
3. وقد حاول محمد رضوان الداية أن يضع برنامج لمراحل التعليم في الأندلس محاولا الوقوف على أهم مصادر الدراسة، ينظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة، طبعة ثانية 1993م (59-61)

من أهم المصادر التي تصدرت لتراجم القضاة بشكل مفصل، كما سنعرض لأهم مؤلفات هؤلاء القضاة وكتبهم، والتي تُعد ثمرة ما اكتسبوه من علم، ومعرفة، فتكون دالة على اتساع ثقافاتهم، ومعرفتهم .

من هؤلاء القضاة القاضي يوسف بن موسى المنتشاقري[1]، فمن أهم مشايخه أبو عبد الله الفهري. [2]

وأبو محمد بن أبي السداد،[3] وناصر الدين المشدالي،[4] وأبو القاسم بن الشاط.[5]

أما تآليفه فقد تعددت مناحيها ومنها: [6]

-كتاب ملاذ المستعيذ وعياذ المستعين في خصائص سيد المرسلين.

-الأحاديث الأربعين المروية على أيات من الذكر الحكيم والنور المبين .

-كتاب تخصيص القرب وتحصيل الأرب وقبول الرأي الرشيد في تخميس الوتريات النبويات لابن رشيد.

-كتاب انتشاق النسمات النجدية واتساق النزعات الجدية.

-كتاب النفحات الرندية واللمحات الزندية. (وهو مجموع شعري).

-كتاب الاستشفاء بالعدة والاستشعاع بالعمدة في تخميس القصيدة النبوية المسماة بالبردة.

1- هو يوسف بن موسى بن سليمان الحذامي المنتشاقري يكنى أبا الحجاج كان أديبا، يكتب ويشعر، توفي عام (701 هـ)، ينظر ترجمته- ابن الخطيب - الكتيبة 111 ، والاحاطة 388/1.

2- هو محمد بن عمر بن رشيد الفهري يكنى أبا عبد الله ، كان رحالة عالما بالأدب والتفسير والتاريخ توفي عام (721 هـ) ينظر المقلاني- شهاب الدين أحمد- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- تحقيق- عبد الوارث محمد علي- منشورات دار الكتب العلمية- بيروت- طبعة أولى 1997 م ، 229/4 ، وينظر الزركلي- خير الدين الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين - طبعة ثالثة- بيروت (1969)م 205/7

3- هو عبد الله بن محمد بن علي بن أبي السداد، كان فقيها نحويا أصوليا حسن التعليم وله شعر، ينظر ترجمته ابن فرحون - الديباج 278

4- لم أعثر له على ترجمة

5- هوأبو القاسم بن عبد الله بن محمد المعروف بابن الشاط ، ويكنى أبا القاسم ولد عام(643) هـ) ، وعرف بالفقه توفي عام (723 هـ)- ينظر ترجمته ابن الخطيب- الاحاطة 124/4 ، وابن فرحون - الديباج 324.

6- ينظر- ابن الخطيب- الاحاطة 389/4

والقاضي محمد بن منظور القيسي[1] ومن أهم مشايخه أبو محمد بن أبي السداد، وأبو عبد الله الطنجالي، [2] وأبو الحكم بن المرحل،[3]و أبو المجد بن الأحوص،[4] ومن أهم تآليفه (كتاب نفحات النسوك وعيون التبر المسبوك في أشعار الخلفاء والوزراء والملوك)

- وكتاب (السحب الواكفة والظلال الوارفة في الرد على ما تضمنه المضنون به على غير أهله من اعتقاد الفلاسفة)

- وكتاب (الصيب الهتان الواكف بغايات الإحسان،المشتمل على أدعية مستخرجة من الأحاديث النبوية الصحيحة وسور القرآن)

والقاضي محمد بن أحمد بن شبرين كان من أبرز شيوخه جده لأمه أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي[5] أبو عبد الله بن رشيد،وأبو عبد الله بن برطال،[6] وأبو جعفر الزيات،[7] وأبو عبد الله الطنجالي.

ومنهم أيضا القاضي البناهي وكان من أبرز مشايخه أبو القاسم محمد بن أحمد الغساني،[8] وأبو عمر بن منظور،[9]و أبو عبد الله القطان.[10]

أما تآليفه فلم تذكرها لنا المصادر، بيد أن له كتاباً مطبوعاً وهو كتاب (المرقبة العليا فيما يستحق القضاء والفتيا)،ولا شك أن هؤلاء المشايخ، وغيرهم الكثير مما لم يتسع المجال لذكرهم، مثلوا مجموعة من أعلام الأندلس، اختلفت اتجاهاتهم و تنوعت ثقافتهم، و اختلافهم

1- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن منظور القيسي من بيت مشهور في إشبيلية عم التواضع والتخلق ، ينظر ابن الخطيب - الإحاطة 171/2، والتكملة 119، والبناهي المرقبة العليا 154

2- هو محمد بن أحمد أبي عبد الله الطنجالي، تقدم قاضيا بمالقة من أهل العلم والأدب. ينظر البناهي - المرقبة العليا 155

3- هو محمد بن مالك بن عبد الرحمن أبو عبد الله بن المرحل- ينظر ترجمته المقلاني- الدرر الكامنة 269/4

4- هو يوسف بن الحسن أبي الأحوص من أهل العلم والنزاهة. ينظر ابن الخطيب - الإحاطة 376/4

5- لم أعثر له على ترجمة.

6- هو أبو عبد الله بن برطال، كان من جلة الفقهاء،عالم جليل،توفي عام(720 هـ). ينظر المقلاني - الدرر 206/3

7- هو أحمد بن محمد بن عيسى - يعرف بالزيات ، كان من أهل الخير والصلاح -شاركة من بركات الاندلس توفي (عام 705هـ). ينظر ابن الخطيب - الاحاطة 287/1

8- هو محمد بن أحمد بن محمد الغساني من أهل مالقة، كان فقيها جليلا حافظا لفروع الفقه، متحليا بالصمت والعفاف توفي عام (736 هـ) ينظر ابن فرحون - الديباج 392

9- تولى قضاء غرناطة فكان فارس البراعة ، له فتاوى في الشعار، ينظر التنبكتي- نيل الابتهاج 598

10- هو محمد بن أحمد بن قاسم القطان- كان عالما فقيها، بعظ الناس ويتكلم في عدة فنون- توفي عام (750 هـ) ينظر المقلاني- الدرر 212/3

يمثل تنوع ثقافة القضاة واهتماماتهم، التي يستشفها القارئ لأشعارهم، فتظهر ثقافتهم الدينية في تأثرهم بالقرآن الكريم، و مصطلحاته، [1] كما تظهر في بعض التعبيرات الفقهية، و مصطلح الحديث، مثل قول القاضي الخضر بن أبي العافية[2] في التورية الفقهية:[3]

(الخفيف)

لي دَيْنٌ علىَ اللّيالي قَديمٌ ثابتُ الرّسْم منذُ خَمسينِ حِجّه
أفأعْدى بالحكم بعد عليها أم لها في تقـادُم العَهد حُجّه

وللقاضي بن جزي[4] قوله:[5]

(الطويل)

بنو الدّهر جاءتهم أحاديثُ جمة فما صححوا إلا حديثَ ابن دينار

وثقافتهم الأدبية تظهر من خلال معرفتهم بأسماء الشعراء، وأعلامهم وفي ذكـرهم لنفـائس الكتب في أشعارهم، مثل قول القاضي الخضر بن أبي العافية: [6]

(الطويل)

سَحَبتَ على سَحْبانَ فضْلَ ردائها وعَبيدُ استَغشى ثِياب عَبيد *
ولبيـــدُ انقلّبتْ عليه خروفــة فغـدا بئيداً وهْو غيرُ بَئيد

وذكر أشهر الكتب يظهر في قول القاضي بن جزي موريا بالكتب:[7]

1- ينظر الفصل الثالث من هذا البحث في اقتباس القضاة من القرآن الكريم وأثره في شعرهم.
2- هو الخضر بن أحمد بن أبي العافية يكنى أبا القاسم، من صدور القضاة توفي عام (745 هـ)، ينظر ترجمته ابن الخطيب- الكتيبة 177، والاحاطة 1/495، وابن فرحون - الديباج 185
3- ابن الخطيب- الكتيبة 182، والاحاطة 1/499
4- هو أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي- خطيب، فقيه، قاض، كاتب، موصوفا بالنزاهة والمضاء، توفي(785 هـ)، ينظر ابن الخطيب- الاحاطة 1/52، والكتيبة 138
5- ابن الخطيب - الكتيبة 143
6- ابن الأحمر- نثير الجمان 221
*سحبان بن زفر خطيب شهير و عبيد الأبرص ولبيد بن معمر من أشهر شعراء العرب
7- ابن الأحمر - نثير الجمان 169

(الوافر)

(أمالي) الشوق تملأ لي الدفاترَ

أقول هي (الصحاح)هي (النوادرْ)

ومن حُبيّ (خلاصة) كلّ حُبٍ

ومن صَبْري (مَعُونة) كل صابرْ

ومن قلبي (المُخلص) و (المُوطا)

ومن دَمعي (المفصل) و (الجواهر)

إن ذكر أعلام الأدب والشعر، وذكر أشهر كتب الأدب دليلاً على اتساع الثقافة، والإطلاع على الموروث الثقافي. كما أن في حرص القضاة على استخدام التصريع، والمحسنات البديعية في أشعارهم دليلاً على ثقافتهم اللغوية الأدبية، ومعرفتهم بأسماء الأماكن، والبلدان خارج الأندلس دليل على ثقافتهم التاريخية، والجغرافية.

من أمثلة ذلك ما ورد في قول القاضي الخضر بن أبي العافية: [1]

(الطويل)

يا ليتها حنّتْ إلى أعطانِها من جوّ كاظمة ودَوّ زَرُودِ *

---

[1] ابن الابار - تكملة الصلة)21

* هو اسم اليمامة في الجاهلية وهو بلد لبني تميم وهو ما بين البصرة إلى اليمامة. وزرود: جبل بين الدهناء التي تلي بلاد بني تميم وبني يربوع ينظر مواد (جو - جوء - زرود) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - للبكري - تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب بيروت طبعة ثالثة ١٩٨٣م

علاقة القضاة بالشعر:

على الرغم من البعد الظاهري، الذي قد يتوهمه البعض، فقد كان لقضاة الأندلس علاقة وثيقة بنظم الشعر حيث مثلوا جزءاً هاماً من الحركة الأدبية في مملكة غرناطة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف تكونت علاقة القضاة بالشعر ؟

والجواب قد نجده في قول ابن خلدون الذي يؤكد فيه ضرورة تعلم الصبية في الأندلس لفنون العربية، ورواية الشعر منذ نعومة أظافرهم.[1]

إذن فالقضاة قد شبوا على حب الشعر، وروايته حتى إذا صاروا شبابا تعلقوا أكثر بقول الشعر. فجمال الطبيعة الخلابة في بيئة الأندلس تدعو لقول الشعر ونظمه.

لذا لم يكن الشعر في الأندلس وقفا على الشعراء وحدهم، وإنما شاركهم في نظمه، الكثير من أهل الأندلس على اختلاف مكانتهم، ومهنتهم، فقلما خلت ترجمة أندلسي من ذكر شعر ينسب إليه سواء أكان وزيراً، أم كاتباً، أم فقيهاً، مدفوعين إلى ذلك بما نشئوا عليه من حب الشعر، وبتكوينهم الثقافي القائم على علوم العربية وآدابها.

زد على ذلك أن طبيعة البلاد الأندلسية الرائعة الجمال قد لعبت دوراً هاماً في تحريك عواطف الأندلسيين، ومشاعرهم واستثارة خيالهم، فرققت مشاعرهم، وتحرك بداخلهم خيال الشاعر، وأحاسيسه فكان التغني بالشعر على لسان كل أندلسي. والقضاة قبل أي شيء هم فئة من فئات الشعب الأندلسي تأثروا بتلك الظواهر في المجتمع الأندلسي .

كما كانت لعلاقات الصداقة التي توثقت عراها بين القضاة والشعراء دور هام في تنمية قدرات القضاة الشعرية بما تستوجبه توثيق عرى الصداقة بينهم من مراسلات شعرية في المناسبات المختلفة، فهذا البناهي يتحدث عن علاقة صداقة الشاعر الكاتب ابن الجياب

---

1. ينظر ص(32) من هذا البحث

بالقاضي الشريف السبتي[1] حيث وجد فيه " ما شاء من معنى رقـاق ولفـظ رقـراق وطبـع بالمعارف دفاق . ... وذهب إلى مقارضته بالقريض ، ومساجلته في الطويل والعـريض "[2] فكانت تجرى بينهما ضروب من المراسلات والبدائع.

وكذلك الصداقة التي قامت بين القاضي الخضر بن أبي العافية، وبين الشاعر ابن الجيـاب ، وبين القاضي البناهي وابن الخطيب. [3]

1- هو محمد بن أحمد بن عبد الله الحسني السبتي المعروف بالشريف السبتي الغرناطي، من أعلام القضاة بالأندلس وشاعر من شعرائها، توفي عام(760 هـ) ينظر ابن الخطيب الإحاطة 181/2، والبناهي - المرقبة 171 ، و ابن الأحمر - نثير فرائد الجمان 45- 49، و المقري- نفح الطيب 189/5 ، وينظر غرة- محمد عبد- شعر الشريف السبتي- مجلة التراث العربي- دمشق- العدد97

2- المرقبة العليا 171

3- ينظر القراطيسي محمد- ابن الجياب الغرناطي- حياته وشعره- الدار الجماهيرية للنشر- طبعة أولى 107- 109

ضياع دواوين بعض القضاة وفقدانها:

تميز القرن الثامن الهجري في الأندلس بأنه من أهم عصور التدوين، ولو وصل إلينا كل مدوناته لوصلنا شعر كثير، وشعر قضاة غرناطة يعد قطرة من هذا اليم الهائل، ولكنه كذلك لم يصل إلينا كاملا، فقد فُقد منه الكثير.ويدل على ذلك ما وجدنا من إشارات في بعض المصادر، حيث أشارت إلى كثرة شعر القضاة، فقال ابن الخطيب في ترجمته للقاضي ابن شبرين "كان أشد الناس على الشعر ... حتى عظم ديوانه " [1] وقال واصفاً شعره " إن شعره متعدد الأسفار كثير الأغراض " [2] وبالنظر في ما وصل إلينا من شعره لا يضعه في عداد المكثرين، مما يدل على ضياع قدر كبير من شعره.

كما كان للقاضي أبي البركات البلفيقي ديوان شعري أسماه (العذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج) [3] ويبدو أنه كان ديواناً ضخماً، فقد عمد القاضي الشريف السبتي إلى اختصاره في مجموع شعري اسماه (اللؤلؤ والمرجان من العذب والأجاج يستخرجان) ويعد الأصل والاختصار من المصادر المفقودة.

وللقاضي يوسف المنتشاقري ديوان شعري اسماه (النفحات الرندية واللمحات الزندية) [4] وهو كذلك من الدواوين المفقودة ولخالد البلوي ديوان شعر يعد كذلك من الدواوين المفقودة.

وديوان (جهد المقل). [5]هو ديوان شعري مفقود للقاضي الشريف السبتي.

بالإضافة إلى فقدان هذه الدواوين وضياعها لم تصل إلينا بعض القصائد التي نظمها القضاة كاملة، ففي حين وُصفت بعض القصائد من خلال المصادر بأنها قصائد طوال لم ترد منها

---

1. ابن الخطيب- الاحاطة 240/2
2. المصدر السابق 242/2
3. ابن الخطيب- الإحاطة 148/2
4. المصدر السابق 380/1
5. ابن الخطيب- الإحاطة 180/3، و التنبكتي- العرقبة العليا 175

سوى البيت أو البيتين،مثال ذلك قصيدة للقاضي ابن شبرين التي وصفت بأنها قصيدة طويلة ولكن لم يرد منها سوى هذا البيت الذي يقول فيه: [1]

(الطويل)

ابُثُكما والصبرُ للعهدِ ناكثٌ حديثاً أملتهُ علىَّ الحوادث

وأسباب ذلك ترجع إلى أن ما نقله أصحاب كتب التراجم والمختارات اعتمدوا فيه على أذواقهم الأدبية، وأرائهم النقدية التي من خلالها وصلت إلينا أشعار القضاة فكانت عبارة عن مقطوعات مجتزأة من قصائد طوال.

أما ضياع دواوين القضاة التي ذكرناها سلفاً فقد كانت لسياسة الأسبان التي اعتمدوها بعد الاستيلاء على غرناطة دور هام في القضاء على تراث الأندلس الفكري بما يتضمنه من كتب ومجلدات ودواوين، وما يدل على ذلك بعض الأحداث التي وقعت حينذاك، فقد جمع الأسبان الكتب العربية و حرقوها، كما أسرت السفن الأسبانية مركبا مغربيا كانت مشحونة بألاف الكتب الأندلسية والمغربية وحملت هذه الكتب العربية إلى قصر الإسكوريال، وذلك عام 1612 م، وبحلول عام 1671 م حلت بهذه الكتب محنة جديدة حين شبت النار في الإسكوريال فالتهمت معظم هذا الكنز الفريد[2]، ولا شك أن هذه الحادثة، وسياسة الأسبان التي اتبعوها في القضاء على الموروث الثقافي العربي في الأندلس من الأسباب الرئيسة في فقدان معظم هذه الدواوين وضياعها وغيرها من الكتب الأندلسية.

ومن أسباب فقدان أشعار القضاة وضياعها فيما أرى، وعدم وصولها إلينا كاملة، نشوب الصراعات الخارجية والداخلية في مملكة غرناطة، فانصرف النقاد والأدباء إلى أن يصبوا اهتمامهم على جمع وتدوين الأشعار التي تثير الحماسة والاستصراخ والإغاثة من أشعار

---

1. ابن الخطيب - الاحاطة 152/4
2. ينظر عنان - نهاية الأندلس 503 - 505.

المحترفين من الشعراء، والقضاة لم يعنوا بمثل هذه الأغراض، فلم تلق أشعارهم الاهتمام والحرص في الجمع والتدوين. لذا يلاحظ على شعرهم اختلاف رواياته بين المصادر التي ورد فيها.

اختلاف الرواية في شعر القضاة:

لو أردنا أن نمثل للاضطراب والاختلاف في شعر قضاة غرناطة لوجدنا أمثلة كثيرة له، من ذلك مقطوعة للقاضي ابن فركون[1] وردت في الكتيبة الكامنة، وفي الإحاطة وهما لابن الخطيب، ووجود الاختلاف بين الأبيات واضح رغم أن المؤلف واحد، وربما مصدر هذا الاختلاف راجع إلى عدم دقة النساخ، ففي الكتيبة:[2]

(المجتث)

أنا من الحكم نائبْ ... وعن دواعيه راغبْ
بعد التفقه عُمري ... ونيل أسنى المراتبْ
أصبحتُ أرمى بعارٍ ... للحالِ غير مناسبْ

وفي رواية الإحاطة:[3]

(المجتث)

أنا من الحكم نائب ... وعن دواعيه هاربْ
بعد التفقه دهري ... ونيل أسنى المراتبْ
وبعد ما كنتُ أرقى ... على المنابر خاطبْ
أصبحتُ أرمى بعارٍ ... للحالِ غير مناسبْ

فقد اختلفت رواية ابن الخطيب في الإحاطة في كلمة (هارب) في البيت الأول عن رواياته في الكتيبة التي وردت محليا كلمة (راغب)، كما حذف البيت الثالث في رواية الإحاطة من رواية الكتيبة، رغم أن بوجوده يستقم معنى البيت الرابع الذي يليه.

1- هو أحمد بن محمد بن أحمد بن فركون القسري، ولي قضاء رندة ثم مالقه ثم قضاء غرناطة توفي عام (729 هـ) ينظر ابن الخطيب الكتيبة 101، والإحاطة 153/1، والبناني ـ المرقبة العليا 138.

2- 103.

3- 156/1

كما يظهر الاختلاف، والاضطراب في الروايات في قصيدة القاضي البلفيقي حين يصف حاله، التي وردت في الإحاطة لابن الخطيب، وفي الديباج المذهب لابن فرحون، الاختلاف جاء في ترتيب الأبيات، فبينما جاءت القصيدة في الإحاطة كاملة الأبيات، اكتفى ابن فرحون ببعض أبياتها، وكان الاختلاف في ترتيب الأبيات واضح بين الروايتين فرواية ابن الخطيب [1]

(الطويل)

تأسفتُ لكن حين عزّ التأسّف ... وكفكفتُ دمعاً حين لا عينَ تذرفُ
ورام سكوناً وهو في رجل طاير ... ونادى بأنسٍ والمنازل تعنفُ
أراقب قلبي مرةً بعد مرة ... فألفيه ذيّاك الذي أنا أعرفُ
سقيمٌ ولكن لا يُحسُّ بدايه ... سوى مَنْ له في مأزقِ الموت مَوْقف
وجاذب قلباً ليس يأوي لمألف ... وعالج نفساً داؤها يتضاعف
وأعجبُ ما فيه استواءُ صفاته ... إذ الهَمُّ يُشْقيه أو السرُّ ينزف
إذا حلّت الضرّاءُ لم ينفعل لها ... وإن حلّت السّرّاء لم يتكيّف

ورواية ابن فرحون: [2] (الطويل)

تأسّف لكن حين عزّ التأسّف ... وكفكفت دمعاً حيث لا عين تذرف
وجاذب قلباً ليس يأوي لمألف ... وعالج نفساً داؤها يتضعّف
ورام سكوناً وهو في رجلٍ طائرٍ ... ونادى بأنسٍ والمنازل تقذف
أراقب قلبي مرةً بعد مرةٍ ... فألفيه ذيّاك الذي أنا أعرفُ
فإن حلّت الضراءُ لم ينفعل لها ... وإن حلّت السّراء لا يتكيّفُ

ومن الأبيات التي وقع فيها اختلاف الرواية أيضا قول القاضي محمد بن شعبة الغساني:

(الرجز)

يَبْلَى على مرّ الجديدين الهوى ... وهواكِ يا ليلى جديدٌ باقِ

هذه رواية ابن الخطيب،[3] أما ابن حجر العسقلاني فروايته على هذا النحو: [4]

---

[1] - الإحاطة 151/2
[2] - الديباج 387
[3] - الكتيبة 116
[4] - الدرر الكامنة 136/3

(الرجز)

يَبْكي على مرّ الجديدِ من الهوَى وهواكِ ياليلى جديدٌ باقِ

والروايتان من حيث الوزن صحيحتان، ولكن رواية ابن الخطيب تستقيم مع معنى البيت أكثر من رواية العسقلاني، كما يقع الاختلاف في رواية البيت الأخير من المقطوعة ففي رواية ابن الخطيب : (الرجز)

أنتِ المُنَى فصلِي محبّك أو ذرِي

لابدّ منك علىَ نوى وتَلاقِ

أما رواية العسقلاني فهي :

(الرجز)

أنت المُنَى فصلي محبّك واهجري

لابدّ منك علىَ نوى وتَلاقِ

لم يقتصر الاختلاف في الروايات على ما مثلنا به، فقد وقع الاضطراب، والاختلاف في كثير من أشعار القضاة لا يتسع المقام لذكرها جميعا، فاكتفينا بالأمثلة السابقة.

مقدار ما وصلنا من شعر قضاة غرناطة وأهم مصادره:

بلغ مجموع أبيات ما وصل إلينا من شعر قضاة غرناطة ألفاً ومائتين وثلاثة وتسعين بيتا شعريا، وُزعت على أربعين قصيدة ومائة وعشرين مقطوعة في مختلف الأغراض الشعرية، سيتم دراسة أهم هذه الأغراض في المبحث الخاص بها ... إن شاء الله تعالى.

اعتمدت في جمع ودراسة هذه الأشعار على جملة من المصادر، وكتب المختارات، خاصةوإننا فقدنا جزءاً كبيراً من أشعارهم المدونة في دواوين القضاة، التي تُعد في طي الفقد و الضياع كما أشرنا إلى ذلك سابقا. وسأعمد فيما يلي على التعريف بعجالة بأهم هذه المصادر وهي:

1- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، للسان الدين بن الخطيب ترجم في هذا الكتاب لمائة وثلاث رجل، وقام بتوزيع المترجم لهم على أربع طبقات:

القسم الأول : طبقة الخطباء والصوفية .

القسم الثاني : المقرئين والمدرسين .

القسم الثالث : القضاة .

القسم الرابع : الكتاب والشعراء .

تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يعد مصدراً هاماً جدا لدراسة شعر قضاة غرناطة، حيث ترجم فيه ابن الخطيب لسبعة وعشرين قاضياً من القضاة المعنيين بالدراسة، بلغ مجموع ما أورده لهم من أبيات، (سبعمائة واثنين وأربعين) بيتاً شعرياً، وهو يمثل معظم نتاجهم الشعري

2- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب :

يعد هذا الكتاب من أهم المصادر لدراسة تاريخ الأندلس وأدبها، وغرناطة على وجه الخصوص.

ترجم فيه لسبعة عشر قاضياً، فعدد مشايخهم ونبذاً من حياتهم، وأورد جملة صالحة من أشعارهم بلغت (ستمائة وأربعين) بيتاً شعرياً في مختلف أغراض الشعر، منها عدد من القصائد والمقطوعات لم يذكرها ابن الخطيب في الكتيبة.

3- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان - لإسماعيل بن الأحمر:

خصص فيه الباب الثالث والسابع والثامن والتاسع لشعراء المائة الثامنة من ملوك وكتاب وقضاة وفقهاء، ترجم فيه لستة من قضاة غرناطة، بلغ عدد أبيات شعرهم الذي أورده (مائة وستة وأربعين)بيتاً شعرياً .

4- اللمحة البدرية في أخبار الدولة النصرية :ألفه ابن الخطيب في تاريخ دولة بني الأحمر، وقسمه إلى خمسة أقسام، القسم الأول عن ذكر غرناطة، والثاني في أقاليمها، والثالث عن أمراء غرناطة، والرابع عن عادات أهل غرناطة، وأوضاعهم، والخامس عن ملوك الدولة النصرية .

لهذا يعد هذا الكتاب_رغم صغر حجمه_ مصدراً هاماً من مصادر التعريف بتاريخ غرناطة، ورغم قلة ما ورد فيه من أشعار للقضاة التي بلغت (اثنين وسبعين) بيتاً شعرياً فإن أهميته ترجع إلى أنه المصدر الوحيد الذي ذكر فيه قصيدة الرثاء للقاضي ابن شبرين في رثاء محمد بن إسماعيل. (1)

1- ينظر ابن الخطيب ، اللمحة 98- 100

المبحث الثانى:

أهم أغراض شـعر القضاة

- المديـح النبوى
- الغـــــــزل
- أغراض غريبة
- الرثـــــــاء
- الوصـــــف
- المديـــــح
- الحكم والنصح
- الزهـــــــد
- الهجـــــاء

قبل أن نبدأ الحديث عن أهم أغراض القضاة الشعرية، لابد أن نشير إلى ما أوضحناه سابقا عن ضياع، عدد من دواوين القضاة وفقدانها، وبعض أشعارهم التي لم تصل إلينا كاملة، وعلى ذلك سيتم دراسة أغراضهم الشعرية من خلال ما وصل إلينا من نتاجهم الشعري، من المصادر التي توفرت لدينا.

فقد تنوعت وتعددت أغراض القضاة الشعرية، ودراسة هذا التراث المتبقي من شعرهم تجعلنا نفرد الحديث عن أهم هذه الأغراض، وأكثرها نظما مرتبة من حيث عدد أبياتها من الأكثر إلى الأقل، ومن خلال تتبعنا لما قمنا بجمعه من شعر القضاة، ومن خلال العمل الإحصائي، وجدنا أن شعر المديح النبوي قد تصدر هذه الأغراض، يليه شعر الغزل، ثم أغراض غريبة، ثم الرثاء، ثم الوصف، ثم المديح، ثم الحكم، ثم الزهد، فالهجاء .

وسيتم_ إن شاء الله تعالى_ الحديث عن كل غرض، محاولين إيضاح منهج القضاة فيه.[1]

- المديح النبوي:

كانت لثقافة القضاة الدينية، ومكانتهم الاجتماعية دورٌهامٌ في ظهور المسحة الدينية في شعرهم، فكان اهتمامهم بقصائد المديح النبوي، وما تتضمنه من وصف مشاعر الشوق لزيارة الأماكن المقدسة، وذكر خصال الرسول الكريم ومعجزاته، وهي مضامين تقليدية، حرص القضاة على تضمينها قصائدهم، وكان الغالب على مقدماتهم شكوى الوجد، ولوعة الشوق كما يقول المنتشاقري في قوله:[2] (الكامل)

لمّا تَناهى الصَبُّ مِنْ تشويقِه ... دُرَرُ الدُّموع اعْتَاضَها بعقيقِه

مُتَلَهِّفٌ وفُؤادُهُ مُتَلَهِّبٌ ... كيف البقاءُ مع احتدام حريقِه

وله قوله أيضا ما يُظهر حنينه وشوقه لهذه الأماكن، حين يقول في مطلع قصيدته:[3]

---

[1] ينظر الجدول رقم (1) بيان هذه الأغراض

[2] ابن الخطيب - الإحاطة 381/4

[3] المصدر السابق 383/4

(الطويل)

إليك تحنّ النُّجب والنُّجبـــاءُ فهمْ وَهيَ في أشْواقهم شُرَكاءُ

تَخُبُّ بركابٍ تخُبُّ وصُولها لأرضٍ بها بادٍ سَنَى وسَنـــاءُ

وعند الوصول إلى الأماكن المقدسة يستمر شعور الشوق والوجد ملازما صـــاحبه، فتتيمـــر دموعه من شدة الوجد، وما يمثل ذلك قول القاضي خالد البلوي:[1]

(الكامل)

قدْ أمكنَ الوصلُ الذّي أمّلتُهُ وكذاكَ حُبي أمكنتْ أسْـــرارهُ

قدْ كان عندي لوعة قبل اللقا والآن ضـــاعف لوعتي ابصارهُ

رفقاً قليلاً يا دُموعيَ اقصري فالدّمعُ يحسنُ في الهوى اقْصارهُ

وتضمنت قصائد القضاة في المديح النبوي الحديث عن معجزاته- صلى الله عليـــه وســـلم- كحنين الجذع، وانشقاق القمر، وغيرها مما ذُكرت في كتب السيرة.

من ذلك قول القاضي المنتشاقري عن معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام: [2]

(الكامل)

والمعجزات بدتْ بِصدقِ رسُولهِ وحقيقهُ بالمأثرات خليـــقُه

كالظبي في تكليمه و الجذْع في تحْنينهِ والبدر في تشقيـــقهِ

والنّـــار إذ خمدت بنورِ ولادهِ وأجاجُ ماءٍ قد حلا من ريـــقهِ

والزاد قل فزاد من بركاتـــــهِ فكفى الجُيوشَ بتمْرهِ وسَويقهِ

ونُبوع ماءِ الكفّ من آيـــاتهِ وسَـــلامُ أحْجار غَدتْ بطَريقهِ

وظفرت صفات الرسول عليه الصلاة والسلام وجبريل الأمين بنصيب وفير بين موضوعات المدائح النبوية، من ذلك قول القاضي ابن شبرين: [3]

(الكامل)

أدى أمـــانته أمينٌ ناصـــحٌ في السدرة العلياءِ طابَ مقيله

ووعاهُ عنه مُصطفى متخيّرٌ صحّتْ رســـالتُهُ وصدّقَ قيلُه

فلقد ما قد أحْسنا في أمْرهِ هذا مُحمدهُ وذا جبْر يـــــله

1- ابن الخطيب الكتبية 136

2- ابن الخطيب- الاحاطة 3/674

3- ابن الخطيب - الكتبية 108

وقول القاضي خالد البلوي مضمنا ذكر الأماكن المقدسة مع المديح فيقول:[1]

(الكامل)

هذي منازلة المعظمـــــةُ التي ... جـــبريلُ رَدّدَ بينهـــا تكـــــرارهْ

هذي مَواضعُ مَهبط الوَحي الذي ... تَشْفِي الصُّدورَ من العَمى استظارهْ

هذي مواطنُ خيرِ من وطئ الثرى ... وعَلا على السّبع العلا اســتقرارهْ

ملأ الوجودَ حقيقةً إشـــــــراقُهْ ... فأضـــــاءَ منه ليـــلهُ ونهـــــارهْ

أما التوسل إلى الله تعالى وطلب مغفرته ورجاء رحمته والاستشفاع بالرسول الكـريم، هـي من أهم ما تضمنته قصائد المديح النبوي، فلا تكاد تخلو قصيدة من طلب العفو والرحمة، ثـم الصلاة والـسلام على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كختام للقصيدة.

من ذلك قول القاضي خالد البلوي: [2]

(الكامل)

أيضيعُ من زار الحبيبَ وقد رأى ... أن المزور ببـــــابه زوّارهْ

أيخيبُ من قصـــدالكريمَ وعندهُ ... حُسنُ الرّجاءِ شعارُهُ ودثاره

ايؤمُّ بابَـــكَ مســـتقيلٌ عـــاثرٌ ... فيردّ عنكَ ولا تُقالُ عِثـــارهْ

ومنها كذلك في المعنى نفسه: [3]

وافى حمـــــاكَ يفرُّ من زلاّته ... وإليك يا خيـــرَ الأنام فرارهْ

وأتاكَ يلتمسُ الشّفاعة والرجا ... يقتـــادُهُ و ظنونُهُ أنْصـــارهْ

والعبدُ معتذرٌ ذليـــلٌ خاضعٌ ... ومُقصـــرٌ قد طوّلتْ أعذارهْ

ثم يختتم قصيدته بالصلاة والسلام على الرسول عليه الصلاة والسلام فيقول: [4]

فامننْ وسامحْ وأعفُ واصفحْ واغتفرْ ... فلأنتَ ماحٍ للخطـــا غفّـــارهْ

صلى عليـــكَ الله ما حيّا الحيـــا ... روضَ الربى وترنمتْ أطْيارهْ

1- ابن الخطيب - الكتيبة 135
2- المصدر السابق 136
3- المصدر السابق نفسه
4- المصدر السابق 137

ومن أمثلة ذلك أيضا قول القاضي المنتشاقري: [1] (الكامل)

يا خيرة الأرْســـال عند إلهه ... يا مَحْرز العلْيا على مخلوقــه
علقْت آمالي بجاهك عـــــدة ... والقصد ليس يخيبُ في تعليقه
ووثقت من حبل اعتمادي عُمدة ... لتمسّـــكي بقويّه ووثيقـــه

ثم يختم قصيدته بقوله: [2]

وتحية التّسـليم أبلغ شـــافعي ... وثنا المديح حديثه وعتيقه
ولذي الفخار وذي العلى ووزيره ... صدّيقه وأخي الهدى فارُوقه
منّي السّـــلام عليهم كالزهر في ... تأليـــفها والزهرُ في تأليفه

ومن مضامين المدائح النبوية، المعاني الصوفية، وقد عد الشعر الصوفي من أرقى أنواع الشعر الديني[3] فقد تضمن شعر المديح النبوي عند قضاة غرناطة بعض اللمحات الصوفية من خلال التعبير عن المحبة، والأنوار، والحجاب.

من أمثلة ذلك ما يظهر في قول القاضي المنتشاقري: [4]

(الكامل)

لله أرْبـــاب القلوب فإنّـــهم ... من حزْب من نال الرّضا وفريقه
قامُوا وقد نام الأنام فنورُهم ... هتْك الدّجى بضيائه وشُـــروقه
وتأنّســـوا بحبيبهم فلهم به ... بِشْـــرٌ لصدق الفضل في تحقيقه

وللقاضي ابن شبرين قوله: [5]

(الكامل)

كمْ تحت هذا اللّيل من متململٍ ... مُتعلقٍ خَرقَ الحجاب عويله
من كلّ من راقتْ أسرةَ وجهه ... وحلا له بين الأنام خمُـوله

وبعد أربعة أبيات يقول :

يا حاضراً عندي وليس بجائزٍ ... إدْراكهُ إن العقول تحيّـــــله
يَا غائباً عن نَاظري ولم يغبْ ... إحْســـانُهُ عني ولا تنويـــله

1- ابن الخطيب الإحاطة 384/4
2- المصدر السابق نفسه
3- ينظر التفرائط - ابن الميلب الغرناطي 156
4- ابن الخطيب- الإحاطة 382/4
5- ابن الخطيب الكتيبة 168

ـ الغزل:

في بيئة العرب كان كل شيء يدعو للحب والتغزل، فخلف الشعراء وراءهم فيضاً من شعر الغزل الرائع، كذلك الحال في بيئة الأندلس فقد ذاع هذا النوع من الشعر بين الشعراء، وبين قضاة الأندلس كذلك.

وهنا يأتي السؤال كيف احتل شعر الغزل المرتبة الثانية بين أغراضهم الشعرية؟ سؤال يطرح نفسه حين نطالع بعض الآراء التي توحي بوجوب تجنب النظم في هذا الغرض لمن احتل مركزا دينياً، أو اجتماعياً مرموقاً، فقد عزف ابن الجياب عن النظم في غرض الغزل وسبب ذلك يعود- في نظر الدكتور النقراط- إلى تربيته الدينية، ومركزه الاجتماعي والسياسي، وجعلها أموراً لا يستقيم معها هذا اللون من الشعر، ولأن الشاعر ابن الجياب قد عد هذا اللون هزلاً لا يجب القول فيه، [1] وفي هذا الرأي جور وظلم بين، فكيف يمكن أن يتناسى هؤلاء الجانب الإنساني للقضاة، ومشاعرهم الخاصة، فالغزل غرض وجداني صميم، فيه نغم الحب، وحكاية القلب. وهذا ما لا ينكره الدين، بشرط أن لا يخرج بغزله عن شروط التحشم، فقصيدة (بانت سعاد) في مدح الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ذات مقدمة غزلية ولم ينكرها الرسول مطلقاً .

وشعر القضاة الغزلي هو في معظمه من الغزل العفيف العذري، ما كان ليتجاوز وصفاً لمشاعرهم، ولوعة هواهم، و تدور معاني شعر الغزل عند قضاة غرناطة حول معاني تقليدية، فلم يأتوا بشيء جديد إنما كرروا معاني من سبقوهم وقلدوها.

فما هي أهم مضامين شعرهم الغزلي ؟

1ـ ينظر ابن الجياب حياته وشعره 287 ، وابن رشيق ،أبي علي الحسن ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، طبعة خامسة ، 1981م ، 117/2.

كثر في شعرهم الغزلي الوصف لحال المحب وما آل إليه من تحول وضعف ،ودموعه المنسابة على فراق الأحباب لهي خير دليل على ذلك، وفي أن داء الحب لا تنفع فيه معالجته الرقيةولا الطبيب، وكان التأثر بعشاق العرب، وذكرهم وأسماء محبوباتهم شيئا بارزا في أشعارهم .

فمن الأشعار التي جاءت فيه وصف لحال المحب وما يعانيه من لوعة الحب، وألم الفراق فكان سببا في تحول جسمه، ورقته، حتى وكأنه لا يدرى أين مكانه ،قول القاضي محمد بن يحيي: [1] [2]

(الخفيف)

آه من لوْعتي ومما أُعاني ... ضاقَ صدْري بالسرّ والكتْمانِ
كنْتُ أُخْفي عن الوشـــاةِ إلى ... أن فضحتني بدمْعـــها أجفاني
ولئن دامَ يا خليـــــلَيّ ما بي ... فاحسباني بالحبِ لا شـــكّ فانِ
وتحوّلي على غرامي دليـــلٌ ... شـــاهِدٌ بالذي يَجِنُّ جِـــناني
مُذْ زمانٍ قدْ كنتُ أُخفى ولكنْ ... من تحولي لم يدْرِ منّي مكاني

كما يعبر عن المعنى ذاته قول القاضي محمد بن يوسف [3] الذي يقول:[4]

(الكامل)

أعدْ التفاتَكَ في الهَوى لمتيّم ... يشْـكو النّوى من ظالمٍ متظلّمِ
لوْ كُنْتَ تسمحُ بالتفاتك ساعةً ... لرأيتَ كيفَ أذابَ حبّكَ أعظمي
جِسْمٌ نَحيلٌ لو وقفتَ برسْـمِه ... لعرفتَهُ من بعدِ طُـــولِ توَهُّمِ
أخفى الضنى جَسَدي فصارَ كأنه ... معنىً خفيا في كـــــلامٍ مبهمِ

أما كثرة الدموع المنزرفة من عين المحب لما يقاسيه من فارق حبيبه، فنجد ذلك في قوله: [5]

(الكامل) .

ولنارِ شوْقي في الضلوعِ توقد ... ويزيدها دمعي التهاب تضرمِ
وعجبتُ منْ ضدين كيفَ تجْمَعا ... النّارُ تضرمُ والمدامعُ تنْهمي

---

1. هو محمد بن يحيى بن غالب ممن ينتحل الأدب. اشتهر بشعره ينظر - ابن الخطيب - الكتيبة 103
2. ابن الخطيب الكتيبة 104
3. هو محمد بن يوسف بن الجفاتة يكنى أبو القاسم من صدور القضاة ركب جياد النثر والمنظوم، ينظر ابن الخطيب - الكتيبة 108
4. ابن الخطيب - الكتيبة 109
5. المصدر السابق نفسه

فالشوق أصبح نارا تحرق أضلاعه، ويزيدها اشتعالاً دموعه المنهمرة، مع العجب في اجتماع الضدين النار في القلب، وماء الدمع المنهمر، ومنه كذلك قول القاضي الشريف السبتي: [1] (الوافر)

كَفَفْتَ المقْلتين ليشْـــهدا لي ... فجَرّحت الدُّموعُ الشّاهدين
فلو أبْصَرت ناظريَ المعنّى ... وماءُ الدّمْعِ فوْق الوجَنَتَيْنِ
بَصُرتَ بوردتينْ يَسحُّ منْهما ... سكيبُ القطْرِ فوْق بَهارتَيْنِ

وداء الهوى لا يبرأ منه المحب وإن استعان عليه بالطبيب، أو الراقي.

وفي هذا المعنى يقول القاضي البلفيقي: [2]

(الكامل)

داءُ الهَوى ما إن أدينْ ببرْئه ... ما للطّبيـــب ولي، وما للرّاقي ؟
هي علة أو سكْرَة لا تُرتَجَى ... صَحوا، وكَيْف وما عدمتُ السّاقي

وتتضمن المعنى ذاته مقطوعة القاضي المنتشاقري الذي يقول فيها: [3]

(الخفيف)

لوْعةُ الحبِّ في فُؤادي تَعاصت ... أن تُداوى لو أتى ألفُ راقِ
كَيْف بُرْئي من علةٍ و عليْهَـا ... زائدٌ علةُ النّوى والفـــراقِ
فانْسكابُ الدموع جارٍ مجـــارٍ ... والْتهابُ الضّلوع راقٍ فراقِ

والغزل الجيد ينبغي" أن يكون دالا على شدة الصبابة، وإفراط الوجد، والتهالك، في الصبوة، وأن يكون بريا من دلائل الخشونة، والجلادة، وإمارات الإباء، والعزة "[4]

وخير ما يمثله قول القاضي محمد بن شعبة حين يقول: [5]

(الرجز)

يبْلى علَى مـــرّ الجديـــدين الهوَى ... وهواكِ يا ليلى جديـــدٌ بـــاقِ
قد رقّ من فَرط الهوَى جسمي فهل ... لي في الهوَى من مُشْفقٍ أو راقي

---

1. ابن الأحمر - نثير فرائد الجمان 274- ونثير الجمان 148
2. ابن الأحمر - نثير الجمان 158- 159
3. ابن الخطيب - الكتيبة 122
4. العسكري- أبي هلال الحسن بن عبد الله- كتاب الصناعتين- تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، طبعة ثانية، بدون تاريخ 135
5. ابن الخطيب - الكتيبة 116

ما ذاق قيسٌ في الهوى ما ذقته كلاً ولا أحـــدٌ من العشّـــاق

وقد جمع القاضي محمد بن شعبة في مقطوعته مضامين الشعر الغزلي من وصف شدة الوجد والشوق، والبكاء للفراق، والاستعانة على داء الحب بالراقي، وذكر مشاهير العشاق كقيس، وحبيبته ليلى.

ومن أشهر عشاق العرب توبة بن الحُمَيِّر[1] الذي جاء ذكره في قول القاضي الشريف السبتي[2]: (الوافر)

أهيج لها الهوى وتهيجه لي فنلتقي في الهوى متطارحين
وقد هاج الحمامُ الوجدُ قبلي لتوبـــة عند بطن الواديين

سبق أن أشرنا إلى أن شعر قضاة غرناطة في معظمه شعر عذري عفيف، غير أن ذلك لا ينفي وجود بعض الأبيات التي خرج صاحبها عن نهج القضاة في غزلهم العذري، من ذلك مقطوعة للقاضي الشريف السبتي يقول فيها: [3]

(الوافر)

ظفرتُ بشمها فبدا احمرارٌ بوجنتها يزيدُ القلب وجدا
فأغراها بي الواشي فظلتْ تلومُ ولم أكنْ ممنْ تعدى
فما كانتْ سوى قُبلٍ بعين جنينَ أقاحيا غرستْ وردا

ـ أغراض غريبة:

بالإضافة إلى أغراض الشعر التقليدية التي نظم فيها القضاة أشعارهم فقد ضمنت بعض أشعارهم أغراضاً غريبة بعض الشيء لكونها غير مألوفة، وقد انفرد بالنظم فيها بعض القضاة دون غيرهم كالقاضي البناهي، والقاضي البلفيقي.

---

1. هو توبة بن الحمير من بني عقيل شاعر من عشاق العرب المشهورين، كان يهوى ليلى الأخيلية، ينظر ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، 350.
2. ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان 263، ونثير الجمان 148.
3. البناهي، المرقبة العليا 175، وكنون، عبد الله الحسني، نكبات مشاهير رجال المغرب والأندلس، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ 21/2.

فمن قصيدة للقاضي البناهي في الرقية هذه الأبيات: [1]

(الطويل)

أعيـــذُ مَنْ يَمْسِي عليــه مُعلقاً ... حِجَابِي بطه أو بياسـين و الخَمسِ
من الجنّ والعُمّــار أوأم ملـــدَمٍ ... وتلكَ هِي الحمّى ووَسْــوسة النّفسِ
ومنْ أمّ صِبْيَانٍ وسِــحرٍ وبَغضَةٍ ... ومن رَبطِ ذي عِرسٍ تكلفَ في عِرسِ
ومن سَــاكنِ الحَمّامِ والفُرنِ والرّحَى ... ومن سُــاكنِي قبرِ القَتيلِ من الإنْسِ
ومن غُولةٍ في القَفْرِ أو صَوتِ هاتفٍ ... ومن وَجَعٍ في الرّأسِ يَخرجُ عن حسِ

وهذه الرقية على ما يبدو منها لا تُعد من الرقى الشرعية، فكيف لقــاض كالبنــاهي يــؤمن بالحجاب ويجعله وقاية من الجن والسحر وغيرها من الأشياء التي تكون غير موجودة أصــلا كالغول، وأم الصبيان؟ فهل جاءت قصيدته على سبيل الطرافة، والدعابة ؟ أم للتهكم عن مــن يفعل هذا ويعتقده ؟

ونورد أبياتاً أخرى من القصيدة توضح كيفية التعامل مع الحجاب، وقد توحي لقارئها بشــيء من الجدية حين نقرأ قوله: [2]

بهر شَاهياً هر شَاهياً و شَراهياً ... وباسمِ عظيمٍ جاء في آيةِ الكرسي
فخُذهُ على طُــهرٍ ولا تَدْخُلَنْ به ... خَلاءً واســمَ الله نَزهُ عن الرجسِ
ونحّه إن جامعت زوجــك يا أخي ... إلى أن تجيدَ الطُهر من ذلكَ النَّفسِ
وجلّدهُ واغْســلهُ بِمَاءٍ وحِلّ فيه ... ما سُــــنته من زعفرانٍ ومن ورسِ
وتشّر به واشــــربهُ لكلّ أذايةٍ ... ترى النفع حقاً حِين تُصبحُ أو تُمسي

وقد استنكر ابن الخطيب على البناهي قوله ذلك، وفي رد البناهي عليه ما يدل على أنه كــان يستعمل الرقية بالفعل، إذ يقول " وكذلك رأيتكم تكثرون في مخاطبتكم من لفــظ الرقيــة، فــي معرض الإنكار لوجود نفعها، والرمي بالمنقصة، والحمق لمستعملها " [3]

---

1. ابن الخطيب، الكتيبة 149 - 150
2. المصدر السابق 150
3. المقري، نفح الطيب 5/47

أما القاضي البلفيقي فقد انفرد بعدد من القصائد، والمقطوعات خصها لأغراضه الغريبة، ونقول بأنها غريبة لأنها خرجت عن المألوف، ففي قصيدة له يمدح فيها الأعداء ويذم الأصدقاء هذه الأبيات التي يقول فيها:[1] (المتقارب)

جزى الله بالخَيرِ أعْدَاءنا ... فموردهم أنْسَى المَصْدَر
هم حَمَلونا على العُرْفِ كُرْهاً ... وهم صَرَفونا عن المنْكرِ
وهم أقْعَدونَا بمَجلس حُكْمٍ ... وهم بَوّؤونا ذُرَى المِنبرِ
وهُم صَيّروا أئِمة عِلْمٍ ودِينٍ ... وحَسْبُكَ من مَفْخَرِ

ومنها يذم أصحابه فيقول: [2]

ولا زوَدَ الله أصْحَابنا بـ ... ـزادِ تَقِيّ ولا خيرِ
هم جَرّؤونا على كُلِ إثمٍ ... وما كنتُ لولاهُم بالمُخْبِر
وعدُّوا من إكبارِ آثامِنا ... فكانُوا أضرَّ من الفَاترِ

وقال القاضي البلفيقي معلقا على قصيدته هذه بقوله " ما رأيت هذا المعنى قط لأحد "[3]

ومن قصائده التي جاءت بغرض على غير المألوف، أو المعتاد قصيدة يذم فيها الزهاد منها قوله:[4] (البسيط)

لا بارك الله في الزُّهادِ إنّهمُ ... لم يتْركُوا عَرَضَ الدُّنيا لفَضْلِهمِ
بل أثْقلتهم تكاليفُ الحياةِ فلم ... يُصايروها فملُّوا ثِقْلَ حَمْلِهمِ
وعظَم النّاس منهم تَرْكُها فغدوا ... من غبطةِ التّركِ في حِرصٍ لأجْلِهمِ

ولعل بغضه للزهاد لمن يدعي الزهد رياء ...

ومن قصائده التي وُصفت بأنها غريبة، قصيدته التي يقول فيها:[5]

(الكامل)

خُذْها على رغمِ الفقيهِ سُلافة ... تَجلَى بها الأقْمارُ في شمسِ الضّحى
أبْدَى أطِبّاءِ القُلوبِ لأهْلِها ... منها شَرَاباً للنفُوسِ مُبرّحا

---

1. ابن الخطيب - الاحاطة 165/2
2. المصدر السابق 166/2
3. المصدر السابق نفسه، وقد عُرف عن هذا القاضي أنه" كان سيل النظم، غريب النزعات، يغرف من بحر، ويتحت من طود" ينظر ابن فرحون- الديباج 386
4. ابن الخطيب- الاحاطة 163/2
5. المصدر السابق 157/2

وإذا امْرُؤٌ قال في نَشْـوانهَا قل أنْتَ بالإخْـلاَص فيمن قد صَـحا
ياقوتـة دارتْ على أرْنَـابهَا فاهْتَزت الأقْـدامُ منْـها والنُّحـا

_الرثاء:

الرثاء بمعناه العام هو ذكر مناقب الذاهبين، والتعبير عن الحسرة لفقدان عزيـز، وإظهـار اللوعة لفراقه.

وقد عرف العرب ثلاث أساليب في الرثاء[1] وهي:

الندب:/ يقال هذا في المناحات من بكاء، ونواح على الميـت.

التأبين:/ يتخذ شكل الثناء على الميت ذاكرا فضائله، ومحامده.

العزاء :/ يتجه إلى التفكير في رحلة العمر، ومصير الناس.

والأندلسيون لم يختلفوا عن المشارقة في ذلك من حيث التفجـع علـى الميـت، ووصـف مصيبتهم بفقده، وتعداد لمناقبه.[2] "والرثاء عند القضاة سبيله سبيلهم في المدح، إنما يرثون من يحظى بحبهم، وتقديرهم، كذويهم، ومشايخيم من أهل العلم والدين، أو من يحقق مراد الله فـي إعلاء كلمة الله"[3] وإن كان الرثاء عند الأندلسيين قد سار في اتجاهين:

اتجاه رثاء الأقرباء والأصفياء، وهو ما تتجلى فيه العاطفة الصادقة، واتجاه أخر وهـو رثـاء الملوك والسلاطين، وفيه تحجب العاطفة الصادقة.

والرثاء عند القضاة اتخذ الاتجاه الثاني عن رثاء السلاطين، والمشايخ، وفي رثاء الأقربـاء لم نجد سوى قصيدة واحدة للقاضي النميري[4] في رثاء خاله يقول في مطلعها: [5]

(الطويل)

هو الخطبُ هل عجب به قيسُ عيلان نشيج الخجيج استقبلوا شعب نعمان

1- ينظر الحاج- حسين حسن- أدب العرب في الجاهلية- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت- طبعة ثالثة 1997م 44
2- ينظر الركابي- حوشت - في الأدب الأندلسي - دار المعارف- 14
3- كنون- عبد الله الحسني - أدب الفقهاء- دار الثقافة للنشر- الدار البيضاء- الطبعة الأولى 1988م 147
4- هو إبراهيم بن عبد الله النميري- ولد عام(713 هـ)-و توفي عام (768 هـ)- ترجمته في ابن الخطيب - الكتيبة 2/61، والإحاطة 1/342، وابن الأحمر - نثير فرائد الجمان 313
5- ابن الأحمر- نثير فرائد الجمان 314

والقصيدة على طولها تفتقد إلى العاطفة الصادقة من إظهار الحزن والتفجع على الفقيد.

ومن رثاء القضاة للسلاطين مقطوعة للقاضي ابن شبرين، يرثي بها السلطان محمد بن إسماعيل يقول فيها: [1]

(الخفيف)

عينٌ بكي لميت غادروه ... في ثراه ملقى وقد غدروهْ
دفنوهْ ولمْ يُصلِّ عليه ... أحدٌ منهم ولا غسّلوهْ
إنّما مات يومَ مات شهيداً ... فاقاموا رسمّاً ولم يقصدوهْ

نلمس سطحية المعنى وفتور العاطفة، وعدم تغلغلها في أعماق نفس القاضي، وربما كان ذلك للضرورة الاجتماعية التي أملت عليه أن يرثي هذا السلطان.

ورثاء القضاة هو أقرب إلى التأبين، واصطناع كثير من المعاني المألوفة بذكر سجايا الميت وصفاته، وتصوير فداحة الخسارة بفقدانه.

ما يمثل هذا قول القاضي ابن شبرين:[2]

(الكامل)

بحر العلوم وصدرها ... وعميدها إذ لا عميد
قد كان زيناً للوجو ... د ففيه قد فُجع الوجود
العلمُ والتّحقيقُ والتوفيقُ والحسبُ التليد

والقصيدة في مجملها تسير على ذات النهج من الثناء على المتوفى، وتعدد مناقبه، وخصاله، فتبدو وكأنها قصيدة مديح، وهو ما أشار إليه النقاد حيث ليس بين المرثية، والمدحة فضل إلا أن يذكر فيه اللفظ ما يدل على أنه لهالك.[3]

نجد مثالاً لذلك في قصيدة القاضي ابن شبرين يرثي القاضي خالد البلوي حين يقول: [4]

---

1. ابن الخطيب - اللمحة 102، والاحاطة 544/1
2. ابن الخطيب- الاحاطة 153/3
3. ينظر ابن رشيق - العمدة 147/2
4. ابن الخطيب- الاحاطة 222/3

(البسيط)

باقٍ على العهد لا تُثنيه ثانية ... عن المكارم في وِرْدٍ ولا قُرب
سهل الخليقة بادي البِشْر منبسط ... يَلْقى الغريبَ بوجه الوالد الحدب
كم غيّر الدّهرُ منْ حالٍ فقلّبها ... وحال إخلاصه مُمتدّة الطُّنب
سامي المكانة مَعْروف تقدّمه ... وقَدْرُه في ذَوي الأقدار والرُّتب

وما ينبئ عن أنها قصيدة رثاء كلمة كان في البيت التالي:

أكْرِم به منْ سَجايا كانَ يَحْمِلُها ... وكُلُّها حَسَن تُنْبيك عن حَسَب

نلحظ في مجموع ما وصل إلينا من مراثي القضاة تفرد القاضي ابن شبرين[1] بمعظم هذه المراثي التي تنوعت بين قصائد، ومقطوعات، وجميعها نُظمت في رثاء إما السلاطين، أو أحد المشايخ والقصيدة الوحيدة في رثاء الأقرباء كانت للقاضي النميري في رثاء خاله، وهي كذلك خلت من وجود عاطفة الحزن، ولم نجد رثاء عند غيرهم من القضاة فهل فقدنا ذلك القسم من أشعارهم فيما ضاع من أشعار القضاة؟ أم لم تسعفهم قرائحهم للنظم في هذا الغرض؟.

كما نلحظ في شعر الرثاء عند القضاة عدم وجود رثاء للمدن، والممالك في الأندلس تلك المدن، والممالك التي كانت تسقط تباعا في أيدي الأسبان، وقد تميز القرن الثامن الهجري بغزارة النتاج الشعري في هذا الغرض [2] فلماذا لا نجد في أشعارهم رثاء لتلك المدن والممالك؟!

هل للأسباب سابقة الذكر أيضا ؟!

1- فقد قال عنه ابن الخطيب "كان على فصاحة ظرفه، وحمل روايته، غراب قربه وناقلة مثله" الإحاطة 543/1

2- ينظر في غزارة النتاج الشعري في هذا الغرض بهجت مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، بدون تاريخ 305.

_الوصف:

يقوم الوصف على شرح حال الشيء وهيئته، على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع، لذا قال قدامة بن جعفر عند تعريفه للوصف " الوصف إنما هو ذكر الشيء على ما فيه من الأحوال والهيئات .... "[1]

وقد عرف الأدب العربي الوصف منذ عصوره الأولى، فوصف الشعراء كل ما تقع عليه أعينهم من مظاهر الطبيعة المختلفة.

كذلك الحال عند شعراء الأندلس "حيث أبانوا فيه عن عبقرية خاصة عندما تعرضوا لوصف جمال الطبيعة، ووصف العمران، ومجالس اللهو، والطرب ..."[2] وكان "الوصف بعامة من أوسع أغراضهم، فأكثروا منه وتفننوا فيه حتى بدا شعرهم يمتاز بالرقة، والجمال، وتنوع الصور، وسعة الخيال" [3]

وقضاة غرناطة ضربوا بسهم في هذا الغرض الشعري، فظهر غرضاً مستقلاً، وفي وصفهم لم يتركوا شيئا إلا وصفوه من مظاهر الطبيعة، _وإن كانت لم تنل حظاً وفيراً في وصفهم _فوصفوا القصور، ووصفوا الخيل، والقلم .

من وصف القضاة للطبيعة، وصف ثمار النارنج، وهي مما اشتهرت بها غرناطة.

يقول القاضي أحمد بن عبد الحق: [4] [5] (الكامل)

وثمارُ نارنج تُرى أزهارهُ ... مع فانيِ النّارنج في تنضيدِ

فإذا نظرت إلى تآليفها أتتْ ... كمَباسمٍ أوْمتْ للثم خُـدودِ

---

1. نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ 130
2. ينظر - الركابي، في الأدب الأندلسي 120
3. الحصري، أحمد سليم، ابن زمرك الغرناطي، مؤسسة الرسالة، طبعة أولى 1985م 154
4. هو أحمد بن عبد الحق الجذامي الأستاذ، من أهالي مالقة،كان جيد الشعر ينظر ترجمته ابن الخطيب - الكتيبة 123، والإحاطة 180/1
5. ابن الخطيب - الكتيبة 123، والإحاطة 182/1

فالقاضي قد أعجبه تنظيم ثمار النارنج، وقد جمعها القاني فوق بعضها فبدت وكأنها مباسم تتوسل لتقبيل الخدود.

وللقاضي أحمد بن عبد الحق في وصف الجدول قوله: [1]

(الكامل)

ومُنمْنَمِ الشطينِ منهُ خمائلٌ ... كالمشرفيّ قد اكتسى بفِرِنْدِهِ

فخمائلُ الدِّيباج منه خمائلٌ ... مُتعانقٌ فيها البهارُ بوردِه

وقدْ اختفى طوقٌ له في دوْحه ... كالسّيف رُدّ ذبابُهُ في غمدِهِ

يصف القاضي شطي الجدول المزخرف وكأنه السيف قد اكتسى بالجواهر، والشجر متعانق حوله، تمتزج رائحة الورود برائحة البهار الزكية، وقد اختفى طوقه في الشجر الكثيف كاختفاء السيف في غمده .

وللقاضي البلفيقي قصيدة يصف فيها بحيرة القصر منها قوله:[2]

(الطويل)

وعهْدي بِجرْيِ الماءِ يَسْفل دائماً ... فيَحنُو عليهِ الشارِبُونَ إذا يَجْري

وها هو يعلُو للسّماءِ تَشرفاً ... بِمجْريهِ مَسْرُوراً بما نَالَ من فَخْرِ

ومنها يصفها أيضا وكأنها العروس فيقول:

خلتُ الذي يَعلُو من الماءِ غادةً ... أتتْ عُرسَها تزهى به مُدّةَ العُمرِ

فأعجبها رقصٌ فحين تمايلتْ ... تَساقط حُليٌ زال عنها ولمْ تَدرِ

وصف بديع للماء الصاعد من البحيرة، فهو يعلو في السماء وكأنه إنسان فرح مسرور وقد تشرف بمن أجراه ويقصد هنا السلطان الذي أمر ببناء هذه البحيرة، ثم هذا الماء وكأنه فتاة حسناء في ليلة عرسها، تزهو وتتراقص فرحاً، وفي تمايلها تتساقط حليها منها ولكنها لم تدر لشدة فرحتها وبهجتها .

---

1. ابن الخطيب ـ الكتيبة 123، والإحاطة 1/183

2. ينظر ابن عزيز علي بن عزيز مختارات ابن عزيز، تحقيق عبد الحميد الهرامة، الدار العربية للكتاب، 1993م، 55

وقد وصف القضاة ما وجدوا حولهم من أشياء استعملوها في حياتهم اليومية، كوصفهم للقلم - الذي وصفه القاضي الخضر بن أبي العافية في قوله:[1]

(الطويل)

لك القلم الذي طال فخره ... وإن لم يكن إلا قصيراً مجوّفاً
تعلمّ منه السّيف أبدع حكمة ... فها هو أمضى ما يكون محرفاً

فهذا القلم وإن يكن قصيرا مجوفا، إلا أنه يطول بفخره، حيث تعلم منه السيف أجل حكمة .

ووصف القضاة الخيل بمعاني تقليدية، كان التركيز فيها على وصف ألوانها، وسرعتها.

ومن وصف الخيل قول القاضي البلفيقي: [2]

(الكامل)

الخيلُ تزحفُ بالكماة كأنّها ... بحرٌ وبيضُ الهندِ طافي الأمواج
من أشهب كالطّرس لاح الظفنُ في ... لِبَاته كسطورِ خطٍ مُدمج
أو أشقرٍ كالبرقِ أومضَ في دُجى ... نقْع بكراتِ الخيولِ مهيّج
أو أحمرٍ غرفت نواصيعُ نحرِه ... فغدت (....) كالخمرِ لمّا تُمزج
أو أصفرٍ لبس الأصيل وعرفُهُ ... كالنّيل فاضَ على الأصيلِ المُبهج
أو أدهمٍ كسوادِ عينٍ فتّحت ... وحُجولُهُ كبياضِها المتموج

وصفه للخيل كان رائعاً يكاد ينطبق عليه قول ابن رشيق[3] " أحسن الوصف، ما نعت الشيء حتى كاد يمثله عيانا للسامع "

وفي وصف الشيب قصيدة طويلة للقاضي ابن أبي العافية خصيا لوصف شيبه فيقول: [4]

(الكامل)

لاح الصّباحُ صباحُ شيبِ المفرقِ ... فاحمدْ سُراكَ نجوت مما تتقي
هي شيبةُ الإسلام فاقدرْ قدرها ... قد أعتقتك وحقّ قدرُ المعتقِ
خطّت بفوْدك أبيضاً في أسْودٍ ... بالعكسِ من معهود خط المهْرَقِ

---

1. ابن الخطيب- الكتيبة 182، والإحاطة 498/1
2. ابن عزيز- مختارات ابن عزيز 65
3. ابن رشيق - العمدة 94/2
4. ابن الخطيب- الكتيبة 180، والإحاطة 496/1

كالبرقِ رَاعَ بِسوطِهِ طرف الدُّجى ... فأعَاد ذُهْمته شَيَاتِ الأبْلَـــقِ
كالفجرِ يُرسِـلُ في الدجنّة خيطَه ... ويَحُوكُ ثوبَ ضيائه بالمشـرقِ
كالماءِ يسـتُره بقاعِ طُحلُـبٌ ... فتراهُ بين خلالِه كالزئبـــقِ
كالحيّـةِ الرقشـاءِ إلاّ أنّـــهُ ... لا يبرأُ المَلسـوعُ منه إذا رُقِي
كالنجمِ عَدّ لرجْمِ شـيطانِ الصّبا ... يا ليتَ شيطانِ الصّبا لم يُحرقِ
كتبسُّـمِ الزّنجيِّ إلاّ أنّـــهُ ... يُبكي العُيونَ بدمْعِها المُترقرِقِ

ومنها من جميل الوصف قوله: [1]

داءٌ يَعِزُّ عن الطّبيبِ دواؤُه ... ويضيعُ خُسراً فيهِ مالُ المُنفقِ
لكنه والحقُّ أصْـدقُ مقولٍ ... شينُ المُسيءِ الفعلِ زَيْنُ المُتقي

طالعنا في وصف القاضي وصف دقيق رائع للمشيب، أثرت ذكر معظم القصيدة لما تتضمنه من تشبيهات عدة أوردها القاضي للمشيب، و لما يوحيه هذا من تأثر القاضي بما اعتراه من شيب، حتى أنه شبيه بعدة أشياء متباينة، فهو تارة كالفجر، كالماء، كالحية، وتارة كالنجم، وكتبسم الزنجي، على ما بين هذه الأشياء من تباين واختلاف .

وفي النهاية فهو كالداء الذي يستحيل علاجه.

_المديح:

يعد المديح من أقدم الأغراض الشعرية عند العرب، رغم تأخر ظهوره عن الفنون الأخرى، كالتي يتغنى فيها الشاعر بعاطفته الخاصة كالغزل، والرثاء.

جاء المديح في عصوره الأولى مديحاً خالصاً، بعيداً عن التملق، والتصنع كمديح زهير بن أبي سلمى الذي كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه [2] ثم كان مديح الاتجاه الآخر، وهو مديح التكسب والعطايا. [3]

---

1. ابن الخطيب، الكتيبة (80)، والإحاطة (504/1).
2. ينظر قدامة، نقد الشعر 95
3. ينظر ابن رشيق، العمدة (97/1).

وكان شعراء الأندلس كإخوانهم المشارقة، وقد أكثروا من نظم المدائح حتى خَرّج كثير من شعرائهم أغراضهم في المديح كابن الجياب الغرناطي، وابن زَمرك[1] و كان المديح غرضا أساسيا في أشعارهما .

وبرز هذا الغرض في شعر قضاة غرناطة، لما كان للصراع القائم بين دولة بني الأحمر، وبين الأسبان من دور كبير في ضرورة استنهاض الهمم، ورفع معنويات الشعب فأحس القضاة بأن من واجبهم أن يساعدوا في ذلك من خلال ما يبثونه في مدائحهم من تمجيد بطولات السلاطين، والحكام، وتسجيل انتصاراتهم، لذا فقد طغت صورة الممدوح الذي ينصر الدين ويدافع عنه، وأصبحت كثيرة الورود في مدائحهم، ولم يكن ذلك لغرض التكسب فيهم في غنى عن ذلك بحكم وظائفهم، ومكانتهم الاجتماعية المرموقة لذا لا يشتم في شعرهم المدحي الاستجداء، أو طلب العطايا كعادة شعراء المديح.

فكيف كان نهج قضاة غرناطة في مدائحهم؟

جاء المديح في شعرهم غرضاً مستقلاً، ومقدمة القصيدة المدحية خالفت نهج القدماء الذين وضعوا مناهجاً يسيرون عليه في افتتاح مدائحهم، كاستهلالها بالنسيب، أو الوقوف على الديار ومناجاتها.[2]

وجاءت معظم قصائدهم بدون مقدمات، وإن كان استهل بعض القضاة قصائدهم بالتهنئة، وهي تعد مدخلا طبيعيا للدخول في الغرض الأساسي، وهو المديح.

من أمثلة ذلك قول القاضي أحمد بن يحيى [3] حين يقول: [4]

1- هو محمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف الصريحي يعرف بابن الزمرك ينظر ترجمته ابن الخطيب - الكتيبة 282، والإحاطة 303/2

2- ابن قتيبة- الشعر والشعراء 20- 21

3- هو أحمد بن يحيى بن محمد بن عبيدة التنيسي تصرف في القضاء فعزل، ينظر ترجمته في ابن الخطيب- الكتيبة 153

4- ابن الخطيب - الكتيبة 154

(الطويل)

ألا أيّها المولى هنيئاً بإمْـرةٍ بأسعادها يزهى الزمانُ ويَرْتَاحُ
وهذا مَديحٌ في الهنَاءِ نظمتُهُ ونشرُ مَديحي في مَعاليكَ فواحُ

ومنه أيضا قول القاضي أحمد بن فركون يهنئ السلطان نصر بن محمد ببرئه من مرض ألم به، ويستهل قصيدته بقوله:[1]

(الطويل)

شِـفاؤُكَ للملْكِ اعتزازٌ وتأييد وبُرْؤُكَ مَوْلَنا به عِنْدنَا عِيدُ
مَرِضتَ فلمْ تأوِ النُّفُوسُ لِراحَةٍ ولَا كَانَ للدُّنْيَـا قَرارٌ وتَمْهِيدُ

ومن القصائد المدحية التي جاءت بدون مقدمات قصيدة القاضي أحمـد بـن يحيـي يقـول فيها:[2]

(الطويل)

مُحيَاكَ إصْبَاحٌ وبِشْرُكَ وضاحٌ وسَـعْدُكَ فَتَّاحٌ وخِمْدُكَ نفَّـاحُ
وسُلطانُكَ الأعلى فلا مثْنويَّةٌ وللسيفِ والأقْلَامِ فى ذاكَ إيضاحُ

ويجعل القضاة من ممدوحيهم_ وهم غالبا من السلاطين،والحكام_ حماة الـدين، ناصـرين له، وقائمين بحدوده، وكان هذا من أجلّ ما يمدح به السلاطين.

من أمثلة ذلك قول القاضي أحمد بن جزي يمدح السلطان أبا الحجاج فيقول:[3]

(الطويل)

لقد نَصَرَ الإسْـلَامُ مِنْكَ مؤيداً مَعالِمهُ أحمَى وأعلى مَراقِـيه
فيا غَزْوَةً ما كَانَ أسْعدَ يَوْمَها ويا نِعْمَةً للدِّيْنِ والمُلْكِ صَافِيه

ومنها بعد عدة أبيات قوله: [4]

ألا فى سبيلِ اللّهِ ما أنْتَ صَانِعٌ وللهِ والإسْلامِ ما كُنْتَ آتِيـه
قَضَى لكَ بالتَّفْضِيلِ كلُّ مُجرِّبٍ عليم بأخْبارِ الأوائلِ راويـه

وإسباغ صفات الكرم،والشجاعة،وكرم النسب على الممدوح هو ما حـرص القضـاة علـى إدراجه في قصائدهم.

1- ابن الخطيب- الكتيبة 112- الاحاطة 1/501
2- ابن الخطيب- الكتيبة 155
3- ابن الأحمر- نثر الجمان 168
4- المصدر السابق نفسه

ومما مدح به القضاة ممدوحيهم قول القاضي أحمد بن يحيى مسبغاً صفة الكرم، والجود على الممدوح فيقول:[1]

(الطويل)

وزادَ غلاً لا يستَقلُ بشرحِها ... وإن زادَ وصّاف وأطنَب مّداحُ

فسحْبُ يديه بالنّوالِ سَواكبٌ ... ونورُ محْياه منيرٌ ولمّاحُ

لقد طبّقَ الدّنيا جَميلُ ثنائه ... فسار بطيب الذّكر حادٍ وملاّحُ

ألا إنّ رأسَ المالِ عِنْد مديحه ... وبَيْضُ أياديه الموالاتِ أرْبَاحُ

وقد حرص القاضي محمد بن عتيق[2] على أن يجمع بين صفتي الجود، والشجاعة في معرض مدحه، و هو ذات الأمر الذي درج عليه أغلب الشعراء، فيقول مادحاً السلطان:[3]

(الكامل)

هُو واحد الدّنْيا الذي إنْ يُرتجى ... كالغيثِ أو يُخْشى فكالضّرغامِ

طَلق الجَبِيْنِ مُحَبّبٌ فكأنّه ... جذب القُلوب لنفسه بزمامِ

فهو بجانب ما يتصف به من كرم، وشجاعة طلق الوجه تحبه القلوب والنفوس.

وقد جمع القاضي أحمد بن يحيى بين عدة صفات، وأسبغها على الممدوح وأسرته.

وذلك في قوله: [4]

(الطويل)

وأنّتَ الأمير ابن الأمير لتسعة ... لَهَا كل طرفٍ في البريّة طمّاحُ

فمجدٌ يَفُوقُ النجم سامٍ إلى العلا ... ووَجهٌ يَرُوقُ الشّمْسَ أزهر وضّاحُ

من الذّروة العُليا من النفر الأولى ... لهُمْ صَحفٌ فى الحمد تُتلَى وأمداحُ

هُمُ القَوْم كل القَوم خشْو بُرْدُوهُم ... حَنانٌ وإحْسانٌ وعَطْفٌ وإصلاحُ

أما خواتيم قصائدهم فحرصوا على أن تكون دعاء للممدوح.

1- ابن الخطيب- الكتيبة [54]

2- هو محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي ينظر ابن الخطيب -الكتيبة [20]، وابن الأحمر- نثير الجمان [10]

3- ابن الأحمر - نثير الجمان [64]

4- ابن الخطيب - الكتيبة [54]

ومن أمثلة ذلك قول القاضي بن فركون في ختام قصيدته:[1]

(الطويل)

بقيتَ على مرّ الدّهورِ ممتّعاً ... جنابُك مخروسٌ وبابُـك مقصودُ

وقول القاضي الخضر بن أبي العافية: [2]

(الكامل)

وادعوتُ ربّي في بقائك سالماً ... والله يُنجز في الدُّعاءِ الموعدا

ـ الحكمة والنصح:

الحكمة قول موجز يتضمن حكماً صحيحاً، أو فكرة صائبة. ويمكن أن يُطلق عليها النصيحة أيضا، فهي تهدف إلى توجيه الاخرين نحو الأفضل.

فكان النصح من القضايا الهامة التي حمل القضاة أعباءها، بخاصة في مملكة غرناطة. فقد عدوا الإخلاص في مثل هذه القضايا من أجلّ واجباتهم الدينية، والاجتماعية فأمدوه بخلاصة تجاربهم، وعصارة ثقافتهم، وكان من المتوقع أن يتصدر شعر النصح والحكمة قائمة أغراض القضاة، لكنه جاء متأخراً مقارنة بما وصل إلينا من أغراضهم الأخرى، ويبدو أن جزءاً كبيراً من أشعارهم في هذا الغرض قد فقدناه في جملة ما فقدنا من شعرهم.

جاء معظم شعر القضاة في النصح على هيئة مقطوعات قصار، وذلك أدعى لحفظها وتداولها بين العامة . والقصيدة التي جاءت كاملة في غرض الحكمة والنصح كانت للقاضي الخضر بن أبي العافية وقد اشتملت على عدد كبير من النصائح ومنها قوله: [3]

(الكامل)

غدّ الهوى يقظانُ والرّأي الّذي ... يُنجيك منهُ إذا ارتأيت نُنوما

فإذا رأيتَ الرأي يتّبعُ الهوى ... خالف وفاقهما تُعدُّ حكيماً

وعليك إعمالُ المشورةِ إنها ... تُحمى صحيحاً أو تُعلُّ سقيماً

وكما تُخافُ من الحليمِ مُداجياً ... خفْ من نصيحتِ في السّفاهةِ شُوما

---

1. ابن الخطيب- الكتيبة 102
2. المصدر السابق 180
3. ابن الخطيب- الكتيبة 178 | والإحاطة 1/195.

تضمنت القصيدة مجموعة من الحكم و النصائح، تجلى فيها فعل الأمر الذي غلب على أبياتها، بما يوحي بمسئولية القاضي، وحرصه في توصيل نصائحه، والعمل بها.

تنوعت نصائح القضاة في شعرهم، فشملت توجيهات، وإرشادات في مناحي الحياة المختلفة.

فبأي شيء نصحوا ؟ وما الحكم المستوحاة من خلال نصحهم ؟

حرص القاضي على كتم السر، وعدم إفشائه، وإخفائه حتى عن أقرب صديق.

وهذا نجده في قول القاضي البلفيقي معللاً السبب في كتم سره فيقول:[1]

(الطويل)

إذا كتمتُ السّـرّ عمن أودّهُ تَوَهّمَ أنّ الودّ غيـرُ حقيقي
ولمْ أخْفِ عنه السّرّ من ظنّةٍ به ولكنني أخْشَى صَديقَ صَديقي

أما تنزيه الحواس عما حرم الله تعالى فهو أهم سُبل الأخلاق الفاضلة، والقاضي البلفيقي يجعل من حاستي السمع والبصر مدخلاً للهم والنكد ما لم يراع صاحبيما وجه الله فيهما فيقول: [2] (المديد)

ما رأيتُ الهمومَ تدخل إلاّ من دُروبِ العُيـونِ والآذانِ
غُضّ طرْفاً وسُدّ سمْعاً وإن أحْسَسْتَ هماً فلا تَثِقْ بِضمانِ

ولا بد للمرء من التمسك بأوامر الله تعالى، والبعد عن نواهيه، وعن الهوى الذي يرمي بصاحبه إلى الهلاك.

في هذا المعنى يقول القاضي المنتشاقري في مقطوعته[3]

(الكامل)

أدبُ الفتى في أنْ يَرى مُتيقظاً لأوامرٍ مِنْ ربّهِ ونواهي
وإذا تَمسّكَ بالهوَى يَهوي به فالحَبْلُ منه لِمنْ تيقّنَ واهِ

---

1. ابن الخطيب الكتيبة 132 ، و ابن فرحون ـ الديباج 387
2. ابن الخطيب ـ الكتيبة 132، والإحاطة 159/2
3. ابن الخطيب ـ الكتيبة 122 والإحاطة 380/4

يؤكد القاضي الخضر بن أبي العافية على مصاحبة كريم الأصل، ويحذر من مصاحبة اللئيم، فيقول في هذا المعنى:[1]

(الكامل)

وأصحبْ كَريمَ الأصلِ ذا فَضلٍ فمنْ ... يصْحَبْ لَئيمَ الأصلِ عُدّ لئيما

فالفضلُ منْ لبسَ الكريمَ فمن عرى ... عنه فليْسَ كما يُقـال كَريمًا

وقد يجعل القاضي من تجربته الخاصة مثلاً يحتذى لغيره من خلال حديثه عن تجربته، فيبتعد بذلك عن النصح المباشر، وهذا ما قصده القاضي محمد بن يوسف حين حث على الصبر في الشدة، والشكر على النعمة في قوله:[2]

(الكامل)

وصَحبتُ أيامي على علاتها ... وبلوتُها في شـدةٍ ورخاءِ

وقطعتُها بالشُكرِ في نعمائها ... ولقيتُها بالصَبرِ في الضَراءِ

والطريقة التي وجدها القاضي البلنيقي ملائمة لمن لا يبالي بنصحه نجدها في قوله: [3]

(السريع)

قد كنتُ مَغْروراً بعلمي وما ... أبتُ من وعظي بين البشرْ

من حيثُ قَدْ أمّلت إصلاحهمْ ... بالوعظ والعلم فخانَ النَظرْ

فلم أجد أوْعَـظ للنّاس من ... أصْواتِ وُعاظ جُلودِ البقرْ

هكذا نلمس صلة القاضي المتينة بقضية النصح لدرجة يتقمص فيها دور المرشد الديني والرائد الاجتماعي، الذي يشعر بمدى حاجة الناس إلى نصحه، ولكنه يرى عدم بذلها إلا لمن يقبل العمل بها كما في قول القاضي البلنيقي:[4]

(الكامل)

لا تبذُلَنّ نصيحـةً إلا لِمنْ ... تَلْقى لبذْلِ النُصح منه قَبولا

1- ابن الخطيب - الكتيبة 179، و الإحاطة 495/1

2- ابن الخطيب - الكتيبة 111

3- ابن الخطيب - الكتيبة 133 ، والإحاطة 161/2

4- ابن الخطيب - الإحاطة 158/2، و ابن فرحون - الديباج 387

-فالنصح إنْ وجدَ القبولَ فضيلةٌ ويكونُ إن عدم القبول فضولا .

_الزهـــد:

شعر الزهد من أكثر فروع الأدب الديني صدقاً، لما يوحي إليه من الإعراض عـن الـدنيا وشهواتها، والإقبال على الاخرة خشية وورعاً.

وقد شاع شعر الزهد في مملكة غرناطة بعامة [1] وبين طبقة القضاة خاصة.

ومضامين شعر الزهد عند القضاة قد تنوعت، فتضمنت الدعوة إلى نبذ الـدنيا ومغرياتهـا، والقناعة،والورع، ووصف حال الزهاد، وهي مضامين تقليدية اعتاد عليهـا الشـعراء منهـا الدعوة إلى ترك الدنيا، وشهواتها، وعدم التعلق بها.

يأتي قول القاضي محمد بن الفخار[2] في هذا المعنى ومنه: [3]

(السريع)

أخْرِجْ من الدّنيا ولا تعتلِقْ منها بما لا بُدّ أنْ ينْتسـفْ
ألا ترى البـدر على بُعده مهْما يكنْ في ظلّها ينكسِفْ

فالدنيا لا أمان لها دائمة التقلب والتغير، ولا بد من الحذر من بهرجتها وزينتها وفي ذلك قال

القاضي محمد بن الفخار يدعو للتحذير من الدنيا والزهد بها فيقول: [4]

(البسيط)

إيّاكَ منْ زهْـرة الدّنيـا وزينتِها ولتنأ عن ذا الدنا مهْما إليكَ دنا
وازْهدْ إذا أمْكنتْ من نفسها كرماً فالزّهدُ فيها يُريحُ النّفسَ والبدنا

---

1. ينظر في أسباب انتشار حياة الزهد في غرناطة خلال القرن الثامن الهجري- الهراسة، عبد الحميد- القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري - دار الكتاب - ط1 المس- الطبعة الثانية 1999م، 477/1.
2. هو محمد بن سعد بن قاسم الأوسي بن الفخار - يكنى أبا عبد الله، كان متقنا بالمعارف وله شعر نبيه، ينظر ابن الخطيب - الكتيبة 177.
3. ابن الخطيب - الكتيبة 177.
4. ابن الخطيب - الكتيبة 118.

وكانت الدعوة إلى النفور من الدنيا، وذكر الله والخشوع بين يديه مما تضمنته أبيات للقاضي ابن شبرين جاعلاً من ذلك سبباً في دخول الجنة، فيقول في هذا المعنى:[1]

(الكامل)

ما ضرّ لمّا رأيتَ الصّالحينَ بِها ... لو كنتَ تقنع منها بالذي قنعوا
جازوا عليها فلم يستهوهمْ غرضٌ ... ولا ألمّ بهم حرصٌ ولا جشعُ
فكلّما عرضتْ دنيا لَهُمْ نفروا ... وكلّما ذكروا مَوْلاهُم خشعوا
طُوبى لهُمْ فلقد قرّ القرارُ بهم ... في مستقرّ نعيم ليس ينقطعُ

ولم تكن الدعوة للقناعة في الدنيا وعدم الالتفات إليها لتتحول عند القضاة إلى دعوة للتقاعس في طلب الرزق، وإنما لا بد من التجمل في طلبه.

في هذا المعنى يأتي قول القاضي المعافري:[2] [3]

(الطويل)

تكفّلَ بالرّزقِ الذي تستحثّهُ ... إلهُكَ فلتجمل إذا أنتَ طالبهْ
وكنْ ساعياً منه على وفقِ أمرِه ... شكوراً له فالشكرُ لا شكّ جالبهْ
وإيّاك و السّعي المذلّ فإنه ... ينالكَ منهُ ما أتاكَ واهبهْ

وقد وصف القاضي المعافري حاله وزمانه المتقاضي بقوله: [4]

(الوافر)

مضى من دَنّ عمْري كلّ صفوٍ ... فما أبقى من الدردي لهفي
وولتْ طيباتُ العيشِ عني ... وأعوزَ من بقاياها التشفي
فلا قدمٌ تساعدني لمشيٍ ... ولا بصرٌ بعرفي يوفي
ولذاتُ المطاعمِ شرُّها ما ... غدا بالسنّ من خللٍ وضعفِ

وكانت الشكوى إلى الله، والتضرع إليه بطلب العفو والصفح أفضل ما تكون خاتمة لشعر الزهد.

ومن ذلك قول القاضي ابن فركون:[5]

1- المصدر السابق 170
2- هو أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي جبل المعافري ولد عام(664هـ) وقد برع في النحو ينظر ترجمته في ابن الخطيب - الكتيبة 107، و التنكتي، نيل الإبتهاج 1/1 9
3- ابن الخطيب - الكتيبة 107
4- المصدر السابق 108
5- ابن الخطيب - الكتيبة 103، و الاحاطة 1/507

(المجتث)

أشْـــكو إلى الله بثّـــيَ فهُو المُثيـــبُ المُعاقِـــب

ومن أمثلة ذلك قول القاضي ابن جلوط: [1] [2]

(الطويل)

تدبّت إلى الصفح الجميلِ فجُدْ به فأنْتَ به يا ذا الجَلالِ جَدير

ومُنّ بجَبْري من قبيح إساءتي فعَبْدُكَ مَهما قد جناهُ كَسير

وإن كان جنتالث قد أنكر وجود شعر زهدي عامر بالتقوى العميقة والشوق إلى الله [3] فقد وجدنا في شعر القضاة في الزهد عاطفة قوية أساسها تقوى الله ، والإقبـــال عليـــه خشـــيةً وورعاً.

_الهجاء:

الهجاء ضد المديح ، وهو فن الشتم والسباب، والهجاء عند العرب وعند غيرهم من الأمـــم جاء نتيجة تفاوت الناس في حظوظهم من الرزق والجاه ... ومن التفاوت تحصـــل المنافســـة وهي غالباً ما تكون المحك الذي يدفع الناس إلى الهجاء، والتعبير عن شعورهم بالسخط تجـــاه الخصوم[4] وإن كان القضاة قد تحصنوا بالعلم، وتأدبوا بالدين ، فإنما هم فـــي النهايـــة بشـــر، تساورهم نزعات الشر، وتستفزهم أهواء النفس فيغضبون، وتنشأ بينهم الحزازات، ومن كـــان منهم يقول الشعر لم يملك أن لا يتنفس ببضعة أبيات في هجاء خصمه.[5]

والملاحظ في شعر القضاة في الهجاء هو قلته، وانحساره في الهجاء الأخلاقي الذي غالبـــاً ما يكون موضوعه في المفاسد الأخلاقية، أو العادات القبيحة، أو العيوب الإنســـانية [6] وعنـــد

1- هو يحيى بن السراج المعروف بابن جلوط ، ينظر ابن الخطيب ـ الكتيبة 124

2- المصدر السابق 125

3- ينظر بالنثيا، انخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي ـ ترجمة: حسين مؤنس النهضة المصرية ـ طبعة أولى، القاهرة 1955م، 46.

4- ينظر الحاج ـ أدب العرب في الجاهلية 38

5- ينظر كنون ـ أدب الفقهاء 138

6- حسين ـ محمد محمد ـ الهجاء والهجاءون ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ طبعة ثالثة 1971م، 24

قضاة غرناطة لم نجد من شعرهم في الهجاء سوى ثلاث مقطوعات اثنتان للقاضي البلفيقي وهما في هجو النساء، وثالثة للقاضي الخضر بن أبي العافية في هجو بني أرقم .

وقد ذم البلفيقي النساء وهجوهن هجواً مقذعاً حين قال:[1]

(الخفيف)

قد هجوتُ النســـاء دهراً فلَمْ ... أبْلُغْ أدّاني صفاتهنّ الذّميمةْ
ما عسَى أنْ يُقَال في هجْوِ منْ ... خصّه المصْطفى بأقبح شيمةْ
أو يُبقي لناقص العقــل والدينْ ... إذا عـدّتِ المثـالبُ قيمـــةْ

يستغرب صدور هذا المعنى في الهجاء من قاضٍ ، لما فيه من تحامل على المرأة واضح وعدم إنصاف، مع سوء فهم الحديث الشريف، وتوظيفه لغير ما قيل من أجله.

ومقطوعته الثانية في هجو النساء أيضا تؤكد هذا التحامل والعداء الذي أظهره للمرأة، يقول فيها: [2]

(الخفيف)

ما رأيتُ النســاءَ يصْلُحنَ إلاّ ... للذّي يَصْلُحُ الكَنيف لأجْله
فَعَلَى هذه الشّريطة فاصحبهنّ ... لا تعدُ بأمري عن محلّـه

إنه سباب محض في حق النساء لما فيه من القذف، والإفحاش وهو بذلك يبعد عن مقياس الهجاء الجيد " وهو ما عفّ لفظه وصدق معناه " [3]

وللأسف أن المصادر التي ترجمت للقاضي البلفيقي لم تطلعنا على حياته الخاصة لكنا أدركنا السر وراء كرهه، وبغضه للنساء لدرجة توصله إلى نعتها بهذه الصفات.

أما المقطوعة الثالثة في الهجاء فهي للقاضي الخضر بن أبي العافية يعرض فيها لقوم من بني الأرقم، يقول فيها:[4]

(المتقارب)

إذا ما نَزلتَ بوادي الأشى ... فقل ربّ من لذْعه سلم

1- ابن الخطيب- الكتيبة 133 ، الاحاطة 2/60
2- المصدران السابقان نفسهما
3- ابن رشيق ، العمدة 2/171
4- ابن الخطيب ، الاحاطة 1/496

وكيف السَّلامةُ في مَوْطِنٍ به عُصْبَةٌ من بَنِي أَرْقَمِ

فالقاضي في هجائه لم يصرّح بأفعال المهجو ولا صفاته، واكتفى بالتعريض وهو أهجى من التصريح لاتساع الظن فيه ، وشدة تعلق النفس به ،والبحث عن حقيقته وطلب معرفته. [1]

والملاحظ في هجاء القضاة أنهم ساروا على النهج الذي وضعه النقاد وهو قصر الهجاء "فيكون بذلك أحوط بصفات المهجو وأذيع على الألسنة، وأجرى بين الناس، فيصل الشاعر إلى غايته في تشويه سمعة من يهجو" [2] وهذا ما طغى على هجاء الأندلسيين بعامة حيث تكثر فيه المقطوعات، وتكاد تنعدم الطوال. [3]

هكذا فإن قضاة غرناطة قد نظموا في أغلب أغراض الشعر المعروفة ، وقد اظهروا البراعة في تناولها، وإن كانوا في أغالب الأحيان مقلدين للمشارقة سائرين على منوالهم كسائر الأندلسيين إلا أن " جيد شعرهم أجود من جيد شعر المشرق ورديئه أكثر رداءة أيضا من رديء شعر المشرق " [1]

---

1. ينظر ابن رشيق ـ العمدة 173/2
2. ابن رشيق ـ العمدة 170/2 وينظر بدوي ـ احمد احمد ـ أسس النقد الأدبي عند العرب ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة، 258
3. عتيق ـ الأدب العربي في الأندلس 245
4. الشكعة ـ مصطفى ـ الأدب الأندلسي ـ موضوعاته وفنونه دار العلم للملايين، طبعة ثامنة 1979م ، 56

الغرض الشعري	عدد الأبيات	عـــــدد القصـــــائد والمقطوعات	النسبة المئوية
المديح النبوي	234	9	18.9
الغزل	213	36	16.47
أغراض غريبة	210	8	16.24
الرثاء	208	12	16.8
الوصف	170	20	13.14
المدح	168	19	13
الحكم والنصح	106	29	8.2
الزهد	65	9	5.02
الهجاء	7	3	0.54

جدول رقم(1)

أهم أغراض شعر القضاة

الفصل الثالث

دراســـة فنيـــة لشـــعر قضـــاة غرناطـــة
في القرن الثامن الهجري

للدراسة الأدبية مناهج متعددة تختلف في أسسها التي ترتكز عليها، فالمنهج التاريخي يدرس الأدب من حيث علاقته ببيئته وعصره، والمنهج الفني يقوم على أساس إدراك القيم الجمالية في العمل الأدبي، وتقييمها من خلال المقاييس الفنية المتعارف عليها عند نقاد الأدب.

ولا شك أن الباحث في أدب شاعر ما لا يستطيع أن يدرسه دراسة وافية بمعزل عن دراسة الظروف التاريخية التي أحاطت به، لأنها على صلة وثيقة بالأدب، فالأدب مرآة تنعكس عليها أحوال المجتمع وأحداثه السياسية، والفكرية، والاجتماعية.

وبعد أن انتهينا من دراسة عصر القضاة تاريخيا، ودراسة أشعارهم دراسة موضوعية، يكون من الواجب أن نتتبع ذلك بدراسة فنية نحاول أن نبين مدى التزام هؤلاء القضاة بالقيم الفنية المتعارف عليها.

أما المحاور التي سيتم دراسة أشعار القضاة من خلالها فهي: -

أولا: الموسيقي.

ثانيا: اللغة.

ثالثا: الصورة الفنية.

رابعا: بناء القصيدة.

أولاً:ـ الموسيقى

تعد الموسيقي من أهم الأسباب التي ينتج عنها الطرب، والانفعال، والتأثر في القصيدة الشعرية، "فالشعر في الحقيقة ليس إلا كلاما تطرب له الآذان وتنفعل له النفوس، وتتأثر به القلوب"[1] وقد استخدم الشعراء عدة وسائل للنغم الموسيقي داخل قصائدهم وسيكون تناولي لهذه الوسائل من خلال دراستها في شعر قضاة غرناطة، وسيكون ذلك في محورين:-

الأول: الموسيقي الخارجية:

الثاني: الموسيقي الداخلية.

المحور الأول: الموسيقي الخارجية:

وتتضمن :-

1- الوزن

الوزن هو الإيقاع الموسيقي الناتج من تناوب الحروف الساكنة ،والمتحركة، وتكرارها خلال مسافات زمنية متساوية، فيكون نغما موسيقيا تطرب له الآذان، والأسماع، وإيقاعات الوزن تنوعت في الشعر العربي، فيميل بعضها إلى الطول، ويميل بعضها إلى القصر، كما تنوعت الإيقاعات بين توالي سكناتها، وحركاتها، وهذا الاختلاف جعل بعضها يكون أكثر ملاءمة لبعض الموضوعات، "وزنين الشعر لايتم إذا لم يوافق معناه طبيعة نغمه، ووزنه"[2]

"ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد، والرصانة، وما يقصد به الهزل، والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم، وما يقصد به الصغار ،والتحقير، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكي غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا، استخفافيا، وقصد تحقير الشيء، أو العبث به حاكي ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد"[3]

1- أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة ثانية ، 1952م ، 17.

2- ينظر المحنوب، عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، طبعة أولى ، 1955م ، 1/ 141 .

3- القرطاجني ، حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، طبعة ثالثة ، 1986م، 266 .

وعلى هذا كان لبعض الباحثين عناية ببيان صفة كل بحر من البحور وبيان مدي مناسبته لبعض الأغراض.[1]

وسنعرض فيما يلي لبيان أهم البحور التي استخدمها قضاة غرناطة في القرن الثامن الهجري، لنظم أشعارهم بها، مع محاولة لإيضاح مدي ملاءمة تلك البحور للموضوعات التي نظمت فيها. وسيكون تناولنا لأهم البحور التي نظم فيها القضاة أشعارهم وفقاً لشيوعها في أشعار القضاة تدريجيا من الأكثر شيوعا واستعمالا لأقلها شيوعاً و استعمالا.

أ- **بحر الطويل:**

احتل بحر الطويل النصيب الأوفر من شعر القضاة، فقد نظم فيه ثلاثمائة وتسعون بيتا من جملة ما وصل إلينا من أشعار القضاة، فتكون نسبة شيوعه في أشعارهم 30.2 % وزعت على أربع عشرة قصيدة، وست وأربعين مقطوعة، قد اختلفت الأغراض التي نظمت فيها الأبيات فمنها المديح، والغزل، والرثاء، والحكم.

وقد كان بحر الطويل مناسبا لجميع تلك الأغراض، إذ أنها من الأغراض الجدية التي تحتاج إلي التأني، وطول النفس، والموسيقي الهادئة التي يوفرها هذا البحر " فتسابُ تبذباته بهدوء كبير، حتى إن نغمه من اللطف بحيث يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعر به، وتجد دندنته مع الكلام المصوغ فيه بمنزلة الإطار من الصورة، يزينها ولا يشغل الناظر عن حسنها شيئا "[2] لهذا فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم علي هذا الوزن.[3]

ومن الأغراض التي جاءت علي وزن الطويل فكانت متلائمة معه غرض المديح، ومن ذلك قصيدة للقاضي إسماعيل بن محمد يقول فيها:[4]

(الطويل)

أتعرفُ رَبْعًا للتواصل قاويا ... عفتْ أيْهُ إلا الصَّوىَ و الأواريا
تناور فيها كلَّ عامٍ مُجلجلٌ ... وجرّتْ عليه الرامساتُ السّوافيا

---

1 - من هؤلاء الباحثين إبراهيم أنيس - موسيقي الشعر 173 - 176، و الدليمي - المرشد إلى فهم أشعار العرب، صفحات متفرقة
2 - الجندوب - المرشد إلي فهم أشعار العرب 1/302 وينظر أنيس - موسيقى الشعر 189
3 - أنيس - موسيقى الشعر 57
4 - ابن الخطيب - الكتيبة 111

وفي غرض المديح أيضا نظمت قصائد في المديح النبوي على وزن الطويل، كقصيدة القاضي المنتشاقرى التي يقول فيها: [1]

(الطويل)

إليكَ تحنُّ النُّجبُ والنُّجبَاءُ ... فهُمْ وهي في أشْوَاقِهِمْ شُرَكاءُ
تخبُّ بركَّاب تحبُّ وصُولها ... لأرض بها بادٍ سنا و سَناء
فأنفاسُها ما أن تني صُعداؤها ... وأنفاسُهم من فوقِها سُعَداءُ
هُموا عالجُوا إذ عجَّل السَّير داءهُم ... وأشْبَاهُ مِثْلي مُدْنفون بطاءُ

وفي غرض الرثاء جاءت قصيدة للقاضي ابن شبرين في رثاء محمد بن الحكيم اللخمي ذي الوزارتين قال فيها:[2]

(الطويل)

سقى الله أشْلاءً كُرِ مَنْ على البلى ... وما غضَّ من مقدارها حَادِثُ البلا
وما شَجَّني أنَّ أهينَ مكانُها ... وأهْمِل قدرٌ ماعهدْنَاهُ مُهْمَلاَ
ألا اصْنَعْ بها يا دَهْرُ ما أنْت صانعٌ ... فما كُنْتَ إلا عِنْدها المُتَذَلِّلا
سفكت وما كان الرَّقُوءُ نوالَه ... لقدْ جئتَها شَنْعاء فاضحَةَ الملا

وفي غرض الحكم جاءت سبع مقطوعات على وزن الطويل، منهـا مقطوعة القاضي أحمد المعافري يقول فيها:[3]

(الطويل)

تكفلَ بالرزْقِ الذي تسْتحثُّه ... إلهك فلتجمل إذا أنتَ طالبُه
وكن ساعيا فيهِ على وفق أمْرِه ... شَكوراً له فالشكر لاشك جالبُهْ

ب- بحر الكامل:

احتل الكامل المرتبة الثانية بين البحور الأكثر شيوعا في شعر قضاة غرناطة[4]، جاء في أربع عشرة قصيدة و عشرين مقطوعة، وبمجموع الأبيات مائتان وخمسون بيتا فكانت نسبة شيوعه بين أشعارهم 19.33%.

يعد بحر الكامل من البحور المتوسطة التي تصلح للموضوعات الجدية كالرثاء، والمديح، والوصف، يتميز هذا البحر بكثرة حركاته التي تكسبه نغما موسيقيا خاصا، فجعله مناسبا للأغراض

---

[1] - ابن الخطيب - الإحاطة 2/ 284.
[2] - ابن الخطيب - الإحاطة 2/ 471.
[3] - ابن الخطيب - الكتيبة 7/[1].
[4] - احتل الكامل المرتبة الثانية بين الأوزان الأكثر شيوعا في الشعر العربي - ينظر أنيس - موسيقى الشعر 187 و الطيب - المرشد إلى فهم أشعار العرب 1/ 136.

الجدية التي نظم القضاة فيها أشعارهم. ومن القصائد التي نظمت في هذا البحر فكانت ملائمة للغرض الشعري. قصيدة للقاضي المنتشاقري في غرض المديح النبوي ومطلعها:[1]

(الكامل)

لما تناهيَ الصبّ في تشْويقه درر الدُّموع اعْتاضَها بعقيقه

بحر الكامل من الأوزان التي تصلح للانفعالات السريعة فجاءت على وزنه قصيدة في غرض الرثاء، وهو من الأغراض التي تنظم كردة فعل سريع عند سماع خبر الوفاة، وللقاضي ابن شبرين قصيدة على وزن الكامل في غرض الرثاء مطلعها:[2]

(الكامل)

قدْ كان ما قال اليزيدْ فاصْبرْ فحزنك لا يفيدْ

وفي غرض الوصف كان الكامل مناسبا للنظم في هذا الغرض حيث كثرة حركاته، وتتابعها يتلاءم مع غرض الوصف الذي يتطلب طول النفس.

وفي غرض الوصف جاءت قصيدة للقاضي الخضر بن أبي العافية يصف الشيب، يقول في مطلعها:[3]

(الكامل)

لاح الصّباحُ صباحُ شيْب المفرِق فاحْمدْ سُراك نجوت مما تتقى

ج ــ بحر البسيط:

جاءت نسبة بحر البسيط في شعر القضاة 3.6% تتمثل في سبع مقطوعات، وخمس قصائد بمجموع أبيات بلغ مائة و عشرين بيتا.

تنوعت الأغراض التي نظم فيها القضاة أشعارهم على بحر البسيط، فجاءت في الحكمة، والنسيب، والمديح، والرثاء، وبحر البسيط من أطول بحور الشعر العربي، لتكونه من ثماني تفعيلات، فكان بذلك ملائما للموضوعات الجدية، التي تحتاج إلى طول النفس، وتفصيل القول، لذلك

---

1 . ابن الخطيب . الإحاطة 1/ 381 .
2 . المصدر السابق 3/ 152 .
3 . ابن الخطيب . الكتيبة 180 و الإحاطة 1/ 496 .

كان بحر البسيط مناسبا لغرض الرثاء. كقصيدة القاضي ابن شبرين يرثي صديقه البلوي يقول فيها:[1]

(البسيط)

سَهل الخليقة بادي البشْر منْبسط ... يلقى الغريبَ بوجْه الوالد الحدب
كم غيرالدّهرُ منْ حـــال فقلبها ... وحال إخلاصه مُمتّدة الطـــنب
ســـامي المكانة مَعروفٌ تقـدُّمُهُ ... و قدره في ذوي الأقدار و الرتب
أكْرمْ به مِنْ سَجَايَا كان يحْمِلُهَا ... وكلها حسن تنبيك عن حسسب

وعلى الرغم من "أن بحر البسيط لا يخلو من جلبة"[2] غير أن تلك الجلبة لم تؤثر على التوافق بين المعاني التي تضمنتها القصيدة السابقة، وبين الإيقاع الموسيقي في الأبيات، فالأبيات السابقة في الرثاء تضمنت تعدد مناقب البلوى، ونعيه، فعاطفة الحزن لم تكن مسيطرة في الأبيات بقدر ما حرص القاضي على إظهار مناقب صاحبه، وتعدد خصاله، فجاءت موسيقى الأبيات عالية الرنين معبرة عن مقصد القاضي.

ويعد المديح من المعاني الطويلة التي تضيق البحور القصيرة عن استيعابها فيكون بحر البسيط مناسبا لها بما يتيحه من فرص للتعبير عن المعنى الطويل في بيت واحد.

وهذه أبيات من قصيدة للقاضي البناهي في غرض المديح جاءت على بحر البسيط توضح ذلك[3]

(البسيط)

أبْدى لنا منْ ضُرُوب الحُسن أقْنانا ... وهذا الزّمان لمَوْلانا ابن مولانا
ولا تُحرك لســـــانا يا أخا ثـــقَة ... بريم رامـــةَ إن وفي وإن خانـــا

احتاج القاضي إلى تعدد صفات الممدوح، وذكر خصاله الحميدة التي لاغنى عن ذكرهـا في قصائد المديح، وهذه من المعاني الطويلة التي يستوعبها البسيط.

د – بحر الوافر:

جاء بحر الوافر في شعر قضاة غرناطة في واحد وستين بيتا، وزعت في ثلاث قصائد وأربع مقطوعات، وبلغت نسبة شيوعه في أشعارهم 1,6 % من جملة الأبيات الشعرية التي وصلت إلينا من شعر قضاة غرناطة، فاحتل المركز الرابع بين البحور الأكثر شيوعا في أشعار القضاة.

---

[1] - ابن الخطيب - الاحاطة 222/2
[2] - السجلوب - الوشي 302/1
[3] - ابن الخطيب - الاحاطة 93/4

كان بحر الوافر مناسبا للأغراض التي تناولها القضاة وكان الزهد، والنسيب، والرثاء من أهم الأغراض التي تضمنها هذا البحر.[1]

ومما جعله ملائما لهذه الأغراض أن بحر الوافر يمتاز بتلاحق مقاطعه، وسرعة نغماته التي تناسب غرضا كالنسيب.

من ذلك قول القاضي الشريف السبتي: [2]

(الوافر)

دعيني من مقال العاذليْن ... وخلي بيْن تهْيامي وبيْني
ومن يك ساليا فلذى خبيٌّ ... سلوُّ القلب عنهُ غيْر هيْن

استطاع القاضي من خلال بحر الوافر أن ينقل عواطفه، وانفعالاته النفسية مهما كانت طبيعتها، لهذا وُصف بأنه ألين البحور فهو يشتد إذا شددته، ويرق إذا رققته.[3]

وكانت مناسبة بحر الوافر لغرض الرثاء لما يتضمنه من مشاعر الحزن، والأسى، من ذلك مقطوعة القاضي ابن شبرين ومنها قوله:[4]

(الوافر)

ألا يا واحد الأمْلاك سعيا ... ورعيا لا مُكابدة وغمّة
يعزّ عليّ سترك في ركابٍ ... حداهُ إلى البلا حادٍ وزمّهْ

ولأن موسيقى بحر الوافر صاخبة رنانة، فقد اكتسب قدرة على نقل إحساسات الشاعر حين ينظم شعره في أغراض كالفخر، والمديح، ولأن قضاة غرناطة لم ينظموا أشعارا في غرض الفخر، أو الحماسة، أو لنقول لربما ضاعت أشعارهم، فلم تصل إلينا في هذا الغرض،و حين ذهبنا نطبق ذلك على غرض المديح وجدنا أن غرض المديح تناسبه موسيقى هذا البحر.

من أمثلة ذلك مقطوعة للقاضي ابن فركون منها قوله:[5] (الوافر)

هنيئا للقيادة والمعالي ... وبُشْري للمجادة و الجلال
بمولود بمولده استقامتْ ... لوالده السُّعُود على التوالي
به بلغتْ أمانيه مناها ... به غدتْ المكارمُ في احتفال

---

[1] - يراجع الطيب ، المرشد ، 1/ 358 ، و الشايب ، أحمد ، الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعة سادسة ، 1966م ، ص 81

[2] - ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان 232 .

[3] - ينظر الشايب ، الأسلوب ، ص 81

[4] - ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 11 ، و ابن عزيم ، مختارات ابن عزيم 75

[5] - ابن الخطيب ، الكتيبة 112 .

هـ_ بحر الخفيف:

جاء بحر الخفيف في قصيدتين، وعشرة مقطوعات، بلغ مجموع عدد الأبيات تسعة وخمسين بيتا، فاحتل الخفيف المركز الخامس بين البحور الأكثر شيوعا في أشعار القضاة حيث بلغت نسبة الأبيات التي نظمت في هذا البحر 4.5% من جملة ما وصل إلينا من أشعار القضاة، وقد وفق القضاة في اختيار هذا البحر لأغراضهم الشعرية كالرثاء، والغزل، والحكمة، حيث تلاءمت طبيعة بحر الخفيف بموسيقاه الهادئة وكثرة السواكن في تفعيلاته التي تتميز بالطول، مع العواطف الرقيقة لشعر الغزل، ومع الانفعالات الحزينة لشعر الرثاء، وما يتطلبه شعر الحكمة من التأني، والهدوء، والالتزام.

ففي غرض الغزل جاءت قصيدة للقاضي محمد بن يحيى يقول فيها: [1]

(الخفيف)

آه مِن لوّعتي ومما أعاني	ضاق صدري بالسّر والكتمان
كنتُ أخفي عن الوشاة إلى أن	فضحتني بدمْعها أجفاني
ولئن دام يا خليليّ ما بي	فاحسباني بالحبّ لاشك فان

فقد كان بحر الخفيف مناسبا للقصيدة إذ إن العاطفة الرقيقة لمشاعر الحب، ومعاناة المحب في محاولته لإخفاء مشاعره دفعت القاضي إلى أن يتخير بحر الخفيف لما توفره مكناته من هدوء، وطول.

و في الرثاء جاءت مقطوعة للقاضي ابن شبرين في رثاء السلطان محمد بن إسماعيل يقول فيها:[2]

(الخفيف)

عين بكّي لميت غادروه	في ثراه ملقى وقد غدروه
دفنوه ولم يصلّ عليه	أحدٌ منهم ولا غسّلوه
إنّما مات يوم مات شهيدا	فأقاموا رسما ولم يقصدوه

---

1 - ابن الخطيب – الكتيبة 111

2 - ابن الخطيب – الإحاطة 3/111

كذلك كان بحر الخفيف مناسبا للعاطفة الحزينة التي تصاحب الرثاء من وصف مشاعر الحزن علي الفقيد، إلي تعدد مناقب المتوفى وتأبينه، مما يدفع القاضي إلي تخير وزن طويل هادئ يمكنه من التعبير عن حزنه، وجزعه، وهذا ما يجده في بحر الخفيف.

و- بحر المتقارب:

جاء بحر المتقارب في قصيدتين وتسع مقطوعات، بلغت نسبة شيوعه بين أشعار القضاة 3.5 % بمجمل خمسة وأربعين بيتا من جملة ما وصل إلينا من أشعار قضاة غرناطة، تنوعت الأغراض التي نُظمت في هذا البحر، فمنها المديح، والهجاء، والوصف، والتسبيب، والحكم.

أما مناسبة هذا البحر للأغراض التي نظم القضاة أشعارهم فيها، فقد كان بحر المتقارب مناسبا للأغراض التي تهدف إلي الإثارة، والسرد بشكل مستمر متناسق[1]، وبذلك فإن مقطوعة القاضي الخضر بن أبي العافية التي نظمها في غرض الحكمة علي بحر المتقارب مناسبة إذ إن القاضي يهدف من خلال مقطوعته إلي الإرشاد، والتوجيه وبث فكرته للناس، وذلك يتطلب أن يكون الإيقاع في الأبيات سريعا، متلاحق المقاطع، وهذا مايوفره بحر المتقارب ومن مقطوعة القاضي الخضر هذه الأبيات التي يقول فيها:[2]

(المتقارب)

أقلِلْ فما الفقرُ بالمرءِ عارْ ... ولادارَ من يألفُ الهوْن دارا
ولا يكسب العزّ إلا الغنى ... غِنى النفس فلتتخذْهُ شِعَارا
و ما اجتمعَ الشّمل في غيره ... فيحسن إلا وسَاء انتشَارا

ز- بحر السريع:

بلغت نسبة شيوع بحر السريع في أشعار القضاة 1.5 % متمثلا في عشرين بيتا، وزعت علي قصيدة واحدة ، وسبع مقطوعات، مما يدل علي قلة استخدام القضاة لهذا البحر[3] ويرجع ذلك إلي أن نغم هذا البحر لا تطرب الأذن له كثيرا، لعدم تناغم تفعيلاته وتناسقها، فحينما تتميز التفعيلتان الأوليان من البيت بالسرعة (مستفعلن مستفعلن) تأتي التفعيلة الثالثة رتيبة هادئة (فاعلن)، وربما

1- ينظر المجذوب - المرشد 337/1

2- ابن الخطيب - الكتيبة 181 ، والاحاطة 417/1 .

3- عن قلة استخدام الشعراء بوجه عام لهذا البحر ينظر المجذوب - المرشد 1/ 345، وأنيس - موسيقى الشعر 88

كان الجمع بين النقيضين في هذا البحر هو ما دفع الدكتور إبراهيم أنيس إلي القول، "بأننا حين ننشد شعرا من هذا البحر نشعر باضطراب في الموسيقى لا تستريح إليه الأذان إلا بعد مران طويل".[1]

هذا الاضطراب الذي أشار إليه إبراهيم أنيس جعل هذا البحر أقرب إلي طبيعة الخطابة منه إلي الشعر حتى إن قارىء الأشعار التي جاءت فيه يشعر بأن قائليها أرادوا أن يقولوا نثرا، ثم عدلوا به إلي النظم، وزينوه بنغمة فيها تكؤ ورتابة.[2]

ومقطوعة البلفيقي تؤكد ذلك، ويقول فيها:[3]

(السريع)

قد كنتُ مقرورا بوعظي وما ... أبثُّ من علمي بين البشرْ
من حيثُ قد أملتُ صلاحهم ... بالوعظ والعلم فخان النظرْ
فلمْ أجدْ أوعظ للناس من ... أصواتِ وغاظِ جلودِ البقرْ

البحر	عدد المقطوعات والقصائد	عدد الأبيات	النسبة
الطويل	60	390	30.2
الكامل	34	250	19.33
البسيط	12	120	9.3
الوافر	7	60	4.6
الخفيف	12	59	4.5
متقارب	11	45	3.5
سريع	8	20	1.5

جدول رقم (2)

أهم بحور شعر القضاة

1- أنيس - موسيقى الشعر 88
2- ينظر المجذوب - المرشد 162/1
3- ابن الخطيب - الكتيبة 133-134

2- التصريع

وجود التصريع في مطلع القصيدة يعد مبادرة من الشاعر لإظهار القافية، حتى يعلم من أول وهلة انه آخذ في كلام موزون غير منثور[1] فيكون استخدامه أحد وسائل الشعراء في ايجاد الموسيقي الخارجية.

ويعد التصريع من الأصول الفنية التي سار عليها الفحول المجيدون من الشعراء القدماء والمحدثين، إذ حرصوا علي إيجاده في أشعارهم، فعُد دليلا علي اقتدار الشاعر، وقوة طبعه، وسعة بحره[2]

وما نلاحظه في شعر قضاة الأندلس في غرناطة أن جُل قصائدهم تبدأ بالتصريع .

ومن القصائد التي جاء مطلعها مصرعا، قصيدة القاضي البلفيقي في النسيب، ومطلعها[3]

(الكامل)

يفنى الهوىٰ وغرامُ عزّة باقي والشّوقُ يذهبُ ماعدا أشواقي

وكذلك قصيدة للقاضي البلوي في غرض المديح النبوي، وقد جاء مطلعها مصرعا، ومطلعها: [4]

(الكامل)

الله أكبـر حبذا إكبـاره هذا الشّفيعُ لنا وهذى داره

ومن القصائد التي جاء مطلعها مصرعا أيضا قصيدة للقاضي أحمد بن يحيى التميمي في مدح السلطان فيقول: [5]

(الطويل)

محياكَ إصباحٌ وبشرُكَ وضّاحُ ومنطقُكَ فتّاحٌ وحمدُكَ نفّاحُ

وفي غرض الزهد جاءت قصيدة للقاضي أحمد بن عتيق الشاطبي مصرعة، ومطلعها: [6]

(الطويل)

تراختْ بكَ الدّنيا وجدّ بك السّير وأشغلتْ بالفاني وقدْ زهدَ الغيرُ

1- ينظر ابن رشيق ،العمدة 1 / 174

2- ينظر ابن جعفر ،نقد شعر 19 ،وابن رشيق ،العمدة 1 / 174

3- ابن الابار - شير التكملة 158

4- ابن الدهليب - الكتيبة 135

5- ابن الدهليب ،الكتيبة 154

6- المصدر السابق 106

وكان بعض القضاة لا يأتون بالتصريع في المطلع ثم يأتون به في أبيات القصيدة فيما بعد ، وهذا ما فعله القاضي ابن جزي في قصيدة مدح بها ابن الخطيب ، فقد جاء المطلع غير مصرع وهو قوله:[1]

(المتقارب)

فديتك يا سيدي مثلما فداك الزمان الذي زثته

ثم يأتي بالبيت الثاني مصرعا، وهو قوله:[2]

(المتقارب)

جمال فعالك أظهرته و ستر كمالك أخفيته

ومن القضاة من حرصوا على التصريع حتى جاءت قصائدهم جميعها مصرعة، كالقاضي ابن شبرين، وقد كانت جودة طبعه تعينه على هذا التجويد الذي كان التصريع أحد أصوله.

ومنهم من لم يحرص على التصريع في مطالع قصائده وذلك نتيجة للارتجال، وعدم التروي وذلك لحرصهم على إثبات فكرتهم، أو التعبير عن موقف عابر. فجاءت أشعارهم خالية من التصريع مع اقتدارهم عليه كما تشهد بذلك بعض أشعارهم التي جاءت مطالعها مصرعة.

من هؤلاء القاضي البناهي حيث جاءت له قصيدة واحدة مصرعة وهي في المدح حيث قال فيها:[3] (البسيط)

ابدي لنا من ضروب الحسن افنانا هذا الظهور لمولانا ابن مولانا

وجاءت باقي قصائده غير مصرعة.ومن نماذج ذلك قوله:[4]

(البسيط)

يامالكي وهولي فخر تملكه ذاتي، عتابك عندي من أعظم المنن

وقوله يصف سحاءة[5]

(البسيط)

سحاءة سر بل رياض فضائل سقاها سحاب العلم بمائه العذب

---

1. ابن الخطيب ، الكتيبة 142.
2. المصدر السابق نفسه.
3. المصدر السابق 150 ، و الاحاطة 4/12.
4. ابن الخطيب ، الكتيبة 151
5. المصدر السابق 152

3-القافية

تشترك القافية مع الوزن في إظهار موسيقى الشعر الخارجية، وقد وضعت عدة مقاييس لجودة القافية، وجمالها، ومن أهم تلك المقاييس:-

*"أن تكون سلسة المخرج"[1]

*أن تكون متمكنة في مكانها، يتطلبها المعنى، غير مستكرهة، ولا مغتصبة، "أما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر، يتشوقها المعنى بحقه، واللفظ بقسطه، وإلا كانت قلقة في مقرها، ومجتلبة لمستغن عنها"[2]

*"يستحسن أن تشمل حرف من حروف اللين، أو المد، ليساعد ذلك على امتداد الصوت بها فيزيد جرسها جمالا"[3]

فإذا طبقنا هذه المقاييس على قوافي شعر القضاة وجدنا أن كثيرا منهم كانوا يجيدون اختيار قوافيهم.

ومن النماذج التي تبين جودة القافية، قصيدة للقاضي الشريف البيتي في النسيب يقول فيها: [4]

(الوافر)

دعيني من مقال العاذلين ... وخليّ بين تهيامي وبيني
ومنْ يك ساليا فلدىّ حُبٌّ ... سلوٌّ القلب عنه غير هين
علقتُ فمقلتي للنوم حرْب ... بأعزل وهو شاكي المقليتن

فقد جاءت موسيقى الأبيات سريعة النغم، متلاحقة المقطع، وجاءت القافية مردفة[5] مما يضفي موسيقى صوتية إلى حرف الروي، وهو حرف النون، وهو من الحروف المعروفة بسهولة مخارجها وكثرة أصولها في اللغة فكان من أحسن الحروف التي تأتي روياً. [6]

ومن القصائد التي يتضح فيها جودة اختيار القافية، قصيدة للقاضي إسماعيل بن هاني يقول في مطلعها: [7]

---

[1] - بنوي - أحمد محمد، أسس النقد الأدبي عند العرب 310.
[2] - ينظر الرزوقي، أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين و عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة، طبعة أولى 1951 م 11
[3] - الراضي، أحمد، نحلة الخليل في العروض والقافية، مؤسسة الرسالة، طبعة ثانية، 1975 م 403
[4] - ابن الأحمر، نثير فرائد النحمان 232
[5] - الردف: هو حرف مد أو لين يقع قبل الروي، وليس منهما حائل، ينظر د. أنيس، موسيقى الشعر 200
[6] - ينظر المجذوب، المرشد 404/1
[7] - ابن الخطيب - الخنيبة 111

(الطويل)

أتعرفُ رَبْعا للتواصل ثاويا عفتْ آيهُ إلا الصُّوى والأوَاريا

فكان اختيارالقاضي لحرف الياء رويا، حيث نسجها على غـرار بائيـات مشـهورة فـي الشـعر العربي.[1]

كما أمد قصيدته بالردف، والتصريع مما يكسبها مزيدا من النغم الموسيقي.

فالملاحظ في أشعار القضاة أن معظم قوافيها جاءت مردفة، فكان له مردود جيد على الإيقاع.

وقد جاءت القافية المؤسسة[2] مناسبة للموسيقى الهادئة التي تتطلبها معاني المدح، والحكمة، وما يتصل بها من أغراض تتطلب إطالة المعنى، وإطلاق الصوت، ومن القصائد التي جـاءت قوافيهـا مؤسسة قصيدة القاضي أحمد المعافري في الحكمة فيقول فيها:[3]

(الطويل)

تكفل بالرزق الذي تسـتحثهُ إلهُك فلتجملْ إذا أنت طالبـهْ
وكُنْ ساعيا فيه على وفق أمْره شكورا له فالشُكرُ لاشك جالبهْ
وإيـاك والسّـعي المذلّ فإنهُ ينالك منهُ ما أنـالك واهبـهْ

ومنها أيضا مقطوعة للقاضي إبراهيم النميري يقول فيها:[4]

(المتقارب)

تعجبْتُ من ثغر هذي البلاد وها أنت من عينه شاربْ
فللـه ثغـر أرى شـاربا وعيْنٌ بدا فوقها حـاجبْ

1- من تلك بائية قيس بن الملوح التي منها قوله مواقد ما أقوى إذا ما ذكرتها أأثنين صليت العشا أم ثمانيا
ينظر ابن قتيبة الشعر والشعراء 82/2

2- حروف التأسيس: هو الألف بينها وبين حرف الروي حرف صحيح، يادار أنيس موسيقى الشعر 273

3- ابن الخطيب - الكتيبة 107

4- ابن الخطيب - الإحاطة 348/1

عيوب القوافي

وإذا كانت معظم قوافي شعر القضاة غرناطة خلال القرن الثامن كانت علي درجة كبيرة من الجودة، والحسن، فقد جاء بعضها متضمناً بعض العيوب ومنها:

أ- عيب التضمين:[1]

يعد التضمين من عيوب القافية التي تقع في المعاني.

وهو عيب لا يتعلق بموسيقى القافية، لأنها تكون متسقة مع ما قبلها وما بعدها من القوافي، ولكن سامع الشعر، أو قارئه يكون قد تعود أن ينتهي معني كل بيت مع قافيته، ولكن عند وقوع التضمين في بيت ما، فان ذلك يسبب انقطاعا للمتعة الذهنية التي كانت تسير جنباً إلي جنب مع المتعة الموسيقية الصادرة من اتحاد القوافي، وتناغمها ومن أمثلة التضمين التي وقعت في شعر القضاة قول القاضي محمد بن احمد:[2]

(السريع)

إنْ تترُكِ العبْدَ لاهمالِه ... في ضيقِ عيْشٍ دائماً واجْتِنابِ
فأمنُنْ بإسْعافي ولا تئسني ... لأعدمَ الرَّحْمنُ ذاكَ الجنابِ

فقد اشتمل البيت الأول علي أسلوب شرط جاء جوابه في البيت الثاني.

وفي قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[3]

(الكامل)

والنّاس إمّا جَاهلٌ لا يتّقي ... عاراً ولا يخشَى العُقُوبَةَ لوما
أو عاقلٌ يَرْمي بسَهْمٍ مكيدةٍ ... كالقوس تُرسلُ سهمَها مَسْمُوما

ومنه أيضا قول القاضي المنتشاقري في المديح النبوي:[4]

(الكامل)

لو كنتُ يمّمتُ التُّقى وصَحبتُهُ ... وسلكتُ إيثاراً سَواء طريقه
لأفدتُ منهُ فوائداً وفرائدا ... عرضتْ تَسَام لرابحٍ في سُوقه

فقد اشتمل البيت الثاني علي خبر لو التي جاءت في البيت الأول.

---

[1] وهو أن ترتبط قافية بيت، أو لفظه بما قبلها أو بما بعدها، ينظر ابن رشيق - العمدة 1 / 171
[2] - ابن الخطيب - الكتيبة 156
[3] - المصدر السابق 178، والاحاطة 1 / 195.
[4] - ابن الخطيب - الاحاطة 1 / 382

ب- عيب الإيطاء: [1]

ومن عيوب القافية من حيث الموسيقى عيب الايطاء، ومن أمثلة الايطاء في شعر القضـــاة، قـــول القاضي الخضر بن أبي العافية:[2]

(الكامل)

فإذا رأيتَ الرأيَ يتبَع الهَـــوىَ خالفْ وفاقَها تُعدْ حكيـــما

وبعد ستة أبيات يقول: (الكامل)

فاحلمْ على القسمين تسلَم منهما وتسدْ فتُدعى ســـيّداً وحكيما

ومن الايطاء قول القاضي إسماعيل بن هاني:[3]

(الطويل)

يجهّز جيشـــــاً للغـــرام مظفّرا ويُوردُه بَحْراً منَ الدّمع طاميا

ثم يكرر القافية نفسها بعد ثلاثة أبيات فيقول:

(الطويل)

ومنْ رَام غمْر البَحْر يزْحم مَوجَهُ فأوْشك بأن يلقى لدَى النسْف طاميا

وإذا كان البيت الذي وقع فيه الايطاء قريبا من البيت الأول الذي استخدمت فيه القافية المكـــررة، كان الإيطاء أكثر وضوحا، ويكون أكثر قبحا، ومما وقع فيه الإيطاء كذلك قول القاضي الخضر بـــن أبي العافية:[1]

(الخفيف)

أيُّ عزّ رأيـــتَ أو أيُّ ذل لذوي الحالتين في الدهر يَبْقى

وبعد بيت واحد فقط يقول: (الخفيف)

وتفكرْ وقلْ بغيْـــر ارتياب كلُّ شئ يفنى وربّـــكَ يبْـــقى

---

1 - هو أن يقفى بكلمة ثم يقفي بها في بيت آخر. ينظر المرزباني - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر - تحقيق محمد البجاوي - دار الفكر العربي، القاهرة، 1965، ط 1، ص 18، وابن رشيق - العمدة 169/1

2 - ابن الخطيب - الكتيبة 179، والإحاطة 381/1

3 - ابن الخطيب - الكتيبة 112

4 - ابن الخطيب - الاحاطة 1 / 408.

ويكون الإيطاء أكثر وضوحا وقبحا،إذا تكررت القافية في بيتين متتاليين. ومن ذلك قول القاضي اللخمي[1][2]

(الكامل)

أبتْ المَعارفُ أن تنالَ براحةٍ إلاّ براحةَ سَاعدِ الجدْ
فإذا ظفرتُ بها فلستُ بمدركٍ أرباً بغير مساعد الجدْ

الإيطاء على هذا النحو قل تواجده في شعر القضاة . وإن وقع فهو يوحي بضعف القائل، وفقره من الناحية اللغوية.

ولم يعد العلماء من الإيطاء تكرار الكلمة في القافية إذا جاءت معرفة مرة، ومنكرة مرة، ولو كان المعنى واحدا في المرتين[3] غير أنه إذا عد الإيطاء عيبا، فيرجع إلى أن الذوق السليم يكره التكرار والإعادة [4] فيجب أن يعد التكرار ولو اختلفت حالة الكلمة تعريفا وتنكيرا إيطاء، إذ أن زيادة "ال " في أول الكلمة لا تغير من الأمر شيئا، وقد عد العلماء من الإيطاء تكرار الاسم الذي اختلفت الحروف الداخلة عليه كقولك "لمحمد" أو "بمحمد". [5] فما وجه الخلاف بينه وبين التعريف، والتنكير حتى يختلف حكم عدهما من الإيطاء؟

وعلى ذلك يجب أن يعتبر من الإيطاء تكرار الكلمة التي تجيء معرفة مرة، ومنكرة مرة.

ومن أمثلة ذلك في شعر القضاة قول القاضي الشريف السبتي:[6]

(البسيط)

وإنّ غرناطة الغرّا حللتُ بها قصّرتُ من ريّب هذا الدّهر في حَرَم

وبعد هذا البيت بستة أبيات يقول:

---

[1] - هو عبد الله أبن محمد بن عبد الله بن خديم اللخمي. ينظر ترجمته ابن الخطيب -الكتيبة - 143
[2] - ابن الخطيب – الكتيبة 145
[3] - ينظر ابن رشيق - العمدة 1/ 170
[4] - ينظر المحبوب - المرشد 1/ 32
[5] - ينظر ابن رشيق - العمدة 1/171
[6] - البناهي - المرقبة العليا 175.

(البسيط)

ما ضرّني أنّ نبا بي أوْ بنا وطني منها ولي شرف البطحاء والحرم.

ومن ذلك قول القاضي محمد بن ورد الغساني:[1]

(الكامل)

يا ليلة عظمتْ بها الأذكـــارْ وتفتحتْ من نورها الأنوارْ

ثم يعود ليكرر القافية نفسها فيقول:

(الكامل)

والدّهر منها قد تجلى بهجة وكمتهُ من أسْرارها أنوارْ

وقول القاضي المنتشا قرى:[2]

(الخفيف)

كيفَ يُرْنى من علة وعليْها زائدٌ علة النـــوَى والفراق

وبعد هذا البيت ببيت واحد يكرر القافية نفسها فيقول:

(الخفيف)

فانسكاب الدُّموع جار مجار والتهاب الضُّلوع راق فراق

أما بقية عيوب القوافي كسناد التأسيس[1] وسناد الإشباع[2] وسناد الحذو[3] والإكفاء[4] والإجازة[5] فلم نجد لها أمثلة فيما وصل إلينا من شعر قضاة غرناطة.

---

1 – ابن الخطيب – الكتيبة 153

2 – ابن الخطيب – الإحاطة 1/ 386

1 – هو أن يأتي بيتا مؤسسا وبيتا غير مؤسس، ينظر الموشح للمرزباني 18-22 وابن رشيق العمدة 165/1 .

2 – هو اختلاف حركة الحرف الذي بين ألف التأسيس والروي ،ينظر المصدران السابقان.

3 – هو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الردف ، ينظر المصدران السابقان .

4 – هو اختلاف حرف الروي مع تقارب مخارجها ، ينظر المصدران السابقان .

5 – هو اختلاف حرف الروي مع تباعد مخارجها ، ينظر المصدران السابقان .

. المحور الثاني: الموسيقي الداخلية:

إن اعتماد الشاعر على إيجاد النغم الموسيقي داخل قصائده لا يتوقف على الوزن ،أو القافيـــة، أو التصريع فحسب، وإنما يعتمد على وسائل أخرى تعينه على بث التناغم الموســيقي خــلال البيــت الشعري، وسنعرض لأهم تلك الوسائل، وهي:ـ

استخدام البديع، والتكرار، والتوزيع المتناسب للحروف.

أ ــ استخدام البديع:

يرجع اهتمام الشعراء بالبديع إلي القيمة الفنية التي يضفيها البديع على الشــعر، فأهميــة البــديع ترجع إلى ما يضيفه من نغم موسيقي غير ذلك الصادر عن القافيــة، والــوزن. " فلــيس البــديع اللفظي إلا تفننا في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتي يكون له نغم موسيقي ".[1]

غير أنه ينبغي للشاعر ألا يكثر منه إلي حد يدخله في باب التكلف، والتعسف، فقد عــاب النقــاد على أبي تمام استكثاره من البديع وتكلفه فيه، بينما استحسنوه في شعر غيره لقلته. [2]

وإذا راجعنا ما وصل إلينا من شعر القضاة في غرناطة خلال القرن الثامن الهجري، وجــدنا أن معظم القضاة كانوا حريصين على تزيين قصائدهم بالمحسنات البديعية، فلا نكــاد نجــد قصــيدة أو مقطوعة من أشعارهم تخلو من محسن بديعي، وسنعرض نماذج من أشعارهم توضح ذلك.

كثر استخدام القضاة للمجاورة[3] محسناً بديعياً في أشعارهم، فوردت عدة أمثلة لهــا فــي أشــعار القضاة، من أمثلة ذلك قول القاضي محمد بن شعبة الغساني:[4]

(الكامل)

ما ذَوَّقَ الدَّهرُ الأنامَ مشقَّةً ... مثل إعْتياض شَبِيبةٍ بمَشيب

وبعادُ من قــرُبت إليْهم دارُهُ ... وفراقُ كل حبيــبةٍ وحَبيــب

ففي البيت الأول كانت المجاورة بين (شبيبة _ مشيب)

وفي البيت الثاني بين (حبيبة _ حبيب)

---

1 - أنيس - موسيقي الشعر 92

2 - ينظر ابن سنان - أسرار البديع في نقد الشعر - تحقيق احمد بدوي و حامد عبد المجيد - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - 1901 م - 163 ، وابن رشيق - العمدة 1/307

3 - هي ترديد لفظتين في البيت و وقوع كل واحدة بجانب الأخرى أو قريبا منها دون أن تكون أحداهما الفوا لا يحتاج إليه، كقول الشاعر ومطعمٍ الغنم يوم الغنم مطعمة ... أنى توجه واليحموم مكروم - العسكري - كتاب الصناعتين 413.

4 - ابن الخطيب - الكتيبة 117

و للقاضي محمد بن أحمد بن محمد قوله:[1]

(السريع)

حاشاكَ أو حاشا عُلاكَ التي ما مثلُها فهي لبابُ اللبابِ

ففي شطر البيت الأول كانت المجاورة بين (حاشاك – حاشا)

وفي شطره الثاني بين (لباب – اللباب)

كما كثر استخدامهم لمحسن الجناس، فزينوا به معظم قصائدهم، ومن الجناس قول القاضي أحمد بن محمد القيسي:[2]

(الخفيف)

ومنْ يزوج كريمة الهمة العُليا عُلوا فقد أجاد الخيارَ
سَتُريه لدى الولادِ بنيها العلمَ والحِلم والأناة كبارا

فجاء بالجناس بين (العليا – علوا) في البيت الأول، وبين (العلم – الحلم) في البيت الثاني.

و من القصائد التي اشتملت على مجموعة من المحسنات البديعية، قصيدة للقاضي خالد البلوي في المديح النبوي حيث يقول فيها:[3]

(الكامل)

قد أمكنَ الوصلُ الذي أمَّلتهُ وكذاك حُبّي أمكنتْ أسْرارهُ
قد كان عندي لوعةً قبل اللقا والآن ضاعف لوعتي إبْصارهُ
رفقًا قليلاً يا دموعي إقصري فالدَّمعُ يحسنُ في الهوى إقصارهُ
قد كانت الدمنُ الكريمةُ في غنىً عن أن يفيضَ بربْعِها تيّارهُ
أيضيعُ من زار الحبيبَ وقد رأى أنّ العزورَ ببابِهِ زوّارهُ
أيخيبُ من قصد الكريمَ وعندهُ حسنُ الرجاء وشعارُهُ ودثارهُ
أيؤم بابك مستقيلٌ عاثرٌ فيردَّ عنك ولا تُقالُ عثارهُ
حاشا جلالك أنْ يؤمّلَه امرؤٌ فيعودَ صفرا خيبتْ أسفارهُ
ياسيّد الأرسال ظهري مثقل فغدى تخفُّ بجاهكم أوقارهُ
رحماك فيمنْ أوبقته ذنوبه فكلاهما إقباله إدْبارهُ
لبسَ الصغارَ وقد تفاظم وزرُه والعفوُ تصغر عنده أوزارهُ
شطّ المزار ولا قرار وشدَّ ما يلقى محبٌّ شطّ عنك مزارهُ

فقد طابق بين (إقباله– إدباره) في البيت العاشر، وبين (تعاظم – وتصغر) في البيت الحادي عشر، وجانس بين (أمكن – أمكنت) في البيت الأول وبين (لوعة – لوعتي) في البيت الثاني، وبين

---

1. ابن الخطيب، الكتيبة 156
2. المصدر السابق 157
3. المصدر السابق 136

(أقصرى – إقصاره) في البيت الثالث، وبين (شعاره – دثاره) في البيت السادس، وبين (عثار – عثاره) في البيت السابع، وبين (الصغار – تصغر) و (وزره – أوزاره) في البيت الحادي عشر، وفي البيت الثاني عشر بين (شط – شد)، وبين (المزار – قرار).

وقد أتى بالمقابلة في البيت الحادي عشر.

وعلي الرغم من كثرة استخدامه للجناس ،والطباق في قصيدته فان قارئها لا يشعر بالتكلف في صناعتها، فقد جاءت القصيدة سهلة الألفاظ، واضحة المعاني.

ومن القصائد التي زُخرفت بالمحسنات البديعية قصيدة للقاضي المنتشاقري وهي في المديح النبوي، حتى لا يكاد يخلو بيت من أبياتها إلا وأتى بالبديع فيه، ومنها هذه الأبيات:[1]

(الطويل)

إليك تحن النّجب والنّجباءُ ... فهم وهي في أشواقهم شُركاءُ
تَخبُّ بركاب تحسبُ وصولها ... لأرض بها بادٍ سنى وسناءُ
وأنفاسها ما أن تني صُعداؤها ... وأنفاسهم من فوقها صُعداءُ
عمُوا عالجوا إذ عجل السّير داءهم ... وأشباه مثلي مُدبَفون بُطاءُ
فعدت ودوني للحبيب ترحّلوا ... وما قاعد والراحلون سَواءُ

أكثر القاضي المنتشاقري من الجناس في قصيدته، فجانس بين (النجب – والنجباء)، و(همو – هي) في البيت الأول، وبين (تخب – تحب) و(سنى – سناء) في البيت الثاني، وبين(أنفاسها – أنفاسهم) في البيت الثالث، وبين(عالجوا – عجل) في البيت الرابع، وبين (ترحلوا – الراحلون) في البيت الخامس.

وفي قول القاضي يحيى بن غالب يصف أسطولا، يأتي الجناس واضحا في قوله:[2]

(الطويل)

لها صفحاتُ الماء مثل صحائف ... وتلك الجواري المنشآت سُطورها
ميامين في الأسفار أنى تيممتْ ... فباليمن والإقبال يأتي سفيرها

فالجناس بين كلمتي (صفحات – صحائف) وبين (ميامين – اليمن) وبين (الأسفار – سفيرها).

ومن الجناس كذلك قول القاضي المنتشاقري:[3]

---

1 - ابن الخطيب - الاحاطة 4/ 384
2 - ابن الخطيب - الكتيبة 104
3 - ابن الخطيب - الكتيبة 121 ، والاحاطة 4/384

(الطويل)

على عوْدِ ذاك العهْدِ مازلتُ نادبا كما تندبُ الورقـاءُ فارقها الفـرْخ
يدي بأياديـكم وقلبي شَـــاغلٌ فمن فكرتي نسجٌ ومن أنملي نسْخ

فقد جاء القاضي المنتشاقري بالجناس في (عود – العهد)، و (نادبا – تندب) وذلـك فـي البيـت الأول، أما البيت الثاني فالجناس واضح في قوله (يدي – بأيديكم) و (نسج – نسخ).

فقد جاء الجناس غير متكلف، فكان معبرا عن نفسيته، ووصف ما آل إليه بعـد رحيـل أحبائـه وفراقه اياهم.

كان للجناس والطباق حضور واضح في معظم أشعار القضاة واستخدموهما أكثر من غيرهما من المحسنات البديعية الأخرى، كالترصيع[1]، ورد العجز على الصدر[2]، وحسن التقسيم[3]، بيد أنيا تحتاج إلى موهبة خاصة، التي قد لا تتأتى للقضاة بحكم أنهم غيـر مهتمـين بالتجويـد، والتنقـيح كالشـعراء المجيدين.

غير أننا لم نعدم وجود نماذج لاحظنا وجود تلك المحسنات فيها.

فمن الترصيع و حسن التقسيم قول القاضي عبد الحق الجذامي: [4]

(الكامل)

ياناظما أربى على حَسَّـان ياناثرا أزرى على سحْبان

كذلك قول القاضي أحمد بن يحيى:[5]

(الطويل)

محيّاك إصْباح وبشْرك وضّاحٌ وسعدك فتّاحٌ وحمْدك نفاحٌ

ويظير رد العجز على الصدر في قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[6]

---

1 - الترصيع أو الحزانة : وهو ما يقوم على تقسيم البيت إلى أجزاء متساوية مع المحافظة على السجع في الشعر.
2 - هو أن يرد أعجاز الكلام على صدره ويكون مخصوصا بالقوافي، ينظر ابن رشيق - العمدة 2 / 3
3 - حسن التقسيم : أن يقسم الكلام قسمة متساوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه، ينظر العسكري - كتاب الصناعتين 34
4 - ابن الخطيب - الكتيبة 167
5 - المصدر السابق 154 .
6 - ابن الخطيب - الإحاطة 1 / 499.

(الطويل)

وما ضعتُ في الدُّنيا بغيْر شفاعةٍ فكيفَ إذا كانَ الشَّـفيعُ أضيعُ

ومنه قول القاضي المنتشاقري: [1]

(الطويل)

فعدتُ وذوبي للحَبيـب ترحلوا وما قاعدٌ والرَّاحلونَ سَـواءُ

ومن نماذج المقابلة قول القاضي ابن جزي: [2]

(المتقارب)

جمـالٌ فعـالكَ أظـهرتُه وسِـرٌ كمالكَ أخفيـتهُ

ومن المقابلة قول القاضي ابن شبرين[3]

(الكامل)

قدْ كُنتُ تصغُر عن سِنى فتيانه فاليوم تصغُر عن سِنك كهوله

وقول القاضي البلفيقي :[4]

(الكامل)

رأس به هوسٌ جديـد لا الذي تُدريـه من هوس قديم فهدِ
قد حَلَّ ما أبْديـه من هذا كمَا قدْ حلَّ من ذاك الذي أخفيـه

2ـ التوزيع المتناسب للحروف:

تنوع النغم الموسيقي ينجم من عدة روافد، منها التكرار لبعض الحروف في البيت الواحد، أو في عدة أبيات مع مراعاة مواضع التكرار.[5]

ولم تُوضع مقاييس معينة، أو قواعد ثابتة لهذا التكرار، وإنما يعود إلى قدرة الشاعر، وبراعته في اختيار الكلمات التي تتناغم حروفها، فيكون في تكرارها نشر نوع من الموسيقى في الأبيات، وهـذا

---

1 ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة 1/ 385.
2 ـ ابن الخطيب ـ الكتيبة 142
3 ـ المصدر السابق 167
4 ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة 2 / 157
5 ـ بشار البدوي ـ أحمد محمد ـ علامات على طريقة النقد الأدبي ـ المقال الخاص بالتوزيع المتناسب للحروف داخل الأبيات، منشورات جامعة قار يونس ـ بنغازي ـ 1989م 129 ـ 134 .

التكرار يخضع للذوق الشخصي، سواء في إيجادها عند الشاعر أم في ادراكها عند المستمع، أو المتلقي.

ولملاحقة هذا النوع من الموسيقى في شعر القضاة نعرض هذه النماذج من أشعارهم.

فمن ذلك قول القاضي البناهي:[1]

(البسيط)

لله دَرُّكَ يامولايَ من ملكٍ ... شيدتَ بالحق للإسلام بُنيانا

ولم تُبالِ ببذل المال في غرض ... يعمُّ بالفضل ولدانا و بلدانا

وقمتَ في الولد الميمون طائره ... بسُنّة الدِّين إقبالا وإتقانا

بدا لنا قمراً تزْهو العيون لهُ ... مُقلدا من نطاق المَجْد شُهبانا

فقد عمد القاضي في أبياته السابقة إلى تكرار بعض الحروف بصورة واضحة تسترعي الانتباه، وهي (الميم – اللام – الدال – الراء)، فكان تكرارها في كل شطر من الأبيات السابقة، وتكرار (القاف)في البيتين الأخرين مما يكون نغما رائعا. فلم يكن هذا التكرار للحروف معيبا، فهو لم يأت على نحو يستثقله اللسان في النطق، أو تكرهه الأذن في السمع، بل صاحبه تناسب معتدل في التوزيع.

كذلك من الأبيات التي كان للتوزيع المتناسب للحروف أثر واضح في إشاعة نغم موسيقي عليها، أبيات للقاضي المنتشاقري في المديح النبوي يقول فيها:[2]

(الطويل)

إليك تحن النُّجب والنُّجباءُ ... فهُم وهي في أشواقهم شُركاءُ

تَخُبُّ بركابٍ تحبُّ وصولها ... لأرض بها بادٍ سنى وسناءُ

وأنفاسُها ما أن تبي صُعداؤها ... وأنفاسُهم من فوقها صُعداءُ

هموا عالجوا إذ عَجّل السّير داءهم ... وأشْباه مِثلي مُدْنِفون يُطاءُ

فعدت وُدوني للحبيب ترحّلوا ... وما قاعد والراحلون سَواءُ

في هذه الأبيات كان لتوزيع الحروف أثر كبير في إضفاء نغم موسيقي عليها، فقد جاءت الأبيات على وزن الطويل، وهو بحر هادي النغم، يتميز بطول مقاطعه فكان استخدام القاضي

---

[1] - ابن الخطيب ،الكتيبة 150 و الإحاطة 4/ 92

[2] - ابن الخطيب ، الإحاطة 4/ 385

لتكرار مجموعة من الحروف لبث المزيد من التناغم الموسيقي في الأبيات، وتوزيعها بشكل متناسب فقد استخدم مجموعة من الحروف (الجيم، والشين، والصاد، والسين) فوزعت في أنحاء مختلفة من الأبيات وهي من الحروف الصفيرية[1] التي تضفي صوتا موسيقيا رنانا على الأبيات، كما نلاحظ تكرار لحروف (الهاء، والدال، والحاء) بشكل واضح في الأبيات بشكل متناسب، يجعل نغمه واضحا، وبخاصة في تكرار حرف الهاء في البيتين الثالث والرابع وتكرار حرف الحاء في البيت الخامس.

و كان القاضي ابن شبرين ممن أظهروا مقدرة فائقة على حُسن اختيار الكلمات التي تناغمت حروفيا مما كان أثره واضحا في إشاعة نغم موسيقي غير ذلك الصادر عن الوزن، والقافية.

ومن ذلك قصيدته في الرثاء التي يقول فيها: [2]

(الكامل)

قد كان ما قال اليزيد	فاصبر فحزنك لا يُفيد
أوْدَى ابن هانىء الرضَا	فاعتادني للثكل عيد
بَحرُ العُلوم وصدرُها	وعميدُها إذ لا عميد
قد كان زيناً للوجو	د ففيهِ قد فجعَ الوجُود
العِلمُ والتحقيقُ و التـ	ـوفيقُ والحَسَبُ التليد

فقد كان حرف الدال رويا للأبيات وتكرار هذا الحرف يبدو جليا في الأبيات مما يشكل نغما واضحا فيها، أشبه ما يكون بصدي الصوت، فيوقع جرسا، ونغما داخل الأبيات.

أما حرف العين فقد تكرر في البيتين الثاني والثالث، بينما تكرر حرف القاف في البيت الأول، والرابع ،والخامس بشكل متوزان متناسق.

3ـ التكرار:

احتل التكرار أهمية كبرى في موسيقى الشعر، فكثيرا ما اتخذ الشعراء تكرار كلمة، أو مقطع كوسيلة لتقوية المعنى وتأكيده، ولكن يظل الجانب الموسيقي هو المقتطف لثمار التكرار مهما كانت الغاية منه، ومن المواضع التي يستحسن فيها التكرار غرض الرثاء، لمكان الوجيعة، وشدة الحزن

---

[1] ـ الصفير : صوت على درجة كبيرة من الرخاوة كالسين والزاي والصاد . ينظر سجلة المورد ..كتاب الحروف . المجلد الثالث .. (20) العدد الرابع .

[2] ـ ابن الخطيب ـ الاحاطة 3/ 153

التي يجدها المتفجع[1] فيكون تكرار الكلمات والعبارات الدالة على الحزن العميق الذي يشعر به الراثي، مما يجعل من هذا التكرار تخفيفا عما يجده من الفجيعة والأسى.

ومن ذلك قول القاضي ابن شبرين: [2]

(الطويل)

لتبك عيونُ الباكيات على فتى ... كريم إذا ما أسبغ العُرفَ أجزلا
على خادم الآثار تتلى صحائفا ... على حامل القرآن يتلى مفصلا
على عضد الملك الذي قد تضوعت ... مكارمه في الأرض مسكا ومندلا
على قاسم الأموال فينا على الذي ... وضعنا لديه كل إصر على علا

فقد كرر الجار والمجرور، وتركيب المضاف إليه، فأحدث نغما متناغما، أوضح التكرار صفات المتوفى ــ التي اجتمعت فيه المحاسن والمناقب ــ كما أوضح مدى التحسر على فقده.

وللقاضي محمد الغساني مقطوعة في النسيب يظهر فيها التكرار بشكل جلي حيث يقول:[3]

(الرجز)

يبلى على مَرّ الجديدين الهوى ... وهواك يا ليلى جديدٌ باق
قد رقّ من فرط الهوى جسمي فهل ... لي في الهوى من مشفق أو راق
ما ذاق قَيْسٌ في الهوى ما ذقتهُ ... كلا ولا أحدٌ من العشاق

كان تكرار كلمة (الهوى) ومشتقاتها واضحا في الأبيات، فشكل تناغما موسيقيا بين أشطر الأبيات والتكرار في النسيب مستحسن لما يكون له من أثر في إظهار دلائل التشوق، والاستعذاب.[4]

وفي شعر المديح النبوي كان تكرار صيغة النداء، وتركيب الموصوف بعدها، تنويه وإشادة بذكر الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، وتفخيما له في القلوب والأسماع، ومثال ذلك قول القاضي ابن شبرين:[5]

(الكامل)

يا حاضراً عندي وليس بحاضر ... إدراكه إنّ العقول تحيله
يا غائباً عن ناظريّ ولم يغب ... إحسانه عني ولا تنويله
يا واجداً حقا وليس بممكن ... تشبيهه كلا ولا تخييله

أما حين تكرر الكلمة مرات عدة في بيت واحد، فعندئذ تقع الرتابة، والضعف اللذان يجب على الشاعر أن يتفاداهما في شعره.

---

[1] - ابن رشيق - العمدة 2/ 76
[2] - ابن الخطيب - الاحاطة 2/ 475
[3] - ابن الخطيب - الكتيبة 116
[4] - ابن رشيق - العمدة 2/ 75
[5] - ابن الخطيب - الكتيبة 168

ومن أمثلة ذلك قول القاضي إسماعيل بن هاني في غرض النسيب: [1]

(الطويل)

هوىً والهوى يتلوه إثر الهوى هوىً كذلك هوىً حتى أزورَ المقابرا

فتكرار كلمة (الهوى) جاءت في هذا البيت دون تكرارها في أي بيت آخر، فجاءت قلقة في موضعها، توحي بالرتابة، والملل بتكرارها خمس مرات في البيت الواحد.

ثانياً: اللغة

إن الاختلاف في لغة أي شعر مرتبط بالعصر الذي قيل فيه، ومرتبط باختلاف ثقافة الشاعر واختلاف الموضوع، ذلك أن شعر القضاة الذي تناولناه بالدراسة خلال القرن الثامن الهجري كان مرتبطاً بثقافة القضاة، وتنوع الأغراض التي حاكوا بها أشعارهم فكان طبيعياً أ لا تسير أشعارهم على نمط لغوي واحد.

ويمكن بدراسة أشعارهم تسجيل الظواهر اللغوية الآتية:

ا- جزالة الألفاظ:

قسّم النقاد ألفاظ اللغة إلى جزلة ورقيقة، و أوضحوا أن لكل منهما موضعا يحسن استعماله فيه[2] والمقصود بالألفاظ الجزلة، هو ما تعرفه العامة إذا سمعته، ولا تستعمله في محاوراتها.[3]

ومن الأغراض التي يحسن استعمال الجزل من الألفاظ فيها وصف الحروب ،ومواضع الفخر، والمدح، وبالنظر في أشعار القضاة فيما وصل إلينا منها، لم نجد لهم نظماً في غرض الفخر، ولا في غرض الحماسة، ولكن في مدائحهم نجد قصيدة للقاضي أحمد بن يحيى، يمدح فيها السلطان تحتوي على ألفاظ جزلة حيث يقول فيها:[4]

(الطويل)

مُحيّاك إصباح وبِشْرك وضّاحُ وسَعدك فتّاح وحَمدك نفّاحُ
وسُلطانك الأعلى فلا مثنوية وللسيف والأقلام في ذاك إيضاحُ

---

[1] - المصدر السابق 113

[2] - ينظر ابن الأثير ضياء الدين ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،تحقيق أحمد محمد الحوفي و بدوي طبانة ،مكتبة نهضة مصر، القاهرة ،طبعة أولى ،1959م ، 2/ 270

[3] - ينظر العسكري ، كتاب الصناعتين 61

[4] - ابن الخطيب ، الكتيبة 134

2_ رقة الألفاظ وسهولتها:

أن الناظر في الشعر الأندلسي بعامة والشعر خلال فترة الدراسة بخاصة، يستشعر رقة ألفاظه، وسهولتها. فالميل إلى سهولة الألفاظ ورقتها صفة عامة في الشعر الأندلسي، على رغم ذلك فهي لا تهبط إلى درجة الابتذال و لا تنزع إلى التقعر، والحوشية.

وفي ذلك يقول ابن الجياب مفتخرا:[1]

(الطويل)

وأهديتُ منها للسِّيادة غادة نظمتُ من الدُّر الثمين بها سمْطا
وحاشيْتُها من كل ما شئتها فإن تجدْ حوشي تجدْ لفظها سَبْطا[2]

فيوضح الشاعر من خلال أبياته، ذلك المنهج المتبع، معبرا عن ذوق عصره. ورقة الألفاظ، وسهولتها تظهر جلية عند شعرائنا القضاة. وبخاصة حين ينظمون أشعارهم في غرض الرثاء. فالرثاء من الموضوعات التي تستحب فيها الألفاظ الرقيقة. إذا إنها حين تعبر عن عاطفة الحزن التي تسيطر على الشاعر تكون أجدر على وصف مشاعره.

من أمثلة ذلك قول القاضي ابن شبرين: [3]

(البسيط)

يا عين سحي بدمع واكفٍ سَرِبِ لجامل الفضل والأخلاق والأدَبِ
بكيت إذ ذكر الموتى على رجل إلى بلى الأحْيَاء مُنتَسَبِ

ويبدو أن القضاة كانوا يؤثرون استخدام الألفاظ الرقيقة في مختلف موضوعاتهم الشعرية فاستخدموا الألفاظ الرقيقة في الموضوعات التي تحتاج إلى ألفاظ جزلة، كمدح السلاطين.

ومن النماذج على ذلك قول القاضي البناهي:[4]

(الطويل)

لك الله قلبي في هواك رَهِينُ وروحي عنى إن رحلت ظعينُ
ملكت بحكم الفضل كُلي خالصا ومُلكك للحُر الصَّريح يزينُ

---

[1] - ابن الخطيب - الاحاطة 4/142

[2] - السبط : المسترسل غير الجعد من الشعر - ينظر الزمخشري - أساس البلاغة 283

[3] - ابن الخطيب - الاحاطة 3 / 222

[4] - المحبر السابق 4 / 93

فهبْ لي من نطقي بمقدارما بهِ يُترجم سِـرًا في الفؤادِ دفيـنْ

وسهولة الألفاظ لا تتنافى مع البلاغة، إذ إن البلاغة هي أن تكون الألفاظ مناسبة للمعاني مطابقة لمقتضى الحال، ومن القصائد التي توخى أصحابها سهولة اللفظ، قصيدة القاضـــي البلفيـــقي.

ومنها قوله:[1]

(الطويل)

تأسفتُ لكن حين عزّ التأسّـفُ وكفكفتُ دمعا حينَ لا عينَ تذرفُ
ورام سكونا وهو في رجْل طائر ونادى بأنس والمنازلُ تهتـــفُ
أراقـــبُ قلبي مـــرّة بعد مـــرةٍ فألفيه ذيّاك الذي أنا أعْـــــرفُ

ألفاظ القصيدة واضحة سهلة يدنو فيها الشاعر من لغته النثرية، وهـــي علـــي ســـهولتها تطـــابق المعاني التي أرادها الشاعر، كما يعد النسيب من الأغراض التي يستحب فيها رقة اللفظ وعذوبتـــه، فتصوير الوجد، والهوى لا يكون إلا باللفظ الرقيق العذب.

ومن ذلك قول القاضي محمد بن يحيى: [2]

(الخفيف)

آه من لوعتـــي ومَما أعـــاني ضاق صَدْري بالسرّ والكتمان
كنتُ أخفي عن الوشاةِ إلى أنّ فضحتني بدمْعـــها أجْفـــاني
ولئن دام يا خليـــلي ما بي فاحسباني بالحُبِ لاشك فاني
وتحولي على غرامي دليـــلٌ شـــاهد بالذي يُجـــن جناني

هكذا طغت الألفاظ الرقيقة السهلة على أشعار القضاة، فكانت نتاجا للطبيعة الأندلـــسية الرائعـــة، التي رققت الأذواق، وهذبتها.

3_الاقتباس من القرآن الكريم:

أدرك العرب بلاغة القرآن، وإعجازه، فمثل لديهم الغاية الكبرى في البيان، والفصاحة، فما كـــان من شعرائهم إلا أن اقتبـــسوا من عباراته، وألفاظه ما يزيد أشعارهم جمالا، وبهاء، فـــلا تكـــاد تجـــد شاعرا ممن جاءوا بعد الإسلام يخلو شعره من التأثر بمعاني القرآن، أو من الاقتباس من ألفاظه.

---

[1] - ابن الخطيب- الاحاطة 2 / 151
[2] - ابن الخطيب - الكتيبة 101 - 105

وإذا راجعنا ما وصل إلينا من شعر قضاة غرناطة وجدنا كثيرا منهم قد اقتبس من القران الكريم، ما يضفي على أشعارهم رونقا، وجمالا، ولكنهم يختلفون في طريقة الاقتباس، فبعضهم كانوا يضمنون أشعارهم ألفاظا وعبارات على نفس الصورة التي جاءت في القرآن الكريم.

ومن الأمثلة على ذلك قول القاضي البناهي: [1]

(الطويل)

سَيبْقى لها في مضمر القلب والحَشَا سَرِيرة ودّ يوْم تُبلى السّرائر

فجملة (يوم تبلى السرائر) من التعبيرات القرآنية، فقد وردت بلفظها في قوله تعالى[2]﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

ومن أمثلة هذا الاقتباس كذلك قول القاضي محمد بن يحيى في وصف الأسطول:[3]

(الطويل)

لها صفحاتُ الماء مثل صحائف وتلك الجَوَارى المُنْشئات سُطورها

فقد استخدم القاضي التعبير القرآني في قوله تعالى:[4]﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾.

كذلك نجد صورة الاقتباس بالألفاظ التي وردت في القران الكريم في قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[5]

(الكامل)

وهُزي إليكِ بجذْعِ الرضا تُساقط عليكِ الأماني ثِمارا

فالبيت بشطريه هو اقتباس واضح من آية قرآنية، مع تغير بعض الكلمات حتى لا يتطابق لفظه مع النص القرآني، وهو قوله تعالى:[6]﴿ وهُزي إليْكِ بجذْعِ النخْلةِ تُساقط عليكِ رُطبا جنيا ﴾.

والطريقة الثانية التي استخدمها القضاة في اقتباسهم من القرآن الكريم، فكانت تشتمل تضمين معنى الآية دون الالتزام باللفظ القرآني.

---

[1] - ابن الخطيب - الاحاطة 1 / 91
[2] - الطارق آية 9
[3] - ابن الخطيب - الكتيبة 101
[4] - الرحمن آية 24
[5] - ابن الخطيب - الكتيبة [8] و الاحاطة 1 / 497
[6] - مريم آية 25

ومن الأمثلة علي ذلك قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[1]

(الكامل)

وإذا بذلتَ فلا تُبـذّرْ إنّ ذا التبْذير مثلُ أخيهِ كانَ رَجيما

فمعنى البيت قد اقتبسه القاضي من المعني القرآني في قوله تعالى:[2] ﴿ إن المُبَذرين كانوا إخوان الشّياطين وكانَ الشّيطانُ لربه كفورا ﴾.

ومن أمثلة ذلك أيضا قول القاضي الشريف السبتي:[3]

(الوافر)

أقولُ وقدْ صببتُ الحبْرَ فيها كذاك اللّيل يُولجُ في النّهار

فالقاضي قد تأثر بقوله تعالى:[4]﴿ ذلكَ بأنّ الله يُولجُ الليلَ في النّهار ويُولجُ النّهار فِـي اللّيـل وأنّ الله سميعٌ بصيرٌ﴾.

وقوله تعالى:[5] ﴿ يُولجُ اللّيلَ في النّهار ويُولجُ النّهار في اللّيل وهوعليم بذاتِ الصّدُور ﴾.

كما يظير التأثر بما ورد في القرآن الكريم من ذكر للبعث، والنفخ في الصور، والحياة، والموت، والنسخ. في قول القاضي المنتشاقري[6]

(الطويل)

هواكمْ يقلبي ما لمحكمهِ نسْخ ومنْ أجْلهِ جفني بمدْمَعهِ يَسْخو
عليهِ حَيَاتي قدْ تمادتْ ومِيتتي وبعثي إذا بالصّور يتفقُ النفخ

فكان اقتباس القاضي من عدة آيات قرآنية، ومن سور قرآنية مختلفة.فالنفخ في الصور من قوله تعالى:[7]﴿ وهُوَ الذي خلقَ السّمواتِ والأرْض بالحقّ ويوْم يقُولُ كُنْ فيكون قولهُ الحقّ ولهُ المُلكُ يَوْمَ يُنفخُ في الصّور عالمُ الغيْب والشّهَادة وهُو الحكيمُ الخبيرُ﴾.

والبعث ،والحياة، والموت، من قوله تعالى:[8] ﴿ والسّلامُ عليّ يوْم ولدتُ ويوْمَ أمُوتُ ويوْمَ أبْعَـثُ حيّاً﴾.

---

1 - ابن الخطيب ـ الكتيبة 178 ، والاحاطة 1 / 395.
2 - الاسراء، آية 27
3 - كنون ـ ذكريات مشاهير رجال المغرب2/230 .
4 - الحج آية 61
5 - الحديد آية 6
6 - ابن الخطيب ـ الكتيبة ، 121 ، والاحاطة 1/ 384
7 - الانعام آية 73
8 - مريم آية 33

4_الاقتباس من الشعر المشرقي:

كان الاقتباس من الشعر العربي المشرقي، أو تضمين[1] بعض أبياته، أمرا شائعا بين أهل الأندلس حيث كانوا على صلة وثيقة بالشعر العربي المشرقي[2]من خلال رحلات طلب العلم للأندلسيين. فقد كان هؤلاء الطلاب يحملون إلى الأندلس دواوين الشعراء المشرقيين، وكان من الطبيعي أن يتأثر بها الشعراء الأندلسيون فيقتبسون منها، أو يضمنون بعض أبياتها في قصائدهم. وعلى رغم ذلك لم نجد فيما وصل إلينا من شعر القضاة ما يكشف عن اقتباس من الشعر المشرقي في أي من أشعار القضاة، غير قصيدتين ضمّن فيهما القضاة نوعي التضمين.

النوع الأول: هو أن يضمن الشاعر قصيدته أعجاز قصيدة أخرى مشهورة، فتكون الصدور كلها من نظمه، والأعجاز كلها من تلك القصيدة.[3]

وجاء على هذا النوع قصيدة للقاضي ابن جزي ضمّن فيها لامية أمرىء القيس التي يقول في مطلعها: [4]

(الطويل)

ألا عِمْ صَباحا أيُّها الطللُ البالي وهل يَعمنْ من كان في العصر الخالي

فلم يتقيد بنظام معين في الأخذ فقال:[5]

(الطويل)

أقولُ لعزمي أو لصالح أعمالي "ألا عِمْ صَباحا أيُّها الطللُ البالي"
أما واعظي شيبٌ سَمَا فوق لمتي "تَمَوّ حُبابَ الماء حالا على حال"

وقد وُصفت قصيدته تلك " بأنها من غرر قصائده التي حملتها عنه الرواة، وأعانه على مصنوعه الشريف الأدوات"[6]

1- التضمين في البديع هو أن يستعير الشاعر شعرا أو بيتا أكثر من شعر غيره، مصرحا بأخذه، أو معتمدا على شهرته بنظر ابن سنقر البنوي 249.

2- ينظر الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس 35.

3- قال العسكري في ذلك " وقد تسمي استعارتك الأعجاز والأبيات من شعر غيرك، واد خالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك تضمنها "، كتاب الصناعتين 132.

4- امرؤ القيس بن حجر امرئ القيس، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1958م 56.

5- ابن الخطيب، الكتيبة 139

6- المصدر السابق 138

وعمد القاضي ابن جزي إلى تحويل غرض القصيدة الأصيلي، إلى غرض المديح النبوي، وذلك على غرار ما كان متبعا في القرن السابع الهجري، فشكل ظاهرة مميزة[1]

والنوع الثاني: وهو بأن يضمن الشاعر شطرا أو بيتا لغيره، وعلى هذا جاء قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[2]

(الكامل)

"إن المقارن بالمقارن يقتدي" مثل جرى جَرى الرياح قديما

حيث يضمن الشطر الأول من آخر أبياته، عجز بيت عدي بن زيد الذي يقول فيه:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن المقارن بالمقارن يقتدى

و يختلف هذا النوع من التضمين عن النوع الأول، الذي ذكرناه سلفا بأنه غير ملتزم في كل أبيات القصيدة.

ومن المكثرين من التضمين من القضاة في هذا القرن القاضي ابراهيم التميري، فكان يرى أن الجميع في حاجة إلى الاستعانة بالتضمين فيقول:[3]

(الكامل)

لكن بدا عجزي فقلتُ مضمنا بيتين للتضمين كل محوّج

5_ألفاظ غير مناسبة :

إن ما لاحظناه من ظواهر لغوية جيدة في شعر القضاة في غرناطة، لا يعني خلو شعرهم من بعض الألفاظ التي يظهر للباحث فيها أنها غير مناسبة في موضعها التي وردت فيه، وذلك لكونها لم تؤد معنا جديدا،[4] أو لكونها كلمة غير لائقة أدبيا .

من نماذج ذلك قول القاضي محمد بن يحيى:[5]

1- ينظر الدراسة، القصيدة الأندلسية 348 - 349.
2- ابن الخطيب، الكتيبة 78 / م الاحاطة 1/495.
3- التميري ، إبراهيم بن الحاج ، حزانين القصر ومحاسن العصر في مدح أمير المسلمين عبد الله بن نصر، مخطوط عن نسخة المكتبة الوطنية نقلا عن الدراسة ، القصيدة الأندلسية 349.
4- قد عاب النقاد استخدام الكلمات المترادفة، ينظر بنوي، أسس النقد الأدبي عند العرب 156.
5- ابن الخطيب، الكتيبة 105.

(الخفيف)

آهٍ منْ لوْعتي و مَما أعاني ضاقَ صدْري بالسرّ و الكتمان

فكلمة " الكتمان" جاءت زائدة، فلم تؤد معنى جديدا غير المعنى الذي تؤديه كلمة " السر" فمن موجبات السر الكتمان، وعدم التفشي أو النشر.

كما لا تعد الكلمة مفيدة إذا جاءت مرادفة لما قبلها، ومن الأبيات التي وقع فيها ذلك قول القاضي ابن شبرين:[1]

(الطويل)

متى تسْمحُ الدُنيا بقربكُم متي نقد عاثَ هذا البين ظلْماً و عنتا

" فالظلم والعنت" كلمتان مترادفتان فجاءت كلمة العنت لإتمام الشطر عروضيا، لكنها لم تكن مفيدة في موضعها.

ومن الألفاظ التي وجب على الشعراء تحاشيها لكونها من الألفاظ الغير لائقة أدبيا لفظة (الكنيف) التي استخدمها القاضي البلفيقي في قوله: [2]

(الخفيف)

ما رأيتُ النسّاءَ يَصلحنَ إلا لذّي يَصلُحُ الكنيفُ لأجْله

فمثل هذا اللفظ لا يجدر أن يصدر من أي شاعر، فما بالك بأن يكون قائل البيت قاضيا مرموقا!

)مؤثرات بدوية :

شكلت الألفاظ البدوية ظاهرة متميزة في شعر القرن الثامن الهجري في الأندلس، رغم إنشائه في بيئة مغربية متحضرة[3]

وأشير من جاء في أشعارهم هذه الألفاظ جماعة غرفت بميلها إلى الاتجاه المحافظ منهم القاضي إبراهيم النميري، والقاضي المنتشاقري، خاصة عند تناولهم للمناسبات الدينية كالمولديات.

من ذلك قصيدة القاضي المنتشاقري التي يتشوق فيها للأماكن المقدسة ومنها قوله: [4]

1- ابن الخطيب ، الكتيبة 171

2- المصدر السابق 133 ، و الاحاطة 2/ 160

3- ينظر الهرامة ، القصيدة الاندلسية 1/ 290

4- ابن الخطيب ، الاحاطة 4/ 385

(الطويل)

إليكَ تحنُّ النُّجبُ و النجباءُ فهُم و هيَ في أشْواقهم شُركاءُ
تخبُّ بركابٍ تحبُّ وصولها لأرض بها باد سـنا وسـناءُ

و من ذلك أيضا قول القاضي ابن شبرين في المديح النبوي:[1]

(الكامل)

ظعن الصِّبا و من المُحال ظعونهُ إن كنتَ باكيهِ فتلك طلولهُ
قفْ عندها خيلَ الدُّموع و رَجِّلها واندبْ شَبابا شطَّ عنكَ رحيلهُ
نزحتْ بثينتُه و ليـلاهُ معا فبكى المَعاهدَ فيهُ و جَميلهُ

ومن الشواهد على ظهور المؤثرات البدوية قول القاضي محمد بن يحيى:[2]

(الطويل)

وإن قيلَ غربانٌ فمنْ أجلِ أنها تواعب أرْوَاح العِدا إذ تغيـرها
وإن قيلَ عُقبـانٌ فغيرُ حقـيقةٍ والا على التحقيق فهي وكُورها
تخطفُ إذ تنقضُّ كالنجم يرتمي بغاث العدا عقبانُها و صُقـورها

نجد المؤثرات البدوية في الأبيات وما تستدعيه هذه البيئة مـن تنـاول لمصـطلحاتها ووصـف لمعالمها من كلمات (النجب – تخب– النجباء – الصبا – ظعون) و أسماء(بثينة – ليلى – جميـل – قيس) وهي أسماء المحبين من المشرق، وقصصهم معروفة في الأدب العربي و(غربان، و عقبـان، والصقور، والوكر) وجميعها من ملامح البيئة البدوية التي تُدخل الأبيات في أجواء البداوة.

ثالثًا – الصورة الفنية

لكل شاعر طريقته الخاصة في عرض فكرته ومعانيه ونقل أحاسيـه ومشاعره، فربما عمد إلـى السرد والتقرير المباشر، أو إلى استخدام التصوير الفني[3]. وكذلك الحال بالنسبة لقضـاة غرناطـة الذين نظموا شعرا، فكان استخدامهم للصورة الفنية مما يضفي على أشعارهم جمالاً ورونقـا، وقـد اختلفوا في طريقة استخدامهم للتصوير الفني، فبينما يلجأ بعضهم إلى التصـوير الفني البسيط المتمثل في التشبيه المفرد أو الصور التقريرية المباشرة، يعمد بعضهم إلى استخدام الصور المركبة المتمثلة في التشبيه التمثيلي والاستعارة.

1- ابن الخطيب، الكتيبة 167 - 168.
2- المصدر السابق 104.
3- عن التصوير الفني في الشعر ينظر عصفور- جابر- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – دار الثقافة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م 392 – 399.

وسأعمد فيما يلي إلى دراسة الصورة الفنية في شعر قضاة غرناطة على مستويين:

الأول: استخدام الصورة التقريرية المباشرة.

الثاني: استخدام الصورة البيانية، كالتشبيه والاستعارة.

أ- الصورة التقريرية المباشرة

هي تلك الصور التي تتقرر هيئاتها لدى المتلقي بوساطة مدلول كلمات التعابير برسمها من غير اللجوء إلى أساليب البيان التي تقربها إلى الآخرين وتجريها في أذهانهم.[1]

ففي الصورة التقريرية يعمد الشاعر إلى الوصف المباشر، وهذا النوع من التصوير لاحظنا كثرة استخدام قضاة غرناطة له في أشعارهم، فلجأوا إليه في معظم أغراضهم الشعرية، فاستطاعوا من خلاله نقل معانيهم، وأفكارهم بشكل واضح.

ومن ذلك في غرض الرثاء مقطوعة للقاضي ابن شبرين يقول فيها:[2]

(الخفيف)

عينٌ بكي لميتٍ غادروه ... في ثراه ملقى وقد غدروه

دفنوه ولمْ يُصلِ عليه ... أحدٌ منهم ولا غسلوه

إنما مات يومَ مات شهيداً ... فأقاموا رسماً ولم يقصدوه

نجد أن القاضي قد اعتمد في رثائه على الصورة التقريرية، والوصف المباشر لموقف وفاة السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج ودفنه حيث لم يصلِّ عليه أحد ولم يُغسل فهو قد مات شهيداً، والشهيد لا يغسل لتبقى آثار دمائه شاهدة له يوم الحساب.

وتبدو الصورة التقريرية المباشرة جلية في قول القاضي البلفيقي:[3]

(البسيط)

قالوا تغربتَ عن أهل وعن وطن ... فقلتُ لمْ يبْقَ لي أهلٌ ولا وطنُ

مضى الأحبة و الأهلون كلهم ... وليس لي بَعدهم سُكنى ولا سكنُ

1- ينظر البصير، محسن كامل، بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبوعة المجمع العلمي 268

2- ابن الخطيب، الإحاطة 1/ 344

3- ابن الخطيب، الكتيبة 132

ومن الصور التقريرية ما ورد في غرض الحكم من قول القاضي الخضر بن أبي العافيـــة حيـــث يقول:[1]

(الطويل)

عليكَ بتقوى الله فيما تروُمـــه ... من الأمْر تخلُص بالمَرام وبالأجْـــر
فلا ترجُ غيرَ الله في نيل حاجةٍ ... ولا في دفع ضر في سَرار لا جَهْر
فمنْ أمَّ غيْرَ الله أشـــرَكَ عاجلا ... وفارقـــهُ إيْمَـــانه و هُو لا يَـــدْر

فقد اعتمد القاضي الخضر البساطة في المقطوعة، سواء من حيث اللغة، أو من حيـث الصـــورة الفنية، لأنها بذلك تكون أكثر ملائمة لمخاطبة عامة الناس، خاصة في هذا الغرض الشعري، فيسهل عليهم ادراكها وحفظها.

كما يظهر بساطة الوصف في الصورة الفنية المباشرة في سرد الرحلة إلى الأماكن المقدسة فـــي قصيدة للقاضي خالد البلوي يقول فيها:[2]

(الكامل)

الله أكبـــرُ حيـــذا إكيـــارُهْ ... هذا الشـــفيعُ لنا وهذى دارُه
لا حتَّ معتلجٌ يثرب وربوعها ... مثوى الرسول ودارُه وقرارُه
هذا النخيـــلُ وطيبةٌ و محمدٌ ... خيرُ الورىَ طرا وها أنا جَارُه
هذا المُصَلى والبقيعُ وها هُنا ... ربعُ الحبيـــــب وهذه آثـــارُه

2- الصورة البيانية

أ- **التشبيه:** هو عماد التصوير البياني، كثُر في شعر المائة الثامنة، وقد استخدم قضاة غرناطة في أشعارهم التشبيه بأنواعه المختلفة، وإن تفاوتت نسبة استخدامهم لنوع عن غيره، فقد احتـل التشبيه المفرد الصدارة في أشعارهم عن غيره من أنواع التشبيه الأخرى كالتشبيه التمثيلـــي، و التشبيه الضمني.

ومن أنواع التشبيه التي يمكن ملاحظتها في شعر قضاة غرناطة:

ا- التشبيه المفرد: ومن أمثلته قول القاضي البناهي:[3]

1- ابن الخطيب، الاحاطة 1/ 192.
2- ابن الخطيب - الكتيبة 135
3- ابن الخطيب - الاحاطة 1/ 93

(الطويل)

فتيانٌ صدق كالشُموس و كالحَيَـا حديثُهم ما شِئت عفةً يقولْ

ومن أمثلته أيضا ما نظمه القاضي أبو جعفر الجذلي في قوله:[1]

(الطويل)

خذّها ذوا بلّ من وشج يَراعـةٍ حازت قواما مثلَ غصن البان

ومن التشبيه المفرد أيضا قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[2]

(الطويل)

الناسُ كالأرض دون شَـكٍ ما طاب منها يطيبُ زرْعُه

ومن بين اللوحات الشعرية التي أتقن القاضي الخضر بن أبي العافية رسمها، وكـان التشـبيه أبرز أدواتها، قصيدة يصف فيها الشيب فيقول:[3]

(الكامل)

لأح الصّباحُ صَباحُ شـيبِ المفرقِ فاحمدْ سـراكَ نَجوتَ مما تَتقي

هي شيبةُ الإسـلام فاقدرْ قدرها قد أعتقتك و حقّ قـدرُ المُعتقِ

خَطّتْ بفوْدك أبيضاً في أسـودٍ بالعكسِ من معهود خطّ المهْرقِ

كالبرقِ راعٍ بسـوطهِ طرف الدُجى فأعاد ذهمته شـياتِ الأبلـقِ

كالفجرِ يرسـلُ في الدجنّة خيـطه ويحوكُ ثوبَ ضـيائه بالمشـرقِ

كالماء يسـتره بقـاعٍ طُحلُـبٌ فتراهُ بيـن خلاله كالزئبـقِ

كالحيّـة الرقشـاء إلاّ أنـهُ لا يبرأُ الملسـوعُ منـه إذا رَقَى

كالنجمِ عدّ لرجْم شـيطانِ الصّبا يا ليتَ شـيطانَ الصّبا لم يُحرقِ

كتبسُـمِ الزنجيّ إلاّ أنـهُ يُبكي العُيـونَ بدمْعها المُترقرقِ

ولم يأت القضاة في التشبيه بجديد، بل نسجوا على منوال التراث العربي، فاغلب تشبيهاتهم شائعة، ومنها ما أشار إلى بعضه الثعالبي بقوله "وهل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالأقاحي، وتشبيه الزهر بالنجوم، وتشبيه الخدود بالشقائق، فتلطف لذلك في

1- ابن الخطيب - الكتيبة 124، و الاحاطة 1/ 182
2- ابن الخطيب - الكتيبة 182
3- ابن الخطيب - الكتيبة 180، و الاحاطة 1/ 196

أن يأتي به منزع يصير خلقه في الأسماع جديدا "[1] ونجد مثالا لهذه التشبيهات في قول القاضي أبي جعفر الجنلي:[2]

(الكامل)

ومُنَمْنَمِ الشطينِ منهُ خمائلٌ كالمشرفيّ قد اكْتَسَى بفِرِنْدِهِ
فخمائلُ الدّيباجِ منه خمائلٌ مُتَعانقٌ فيها اليهارُ بوردِهِ
وقَدْ اختَفَى طوقٌ له في دَوْحةٍ كالسّيفِ رَدّ ذبابَهُ في غمدِهِ

2- التشبيه التمثيلي:

وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من عدة أشياء، ولهذا النوع تأثيره الواضح في النفوس لأنه ينقل المعاني من صورتها الأصلية إلى صورة جديدة تشترك في صنعها عدة أشياء مما يضفي عليها جلاء ،ووضوحا فيكون أثرها واضحا في لفت الانتباه، واستدعاء العقل، وإدراك المعنى بصورة ممثلة تدرك بالحواس، بالإضافة إلى الإدراك الأولي عن طريق العقل[3] وقد اتخذ الشعراء التشبيه التمثيلي لتلك الميزة وسيلة لتوضيح المعاني ورسم الصور التي تضيف إلى أشعارهم رونقا، وإبداعا وقد سار قضاة غرناطة على نفس الخطى، فاستخدموا التشبيه التمثيلي في أشعارهم ،وإن قل تواجده في أشعارهم إلا أننا لانعدم وجود نماذج له.

ومن ذلك قول القاضي خالد البلوي: [4]

(الكامل)

وكأنما الإكليلُ جامٌ مُذهبٌ ببواقيتِ الجوزاء فيه يُرصّعُ

ومن التشبيه التمثيلي كذلك قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[5]

(الطويل)

وقد وصل الطرفُ الأغرُّ كأنهُ غمامةُ غيثٍ برقُها غرّةٌ تهدَى

1- المقري ـ النفح 3/ 191
2- ابن الخطيب ـ الكتيبة 129 ، والاحاطة 1/ 182
3- ينظر الجرجاني ـعبد القاهر بن عبد الحمن ، أسرار البلاغة ،تحقيق هلموت ريتر ،دار المسيرة بيروت ،طبعة ثالثة ،1983م ، [د] ـ 102
4- ابن الخطيب ـ الكتيبة 137 .
5- المصدر السابق 179.

ومن أمثلة ذلك قول القاضي النميري:[1]

(الكامل)

خِلتُ الذي يعلو من الماء عادةً أتتْ غرسَها تَزْهو به مُدّة العُمرِ
فأعجبها رقصٌ فحيـن تمايلتْ تَساقط حليٌ زال عنها ولمْ تَدرِ

يصف الماء الجاري بقصر السلطان وصعوده في الجو كأنه فتاة جميلة، تزهي بجمالها يوم عرسها، تتمايل من الحسن والدلال، فتساقط منها حليها وهي لم تدر عنه من شدة ماهي فيه من الزهو، والفرح.

3- التشبيه الضمني:

هو تشبيه لا يأتي فيه المشبه والمشبه به على صورة من صور التشبيه المعروفة، إنما يلمحان من خلال الإدراك العقلي للمعاني، ويعد وسيلة من وسائل تقرير المعنى وتأكيده[2] وقد كان وجوده في شعر القضاة اقل حظاً من التشبيه المفرد والتمثيلي، ومن النماذج التي جاءت في شعر قضاة غرناطة لهذا النوع من التشبيه قول القاضي محمد بن سعيد:[3]

(السريع)

أخْرجْ من الدنيا ولا تَعْلَقْ منها بما لا بُدّ أنْ ينْتَسِفْ
ألا ترى البَدر على بُعده مهما يكنْ في ظلها ينْكَسِفْ

ومنه أيضا ما جاء في قول القاضي محمد بن الجقالة:[4]

(الكامل)

ولقد علمت بأنها سفكت دمي لكن جهلت كأنني لم أعلم
وأردت أخذ الثأر منك فراعني من غابة الغزلان صولة ضيغم

فقد جاء عجز البيت الثاني متضمنا تشبيها ضمنيا، حيث شبه نفسه كأنه صياد أراد الصيد من غابة الغزلان.لكنه فوجئ بصولة الأسد، فقر خوفا وهلعا منه وفي ذلك دليل على مدى ضعفه أمام محبوبته، والمدهش أنها صولة ضيغم من غابة الغزلان!

1- ابن عزيم - مختارات ابن عزيم 55
2- ينظر عتيق - عبد العزيز - علم البيان دار النهضة العربية بيروت 1974م، 101.
3- ابن الخطيب - الكتيبة 117
4- المصدر السابق 101

الاستعارة

تعد الاستعارة من أكثر ضروب التصوير تداولا بين الشعراء، وهي من أكثر أنواع الصور البيانية جمالا، فالكلام المشتمل عليها يتوصل المتلقي من خلالها إلى المعنى المراد من خلال إعمال العقل مع الحواس، وذلك لفهم المعنى الذي تؤديه الألفاظ المستعارة، ثم فهم المعنى الأصلي الذي أراده الشاعر، وعبّر عنه بغير لفظه الأصلي، فيكمن جمال الاستعارة في أنها "تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر".[1]

واختلف الشعراء في تناولهم للاستعارة من حيث الاهتمام بها، أو مجيئها عرضا في شعرهم، ومن جهة أخرى تحدد طبيعة الغرض مدى هذا الاهتمام، فبينما يُعنى الشعراء بها في مجال وصف الطبيعة، والحنين، والنسيب، ولا نجد ذات الاهتمام من الشعراء في شعر الجدل ،واثبات الفكرة.[2]

واستعارات القضاة في معظمها جاءت تقليدية لا تتسم بالجدة والطرافة، فمن استعارتهم الشائعة تناول وصف المحسوسات، والمعنويات وتصويرهما في صورة شخوص مستعيرة صفاتهم، و تظهر أمثلة ذلك في قول القاضي البلفيقي: [3]

(الكامل)

يفنى الهوى وغرامُ عزة باقِ ... و الشوقُ يذهبُ ما عدا أشواقي
حلفَ الهوى ألا يُفارق مُهجتي ... طول الزّمـــان إلى بلوغ تراقي

فاستعار صفات الإنسان (الفناء، والذهاب، والحلف، والفراق) واستعارهم لتشبيه الهوى والشوق به.

ومن ذلك قول القاضي الشريف السبتي: [4]

1- المرجاني - أسرار البلاغة 41.
2- ينظر البرامة - القصيدة الاندلسية 2/ 372
3- ابن الاحمر - نثير الجمان 158
4- ابن الاحمر - نثير فرائد الجمان 231

(الوافر)

كَفَفْتَ المقْلتين لتشْـــهدا لى ... فجَرَحتَ الدُموعُ الشَاهدين

فلو أبْصـــرت نَاظري المعْنَى ... وماءُ الدَمْع فوْق الوجْنَتَيْن

بَصُرتَ بوردتَينْ يَسحُ منْهما ... سكيبُ القَطْرِ فَوْقَ بَهارتَيْن

ومن الاستعارات التي اتسمت بالجمال من شعر القضاة، قول القاضي محمد بن ورد الغساني يصف ليلة الميلاد النبوي:[1]

(الكامل)

يا ليـــلة عظـــمتْ بها الأذكـــارْ ... وتفتـــحتْ من نُورها الأنوارْ

وسرى النســـيمْ بطيبها متأرجا ... فله شـــذا من نفحها معْطارْ

والدهـــرُ منـــها قد تجلى بهجة ... وكسـتْهُ من أســـرارها أنوارْ

وانقضب منها كُنلـــتْ بأزاهـــر ... وترنمتْ تشْدُو بها الأطيـــارْ

وتحـــلتِ الدُنيـــا جمالا رائـــقاً ... فلها من الحسن البديع سوار

فقد استعار القاضي عدة صفات للإنسان واستعملها مرة بأسلوب النداء لليلة المولد، ومرة للنسيم الذي يسري متطيبا بالروائح الزكية، والتجلي، والتزين، والكسوة، وجميعها من لوازم الإنسان.

رابعاً: بناء القصيدة

أ- الابتداء والافتتاح:

وكان ذكر الرحيل، والحبيب، ووصف الأطلال، وتذكر معاهد الأحبة، هو ما يفتتح به شعراء العرب في الجاهلية أشعارهم، وهو ما يعرف بالنسيب، وقد سلك بعدهم شعراء الإسلام المسلك نفسه إقتداء بالسابقين، ولما ألفته طباع العامة، فكان منهم من يصف المفاوز ويذكر الإبل، ولعله لم يركب جملا قط، ومنهم من كان يصف النساء ويذكرهن حتى لا يخرج عن مسلك الشعراء.[2]

ولكن شعراء الأندلس خلال القرن الثامن الهجري، فضلوا القصائد ذات الموضوع الواحد[3] وكذلك قضاة غرناطة فضلوا القصيدة ذات الموضوع الواحد، فجاءت معظم أشعارهم بدون مقدمات غزلية أو طللية، أو غيرهما إنما بدؤوا قصائدهم بغرضهم الأساسي، ومع ذلك فإن القصيدة

1- ابن الخطيب - الكتيبة 153

2- عن افتتاح القصيدة العربية ينظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء 1/20، وابن رشيق - العمدة 1/225

3- ينظر البرامة - القصيدة الأندلسية 2 / 122

في حالتي التعدد والوحدة تكونت من أجزاء ثابتة هي المقدمة (المطلع)، ثم الغرض، ثم الخاتمة وهي أجزاء لابد ان تكون منسجمة مع الموضوع العام.

عناية الأندلسيين بمطالع القصيدة، وحسن اختيار الألفاظ، وحسن نظمها مع ارتباط المطلع بالقصيدة وموضوعيا كانت ظاهرة ملموسة في القرن الثامن الهجري.[1]

وهذا ما سنلاحظه كذلك عند دراسة مقدمة قصائد القضاة خلال هذه الفترة.

من أمثلة عناية قضاة غرناطة بمطلع قصائدهم قصيدة القاضي محمد بن أحمد في الحكم، والنصح يقول فيها:[2]

(السريع)

ذرني فقد ساعد وقتٌ وطابْ إذ الأماني سمحتْ باقترابْ

فكان اختياره للألفاظ سهلة أنيقة، والموسيقي ظاهرة من خلال التصريع، و تكرار الحروف كالسين، والقاف، واختيار قافية الباء وهي من القوافي الذلل.

كذلك من المطالع التي وفق صاحبها في اختيارها مطلع مقطوعة للقاضي عبد الحق الجذامي في مدح أقلام أهداها يقول:[3]

(الكامل)

يا ناظما أربى على حسّان يا ناثرا أزرى على سحبان

يظهر عناية في اختيار التصريع، والترصيع وتكرار بعض الحروف.

والمطلع بعد ذلك مرتبط بالموضوع العام للقصيدة، أو مع المقدمة بسبب وثيق، وقيمة المطلع في أن يُعرف من مبدأ الكلام ما المراد به، ومن أمثلة ذلك من شعر قضاة غرناطة قول القاضي ابن شبرين:[4]

(البسيط)

ياعينُ سحّي بدمع واكفٍ سرب لحامل الفضل والأخلاق والأدب

بكيتُ إذا ذكر الموتى على رجل إلى بلى من الأحياء منتسب

1- ينظر اليرامة ـ القصيدة الاندلسية 2 / 122

2- ابن الخطيب ـ الكتيبة 155

3- ابن الخطيب ـ الكتيبة 124و الاحاطة 1/182.

4- ابن الخطيب ـ الاحاطة 3/ 222

على الفقيه أبي بكر تضمنه رمْ منْ وأعمل سيْرا ثم لم يؤبِ

فكهذا الرثاء لما فيه من لوعة الأسى، والفراق، وصدمة سماع خبر الوفاة ما يدفع إلى البكاء، والنحيب بخاصة عند التذكير بخصال المتوفى، وخُلقه، فيحول دون التفكير خارج نطاق المصيبة ولكنه يسمح باستهلال يتصل بذات الموضوع.

وكما أسلفنا القول فإن معظم أشعار قضاة غرناطة كانت بدون مقدمات طللية، أو غزلية ولكننا لانعدم وجود نماذج للقصائد افتتحت بمقدمات من هذا النوع، وقد يعجب الناظر في هذه القصائد بخاصة وأنها نُظمت في غرض المديح النبوي، فالمديح النبوي يُعد من الشعر الديني الذي تلائمه مقدمة عن الوعظ، أو لوم النفس، أو حتى وصف الشيب وليس التشبب والتغزل،[1] ولعل في قول ابن الخطيب ما يفسر ذلك " ويمدح الجهة النبوية مصدرا بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية"[2]

ومن أمثلة قصائد المديح النبوي التي صدرت بالنسيب قول القاضي المنتشاقري:[3]

(الكامل)

لما تناهى الصّب في تشْويقِهِ درّ الدُّموع اعتاضَها بعقيقه
متلهّفاً وفؤادهُ متلهّب كيف البقاءُ مع احتدام حَريقه
متموّج بحر الدُّموع بنجْده أنىّ خلاص يُرتجى لغريقه

ولم تكن قصيدة المنتشاقري الوحيدة التي صُدّرت بالنسيب، فجاءت كذلك قصيدة للقاضي ابن شبرين مُصدرة بالوقوف على الأطلال يقول فيها:[4]

(الكامل)

ظعن الصّبا و منْ المُحال قُفولهُ إن كنتَ باكيه فتلكَ طلولهُ
قفْ عندها خيلَ الدُّموع ورجّلها واندبْ شبابا شطّ عنكَ رحيلهُ
نزحتْ بثينته وليْلاهُ معا فبكى المعاهد قيسهُ وجميلهُ

1- قد خضع الغزل الذي يصدر به المديح النبوي إلى شروط وضعها النقاد في هذا المجال " إن الغزل الذي يصدر بالمديح النبوي ينبغي على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتحاشى ويتشبب مطربا بذكر سماع وراعه وسفح العقيق والمنيب " الحلاوي، عبد القادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، 395 .

2- ابن الخطيب، الاحاطة 1/ 381.

3- المصدر السابق نفسه .

4- ابن الخطيب، الكتيبة 167 .

نحن لا ننكر بدء القصيدة المديحية النبوية بالنسيب، فقصيدة (بانت سعاد) التي لا تزال عالقة في أذهاننا لم ينكرها أحد من النقاد، ولكننا ننكر أن تكون هذه مقدمة قاض يمدح بها الجهة النبوية المقدسة، في حين أن القضاة انصرفوا عن هذه المقدمات في أغراضهم الشعرية الأخرى.

2- التخلص والخروج:

سماه النقاد تخلصا، وخروجا، وتوسلا[1] واستحسنوا منه ما كان الانتقال فيه لطيفا وقد سار فيه الشعراء على طريقتين:-

الأولي:- طريقة العرب الأوائل، وهي التي يكون الخروج منها منقطعا عما قبله (دع ـــ ذا) أو (عد عن ذا) أو يأتي بأن المشددة ابتداءً للكلام الذي يقصده [2] ومما سار على هذا النهج القديم القاضي بن شبرين في قصيدة المديح النبوي حين يقول: [3]

(الكامل)

ضيّعتَ في طلب الفضول بكورَهُ ... لكن تدمت وقد أتاكَ أصيلهُ
دعْ عنكَ تذكار الصِّبا إن الصِّبا ... رَسمٌ يهيجُ لك الغرام مُحيلهُ
يا مفرقًا نزل المشيبُ به أتَـئِد ... فالحرُّ لا يُؤذى لديه نزيلهُ

فبعد أن فرغ من نسيبه، يصرح بأنه سيدع الحديث عن الصبا، للحديث عن المشيب والزهد في الدنيا.

أما الطريقة الثانية:- التي اتبعها الشعراء في الخروج والتخلص، فهي طريقة المحدثين من الشعراء، وهي أن يكون المخرج متصلا بما قبله.

ومن أمثلة هذه الطريقة ما نجده في قصيدة القاضي المنتشاقري في المديح النبوي حين يخلص من المقدمة الغزلية إلى الزهد تمهيدا للتخلص إلى غرضه الأساسي وهو المديح النبوي.

يقول القاضي المنتشاقري: [4]

(الكامل)

سَجع الحمام بشوق ترجيع الهوى ... فأثار شَجْوَ مشوقه بمشوقه
وبكتْ هديلا راعها تفريقه ... ويحقّ أن يبكي أخو تفريقه

---

1 - ينظر ابن رشيق - العمدة 1/ 230 - 231
2 - ينظر طريقة العرب في التخلص ابن طباطبا - عيار الشعر 111
والعسكري - كتاب الصناعتين 432، وابن رشيق - العمدة 1/ 231
3 - ابن الخطيب - الكتيبة 167-168
4- ابن الخطيب - الاحاطة 4/ 381

وبُـــكاءُ أمثـــالي حـــقٌ لأنني لم أقض للمَولى أكيـــد حُقُوقـــه

و بعد أبيات عدة يصف فيها زهده، وورعه، يخرج إلى الغرض الأساسي وهو المديح النبوي فيقول:[1]

(الكامل)

لولا رجَـــاءُ تلمُّحي من نـــورهم يحيى الفؤاد بسـيره و طروقه
و تأرج يُـــــتاف من أرواحهم سَبَبٌ انتعاش الرُّوح طيب خُلوقه
لفتنت من جـــراء جـــرائري التي من خوفها قلبي حليف خفوقـــه
ومعي رجَـــاءُ توسّـــل أعددته ذخرا لصدمات الزّمان وضيـــقه

3-ختام القصيدة:

وهي ما يسوقه الشاعر من عبارات تُوحي بتمام النص الشعري، وهي آخر ما يبقى في الأســـماع منه، لذا اشترط أن يكون محكما لا يمكن الزيادة عليه، و لا يأتي بعده أحسن منه.[2] "فلا شـــي أقـــبح من كدر بعد صفوة، وترميد بعد إنضاج".[3]

وختام القصيدة اختلف وتنوع أشهره الدعاء، غير أن بعض النقاد لم يستحبوا أن تُختم القصـــيدة بالدعاء لكثرة تناوله من قبل الضعاف من الشعراء، ولكنهم استثنوا من ذلك الدعاء للمملوك.[4]

وسما خُتم بالدعاء ولم يكن موضع انتقاد، ما ورد في خواتيم قصائد المديح التي غالبا مـــا كانـــت تختم بالدعاء للممدوح، بالبقاء، والعزة، وأمثلتها كثرت في شعر قضاة غرناطة ومنها قول القاضـــي ابن فركون يمدح الســـلطان ويختم بقوله:[5]

(الطويل)

بقيتَ على مرّ الدّهور مملّـــكا جنابُك محروسٌ وبابُك مقصودُ

كذلك قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[6]

(الكامل)

ودَعوتُ ربي في بقائك سالما واللهُ ينجزُ في الدُّعاء الموعدا

1- ابن الخطيب - الإحاطة 382/4
2- ينظر ابن رشيق، العمدة 1 / 239
3- القرطاجني، منهاج البلغاء 285
4- ينظر ابن رشيق، العمدة 1 / 241
5- ابن الخطيب، الكتيبة 102، والإحاطة 1 / 162
6- ابن الخطيب، الكتيبة 180

ولم يكن الدعاء وحده ما يختم به قصيدة المديح عند القضاة، فنرى في خواتيمهم معاني أخـــرى، كأن يفتخر القاضي بشعره، وذلك على عادة القدماء، ويربط ذلك بالدعاء أيضا.

من ذلك قول القاضي أحمد بن يحيى:[1]

(الطويل)

وهذا مديـــــحٌ في الهناء نظمتُهُ ... وتشرُ مديحي في معاليكَ فواحُ
قدحـــتُ له فكـــرى بأورى زنادِهِ ... فللهِ زندٌ من ضميـــري قـــداحُ
وذمْ في سَـــعاداتٍ تروح وتغتدي ... فيقدم إمْسَـــاءٌ بهنَّ وإصْـــبَاحُ

كما استحب الختم بالدعاء في قصائد الرثاء، ففي هذه الحالة يكون أحوج ما يحتاجه المقام مـــن أن يدعو الشاعر للمتوفى بالمغفرة، والرحمة.

ومن أمثلة ذلك قول القاضي ابن شبرين في رثاء البلوي: [2]

(الكامل)

وتعهدتْك من المُهيـــ ـــ ـــ ـــ من رحمة أبدا و جُودْ

كما يُعد السلام من الخواتيم التي كثر تداولها في شعر هذه الفترة بعامة، وفي شعر القضاة كذلك، ولم يكن ارتباط واضح بين خاتمة السلام، والغرض العام للقصيدة.

ومن ذلك قول القاضي ابن شبرين في ختام قصيدة رثائية: [3]

(البسيط)

عليكَ منّي سَـــلام الله يتبعه ... حُسْنَ الثناء وما حييت من كثبِ

ويظهر السلام غالبا في قصائد المديح النبوي، ومنه قول القاضي المنتشاقري:[4]

(الكامل)

منّي السّلام عليهم كالزّهر في ... تاليـــفها والزّهـــرُ في تاليـــفه

1- ابن الخطيب، الكتيبة 154.
2- ابن الخطيب، الاحاطة 154/3.
3- المصدر السابق 223/3.
4- ابن الخطيب، الاحاطة 384/3.

ومنه أيضا قول القاضي البلوي:[1]

(الكامل)

واقرأ على الجزْع السّلامَ وسحّ من قطراتِ دَمعكَ حيثُ تلكَ الأربُع

وقصائد الغزل غالباً ما كانت تُختم بتعهد المحب بالوفاء على عهد الهوى.

ومما يظهر فيه ذلك قول القاضي ابن شبرين:[2]

(الطويل)

ولي نيةٌ ما عِشتُ في حفظِ عهدهم إلى يوم القاهُم وللمرء ما نوى

وقول القاضي البناهي:[3]

(الطويل)

ستبقى لها في مُضْمَر القلب والحشا مسريرة وُدٍّ يوْم تُبلى السّرائر

و لأن خواتيم القصيدة هي أخر ما يعلق بالأذهان، حرص على جودتها القضاة، ومن وجوه العناية بها تميزها بحكمة، أو تضمين بيت مشهور.

ومن أمثلة ختم القصيدة بحكمة قول القاضي الخضر بن أبي العافية:[4]

(الكامل)

وجماعُ كلُّ الخيرِ في التقوى فلا تعدم حلى التقوى تَعد حكيما

ومن أمثلة تضمين البيت الأخير من القصيدة بيتا مشهورا، قول القاضي الخضر بن أبي العافية: [5]

(الكامل)

إن المُقارن بالمقارن يقتدي مثل جرى جري الرّياح قديما

---

[1] - ابن الخطيب - الكتيبة 137.
[2] - المصدر السابق 171.
[3] - ابن الخطيب - الإحاطة 1/114.
[4] - المصدر السابق 1/114.
[5] - ابن الخطيب - الكتيبة 179.

الخاتمة

بعد هذه الجولة مع شعر قضاة غرناطة في القرن الثامن الهجري ودراسته، نخرج منها بأهم ما توصلنا إليه من نتائج وهي:

- إن دراسة العصر الذي عاش فيه القضاة يعد شرطا مهما لبيان مدى تأثير ذلك العصر في نتاجهم الشعري، وارتباطه بنشاطهم الاجتماعي والديني.
- إن ذلك العصر كان مضطربا، شديد الاضطراب، تسوده الخلافات الداخلية، والتنافس على الحكم،فكانت الحرب سجالا بين المسلمين والنصارى، وكان النصر غالبا حليفا للنصارى بسبب التفكك،والضعف اللذين عصفا بالمسلمين إلى الهاوية.
- ازدهرت الحياة الفكرية في أواخر القرن الثامن الهجري في مملكة غرناطة،حيث أقيمت المدارس والجامعات وتعددت الرحلات العلمية، فبرز عدد كبير من العلماء، والأدباء.
- استطاعت مملكة غرناطة أن تنعم بشيء من الاستقرار في عهد أبي الحجاج،وابنه الغني بالله، فانتعش اقتصادها، وسادها الخير، والرخاء.
- قل الاهتمام بالعلوم العقلية والفلسفة بخاصة والتي عدت من أنواع الزندقة، وبسبب اتهام بعض الكتاب والأدباء بها تم نفي و إحراق عدد من الكتب.
- كانت خطة القضاء في الأندلس من أعظم الخطط عند العامة، والخاصة، وذلك لأنها تعلقت بأمور الدين، فلم يكن يتولى منصب القضاء إلا العلماء والفقهاء، وكان للقاضي سلطة واسعة في الأندلس،فتعددت صلاحياته، حتى أصبح له الكلمة الثانية في المملكة بعد كلمة السلطان.
- قد حاولنا من خلال التعريف بأهم مشايخ بعض القضاة، أن نميط اللثام عن ثقافتهم التي تنوعت مناحيها، وظهر آثارها في أشعارهم، وتنوع المجالات التي ألفوا فيها كتبهم ومؤلفاتهم.
- لم تكشف لنا المصادر التي ترجمت للقضاة عن مصادر ثقافتهم الشعرية، ولكننا استطاعنا من خلال قراءتنا لطبيعة الحياة في الأندلس أن نستنتج بعض تلك المصادر فقد كان الاهتمام بتعليم الصبية لشيء من الشعر، حتى إذا شبوا نشؤوا على حب الشعر وقوله، و كان لتشجيع السلاطين والحكام للشعر وقائليه أثره في تعلق العامة والخاصة بنظم الشعر، وكان للصداقة التي قامت بين بعض القضاة وبعض الشعراء أن أثمرت عن مراسلات شعرية ساعدت على نضوج الملكة الشعرية عند القضاة.

- كان من أسباب ضياع وفقدان عدد من دواوين وأشعار القضاة، عدم اهتمام أصحاب كتب التراجم الأدبية و المختارات بنقل الأشعار كاملة، فاكتفوا بذكر بعض الأبيات كنماذج، معتمدين على أذواقهم الخاصة.

وكان لسياسة الأسبان التي اعتمدوها دور هام في القضاء على التراث الفكري الأندلسي من خلال الحرق المتعمد للكتب العربية، كما يرجع ضياع بعض شعر القضاة إلى عدم اهتمام النساخ بتدوين شعر القضاة وصبّ اهتمامهم على جمع وتدوين شعر غيرهم من الشعراء المجيدين.

- من حيث الأغراض الشعرية فقد تنوعت أغراض القضاة الشعرية، فنظموا أشعارهم في معظم أغراض الشعر ،وقد احتل غرض المديح النبوي الصدارة بين أغراضهم الشعرية،ويرجع اهتمامهم بهذا الغرض الشعري لارتباطه بالشعر الديني.
- وكان غرض الهجاء من أقل الأغراض الشعرية حظا بين أشعار القضاة، وقد كان قلة الهجاء ظاهرة متميزة في القرن الثامن الهجري، يرجع السبب في ذلك إلى أن بعض مؤرخي الأدب وجامعيه كانوا يأنفون من تدوين الهجاء ومثالب الرجال (1) كما كانت نفوس القضاة قد عفت الخوض في الهجاء لما يتضمنه من سباب، و تعريض بالأحساب، وقد باهى القاضي النميري في انه لا يقول الهجاء في قوله: [2]

(الطويل)

ما لي هجاءٌ فأعْجِبنّ لشاعر وكتاب سرّ لا يقيمُ هجاء

- وقد لاحظنا خلو أشعار القضاة من الشعر التعليمي الذي تميز بالنظم فيه معظم الفقهاء. وحرص القضاة على استخدام عدة وسائل لإشاعة النغم الموسيقي داخل قصائدهم ، وكان من أهم تلك الوسائل،الوزن فقد تخيروا لأشعارهم أشهر بحور الشعر والتي نظم فيها فحول الشعراء، ومن وسائل النغم الموسيقي أيضا التصريع ،ووجوده في معظم أشعارهم دليل على اقتدارهم وقوة طبعهم .
- تميزت قوافيهم بأنها من القوافي الذلل ، السلسة المخرج ، وندر في أشعارهم القوافي النفر .
- وبالنسبة للمحسنات البديعية فقد حرص القضاة على تزيين قصائدهم بالمحسنات البديعية والتي كان الجناس على رأسها .

---

1. ينظر الهراسة ، القصيدة الأندلسية 47.
2. ابن الخطيب ، الكتيبة 206.

- أما لغتهم الشعرية فقد تميزت بسهولتها ورقتها وبساطتها ، وهو أمر شاع وجوده في معظم أشعار ذلك العصر ، وكان أثر القرآن الكريم و الاقتباس من معانيه و ألفاظه أمرا واضحا في أشعارهم.
- قد أعتمد القضاة في معظم أشعارهم على الصورة التقريرية المباشرة ،و ذلك أدعى عندهم لنقل أفكارهم ومعانيهم بشكل واضح، لكنهم حين استعملوا الصور الفنية كان التشبيه بأنواعه أكثر الصور البيانية حضورا في أشعارهم.
- ظهرت الوحدة الموضوعية في معظم قصائدهم ،فقد فضلوا القصيدة ذات الموضوع الواحد.وبذلك قد خالفوا نهج القدماء فلم تظهر المقدمات الغزلية أو الطللية في أشعارهم ، فيما عدا بعض قصائدهم في المديح النبوي. وقد ارتبطت مطالعهم بالموضوع العام للقصيدة.

وعلى هذا فإن شعر قضاة غرناطة من الناحية الفنية لم يكن متميزا عن غيره من الشعر المشرقي . فحافظوا على الأصول الفنية المتعارف عليها في بناء القصيدة عند علماء الشعر ونقاده.

ملحق بأشعـــار

قضـاة غـرنـاطـة

في القرن الثامن الهجري

القاضي أبوبكر محمد بن أحمد بن على بن الزيات

يفاتَحُ بالتسليمُ مجلسُ عزكمْ وبالرحمةِ العظمى وبالبركات
وحبيَ فيكم غيرُ خافٍ عليكمُ وحسبيَ هذا الحبُّ طولَ حياتي
أدام لك الله السعودَ وأبقيت عــلاك بحيدِ الملك منتظمات

* * * * * * * * * * *

لما علوتمْ يا مصابيحَ الدجى رُتباً فَصَرْتُ عليكمُ في الرجا
وقرعتُ بابَ الفضلِ منكم سالكاً سُنناً من الحرصِ الرضيْ ومنهجا
وأبيتُ إلا ان أكون أبناً لكم عملاً بما يقضي به حكمُ الحجى
واللهُ جلَّ أسماً يطيلُ بقاءَكمْ ويُري أبنَكمُ فيكمْ جميعاً ما رجا

* * * * * * * * * * *

دعوا أدمعي شوقاً للقياكمُ تجري فانيَ في حبي لكمْ رابحُ التُّجرِ
وأهدوا لنا رَوْحَ العذيب وبارقٍ ولكنْ من الريقِ المعطرِ والثغرِ
ولا تبتغوا مني السلوَّ فانني سأسلو سلوَّ البانِ عن واكفِ القطرِ
وأتركُ تهيامي بكمْ وصبابتي كما تركَ الحادي السُّرى ليلةَ النفرِ
وأنساكم لكنْ كما نسيَ الهوى على النأي قيسٌ وابن معمرٍ العذري
فياصاحبيْ نجوايَ من آلِ عامرٍ الا نادماني بالغرامِ مدى عمري
ويا مثقل الخدر الذي قذفت به أمونٌ تباري الريحَ في البلدِ القفرِ
دعوتُكَ فاحللْ بيتَ قلبيَ زائراً
بدعوةِ ابراهيمَ للبيتِ ذي الحجرِ
وبالسجفِ في الحيِّ المنيعِ غادةٌ ببيتُ بها نجمُ السماءِ على ذعرِ
منعمةٌ لذَّ الثقاءُ بجسمها ولو أنها تبدي هجيراً من الهجرِ
ولو صدعتْ قلبي وحيّتْ بوجهها لقلتُ :صباحٌ دونه صَدْعَةُ الفجرِ
بوادي الغضا حلّتْ ولكنْ من الحشا
وشِعْبِ النقا لكنْ من السحرِ والنحرِ
وأسندَ وجدي من أحاديث حسنِها غرائبَ لم تخطر ببالٍ ولا فكرِ
فلم تروِ يوماً عن نمومٍ سوى الشذا ولم تروِ يوماً عن ضعيفٍ سوى الخصرِ
إذا لم أشاهد ربعها كلَّ ليلةٍ فانك يا انسانَ عيني لفي خسرِ
وما أثارَ الوجدَ جيدٌ أمالني
بوسواسِ حلْيٍ مالكٌ في الهوى أسري
وثغرٌ ثناني الردُّ عن لثم دُرِّه كأن رقيبي قدَّمَ الراءَ من درِّ
نسيتُ ولا أنسى معاهدَ بالحمى بمثلها فكري ويلزمها ذكري

اذا انتصبتْ دوحاتها خفضتْ بها
غصوناً قراها الغيثُ في الورق الخضر
وقد جرّها نفحُ الصبا بعد ربعها
كأنّ نسيماتِ الصبا أحرفُ الجر
عجبتُ لنبتٍ وسطها وهو باقلٌ
يخيم به قسٌ عن النظم والنثر
وربّ رياضٍ بالغديرِ تزيّنتْ
بنضرِ نباتٍ غاص في مائها الغمر
رياضٌ حكتْ لا في الشجون قتيلةً
ولكنْ لها عينان تجري على النضر
وأخرى بذاتِ الجزع طيّ ظلالها
نعمتُ به يقظانَ في سِنَةِ العمر
ولمّا تقضّى الليلُ الا أقله حبتنا بعطارِ الشذا أرجِ النشر
كأن بروقَ الجوّ ثارٌ تلهبتْ
وما أرفضٌ من جنح الدجى عنبرُ الشحر
اذا ما التقى في نهرها ساكنانِ منْ
قضيبٍ ومن حصباءَ حرّكَ بالكسر
بجرره ذيلُ النسيم طروبةً
ولا طربَ الحادي بذي الآثل والسدر
ترى الغيثَ فيها باكياً متحيراً
اذا ضاع من اكمامه مُورج الزهر
معانقه من قضبها كلّ أهيفٍ
ولا هيفَ الأعطافِ في الحلل الحمر
تكادُ لعمري فيه كلّ حمامةٍ
تشبُّ عن الطوقِ ارتياحاً على الذكر

وكم ساعدتهـــا وهي بالشربِ بَرة
وما برّهـــا بالبدعِ كلا ولا النكر
بقطر الندى قطرُ الندى وَسطها اقتدى
فمـــا نام لما نام ذو الكاس والوتر
فمن عـــاذري من حيرتي وتولهي
اذا سفرتْ منهـــا المحاسنُ للسّفر
اعادت لي الشوق القديم مياههـــا
وَحُسْنَ الهوى من حيث ادري ولا ادري
كأني علىُ والعيـونُ التي رنقت
عيون المها بين الرصافة والجسر
الا يا نديمـــاَ حثّ مسكيّةَ الشذا
الى الديرِ لا دارين منسوبةَ النّجر
تراجعهـــا ايدي السقاةِ كأنهـــا
وقـــد قطعَتْ بالمزج بيتٌ من الشعر
نشدتك هل غصنُ الرياضِ ابنُ هانىء
يميل بساباطَ ارتياحـــاً الى الخمر
وهل بلبلُ الدّوّحاتِ يحيى بن اكثم
يظلُ دفينا في الرياحين ذا سكر
وهل أهدتِ الازهارُ عاطرَ نفحهـــا
مع الفجرِ أم اهدتْ مديحَ بني نصر
امام الهدى حزلىّ الزّدا شَرَكُ العدا
غمامُ الندى بحرُ الجدا معدنُ الذخر

كريمُ اللها : زاكي النشا ، مجدهُ انتمى
لأوج السما ، كف اشتهى ، دون مانكر

فيضفي لدينا بُردَ حسامٍ من العلا
ويضفي علينا بُردَ سامٍ من الفخر

يتمُّ الورى من كمهِ وعزائمه
فهذي لمن يَقرا وهذي لمن يَقري

فيحيي بنشرِ الجود ميتاً من الغنى
ويُردي بطيِّ البخل حياً من الفقر

ويبدي بوصلِ العلم صبحاً من الهدى
ويُخفي بقطعِ الجهلِ ليلاً من الكفر

همامٌ اذا ما صال او جاله في الوغى
تُليتْ لمفترٍ وغيثٌ لمعتفر

رفيعُ عمادِ البيت رحب فناؤهُ
عظيمُ رمادِ النار مغبطُ الوفر

حكى سيفهُ يوم الضيوفِ مهنداً
فلم يُبقِ بعد الناب حياً على بكر

مقيمٌ على دين السماحةِ والندى :
وبذلُ الندى والفضل فرضٌ على الحر

اذا هو أعطاها دنانيرَ رشحت
بلون محبٍّ في الهوى خالعِ العذر

يؤرخ ذو الامداح مما حَبَتْهُ به
يداهُ تواريخَ السعادةِ والنصر

ومهاةٍ تقولُ ان هي كلتْ ودعا للمزاج يوماً لمازجْ
داوِ ذا الردف ان فيِ الأزرِ منه كثبَ يبرينَ ، يا طبيب ، وعالج

* * * * * * * * * *

قيل إن الكأس ينفخُ مسكاً قلتُ : لا تعجبنْ وزد في المناهج
بعث الغيث للنوافح منها نقطةً آخراً فعادت نوافح

* * * * * * * * * *

وقالوا علا فخرٍ في الكأسِ اذ بدت
بياضُ حبابٍ صيغ دراً لتاجها
فقلتُ لهم : لا بل هو الشيبُ قد علا
عجوزاً لدينا اشتدَّ بردُ مزاجها

* * * * * * * * * *

احاجيك ما واشٍ يرادُ حديثه
ويهوى الغريبُ النازحُ الدارِ إفصاحهْ
تراهُ مع الاحيان اصفرَ ناحلاً
كمثلِ مريضٍ وهو قد لازم الراحه
طَابَ العُذَيبُ بطيبِ ذكرك وانثنى
فكأنما ماء العذيب سلافهُ
واهتزَّ من طربٍ للقياكَ الحمى
فكأنما بانآته اعطافه

أرتني الجمالَ الأكملي حقيقتي على قدرها لا قدر موجدها العالي
فكيف أرى هذا مقامي وانما مقامي مغيبي عن مقامي وعن حالي

* * * * * * * * * *

لي المدحُ يُروَى منذ كنتُ كأنما تصورتُ مدحاً للورى وثناءَ
وما لي هَجاءٌ فاعجبنْ لشاعرٍ وكاتبِ سرٍّ لا يُقيم هَجاء

* * * * * * * * * *

ولي فرسٌ من علية الشهب سابقٌ أَصرَّفه يومَ الوغى كيف أطلب
غدوتُ له في حلبة القوم مالكاً فتابعني منه كما شاء أشهب

* * * * * * * * * *

وحمراءَ في الكاسِ مشمولةٍ تحتُ على العودِ في كلِّ بيتْ
فلا غروَ أن جاءني سابقاً الى الأنسِ حبُّ بحتُ الكميت

* * * * * * * * * *

وإن إفراط بُكائي لم يَرُعْ مني عريكة
قد أذاب العين لما زاد شوق للسبيكة

* * * * * * * * * *

لما نزلتُ من السبيكة صادني ظبيٌ وددت لديه أن لم أنزل
فاعجب لظبيٍ صاد ليثاً لم يكن من قبلها مُتخبِّلاً في أخبل

* * * * * * * * * *

قد قارب العشرين ظبيٌ لم يكن لِيَرَى الورَى عن حبه مُلْوانا
وبدا الربيع بخدِّه فكأنما وافى الربيعُ ينادم النعمانا

* * * * * * * * * *

أتونى فعابوا من أحبُّ جماله وذاك على سَمْع المُحب خفيف
فما فيه عيبٌ غير أنَّ جفونه مِراضٌ وأنَّ الخصْر منه ضَعيف

* * * * * * * * * *

أيا عجباً كيف تهوى الملوكُ محلّى وموطن أهلى وناسى
وتحسدُنى وهى مخـدومةٌ وما أنا إلا خديمٌ بفاس

* * * * * * * * * *

هو الخطب هل عجت به قيس عيلان نشيج الحجيج استقبلوا شعب نعمان
وهـل تركوا حمر القباب لوقعه سواريَ في ليـلي هموم وأحزان
وهل غادروا الجرد الجياد خوابطاً كملقى سيوف او عوامل مران
مضى رب قيس، وابن رافع مجدها شمال معد حيث كان وعدنان
مضى الفارس المغوار يزحف للوغى على كل مسودّ النوائر حسان
مضى العالم البحر الذي خضعت له رقـاب المعاني فهي والجيش سيان
ارى الحي قد اكدى الركائب بعده بمثكل نوح لا يجدو وألحـان
وفي كلب اصطفت عليـه نوائحٌ كما زجر العياف منعبَ غربان
لمـن للخيول الاعوجية ضُمّراً يرَوْنَ صداها من عبيط الردى القاني
ومن للسيوف المشرفيات يختلي بهـا الهام يوم الزحف في كلّ ميدان
ومن لرماح الخط في حومة الوغى يقصمها مـا بين مثنى ووحدان
ومن لأيامي الحي تشكو ظما حشاً صديّ لعرف لا يُغبُّ واحسان
ومن للضيوف الخابطين لهالفلا على كل مبغـاض كهمّك مظمان

ومن للعلوم النازعات الى العُـــلا ... متيحٌ لوردٍ ، او مقرّ باعطان
ومن لسجال العلم او لغروبهـــا ... عجيلٌ ، اذا حانت مرثّة اشطان
ومن في النوادي الغر للخطب الـــتي ... يقصر عـــن ادراكها قس سحبان
ومن يكسب الأحلام صنعة ريدة ... وشغل سحولٍ ان وشى ذات عنوان
شهدت لقد ابقى على الملك رونقاً ... ولا رونق الصهباء في عين نشوان
وخلف اكباد الملـــوك افقده ... لناش لخفاق من البث حران
أخالاه خان الصبر بعدك وانتحت ... لواعج وجد بالأسى غير حران
ولم يبق عندي مذ رزئتك جانبٌ ... كأني اخو عتبان من بعد عتبان
وكم قسم الأرزاء في ساحة البـــلى ... بنو الحزن ، عجوا بين شيب وشبان
وكان لنـــا شر القسيم كأننا ... بعين اباغ قاسموا آل شيبان
رزئنا بزاكي الجيم مبيض طرفه ... بأكرم مطعام وأشرف مطعان
جعلت ألوم القلب عنـــد نميه ... وقد طار في مهوى الأسى جد ولهان
وأرمي فؤادي بالشجون ربت كما ... رمى الشنفرى بالحرب مئزر لحيان
واستبطىء البلوى وقد جد جدها ... كما استبطأ الغارات عمرو بن نعمان
وبالجزع من غرناطة قبر ماجد ... به نسيت آثار قبر بحلوان
سقاه على الامراع كل عجلجلٍ ... من الغيث هطال العشيات هتان
اذا حركته في البروق سياطها ... رمت بعشار المزن في كل بستان
مكباً بأكناف الرياح درالحـــا ... كما ازدحم الركب الخب بعسفان
ولا زال يندى فوقه كلّ سجسج ... من الظل محفوفٍ بروحٍ وريحـــان
ولولا العوادي المرزيات لزرته ... وعـــادت الى تلك الأباطح أظعاني
وصاحبت في خوض البحار عصابةً ... هُ مـــا هم في المجد ايسار لقمان

* * * * * * * * * *

وعهدي بجري الماء يسفل دائما ... فيحنو عليه الشاربون إذا يجري
وهَا هُوَ يَعْلُو للسماء تَشَرُّفًا ... بِمُجْرِيه مسرورًا بما نَالَ من فَخْرِ
وأقسِمُ لولا وجهُ خيرِ خليفةٍ ... لَمَا مكّن الوزّاد من عذبِهِ الغَمْرِ
ولكنّه لَمَّا بَدَا خرَّ ساجدًا ... وأهدى حُبَابًا زادَ فضلاً على الدُّرِّ

وخلتُ الذي يعلو من الماء غادةً أتت عُرسا تزهَى به مدَّة العمرِ
فأعجبها رقصٌ فحين تمايلت نساقط حليٌ زال عنها ولم تدر
ويا حسنَها للناظرين بحيرة بها ركَعُ الأغصان باتتْ على طهرِ
كأنَّ الصَبا فيها تخطُّ مدائحًا حسانا فمِنْ سطرٍ يُضمّ إلى سطر
وقد خلتُها أمَّ البحيرات مرضعًا على ظهرها استلقت وقد جلَّ من ظهر
وخشتُهَا البيضاءُ نهدٌ بصدرها له لَبَنٌ يعلو بدُرٌّ على درّ
فيا لَكَ من قَصْر مشيدٍ مقصَّر بإيوان كسرى مزدرٍ برمي مصر

* * * * * * * * * *

والخيل تزحفُ بالكماة كأنها بحرٌ وبيضُ الهندِ طافي الأموجِ
من أشهبٍ كالطِّرس لاح الظعنُ في لبَّاتِهِ كسطور خطٍّ مُدمجِ
أو أشقرٍ كالبرق أومضَ في دُجَى نقعٍ بكرَّاتِ الخيولِ مهيَّج
أو أحمرٍ غرقت نواصعُ نحرِهِ فغدت (...) كالخمر لَمَّا تُمزَج
أو أصفرٍ لبسَ الأصيل وعرْفُهُ كالليل فاضَ على الأصيلِ المبهجِ
أو أدهمٍ كسواد عينٍ فُتِّحتْ وحجولُه كبياضها المتموّج

* * * * * * * * * *

تعجبتُ من ثَغْر هذى البلاد وها أنت من عَيْنه شارب
فلله ثغر أرى شاربًا وعينٌ بدا فوقها حاجبُ

* * * * * * * * * *

القاضي أحمد بن عبد الحق الجدلي الاستاد

يا ناظمـــاً أربى على حسّانِ يا ناثراً أزرى على سحبانِ
خذها ذوابلَ من وشيجِ يراعةٍ حازت قواماً مثلَ غصنِ البانِ
أهديتُها لبراعةٍ راقت على طرسٍ لكم يُربي على بستانِ
آخيتَ بين يراعـــةٍ وبراعة إذ زنتَ خطّـــاً رائقاً ببنانِ

* * * * * * * * * *

ومنمنمِ الشطينِ منه حمـــائلٌ كالشرفيّ قد اكتسى بفرندِهِ
فحمائل الديباج منه خمائل متعانقٌ فيها البهـــارُ بورده
وقد اختفى طوقٌ له في دوحةٍ كالسيف ردَّ ذُبابُـــهُ في غمده

* * * * * * * * * *

وثمارِ نارنجٍ تُرى أزهارُهُ مع قانيءِ النارنج في تنضيدِ
فاذا نظرتَ الى تآلفها أنتْ كمباسمٍ أومتْ للثم خدود

* * * * * * * * * *

القاضي أحمد بن محمد بن أبي بكر القيسي

أمِنها على ان السهى منه لي ادنى خيال سرى نحوي يشق الفلا وهنا
يشق الفلا والخيل والبيد والقنا ولو سيم كسر النبت ما استطاعه وهنا
سرى سلخ شهر في فواق حلوبة فلله ما انأى سراه وما ادنى

* * * * * * * * * *

إمنحِ الودَّ مَن علا الناسَ قدراً مَنْ له بالوداد نفسٌ مُطيعهْ
واحفظِ الودَّ مِنْ عوادي التجني فالتجني حلولُ وَفْدِ الطبيعه

* * * * * * * * * * *

ليس حلمُ الضعيف حلماً ولكنْ حلمُ من لو يشا لصالَ اقتدارا
مَنْ تغاضى عن السفيه بحلمٍ أصبح الناس دونه انصارا
من يزوّج كريمةَ الهمة العليا علواً فقد أجادَ الخيارا
ستريه لدى الولادِ بنيها العلمَ والحلم والأناةَ كبارا

* * * * * * * * * *

إذا ما جنى يوماً عليك جنايةً ظلومٌ يدقُّ السمر بأساً ويقصف
فلا تنتقمْ يوماً عليه بما جنى وكلْ أمرَهُ للدهرِ فالدهرُ منصف

* * * * * * * * * *

دارِ العدوَّ إذا لم تستطعه ورِدْ وريدَهَ إن يباعدْ مرةً قدرُ
مَنْ مكّنتْهُ الليالي من رقاب عدا فلم يُبِدْهُمْ أبادوه إذا قدروا

* * * * * * * * * *

القاضي أحمد بن محمد بن فركون القسري

شفاؤك للملك اعتزازٌ وتأييدُ ... وبرؤك مولانا بـه عندنا عيدُ
مرضتَ فلم تأوِ النفوسُ لراحةٍ ... ولا كان للدنيا قرارٌ وتمهيد
ولم تستطعْ عيني تراكَ مؤلماً ... ولازمها طولَ اعتلالِكَ تسهيد
فلما شفاك اللهُ وافى سرورُنا ... ولم يبقَ للدنيا على الدهرِ تمديد
فللبشرِ بالأبلالِ في القلب موقعٌ ... وللشكر في الأقوال لله ترديد
هنيئاً وبشرى للعباد ببرئكمْ ... نعم وبه الاعزازُ للدين موجود
شهدتْ بان الفتحَ يغدو مبادراً ... ويتلوهُ يومٌ في عداتك مشهود
وغلكَ أمسارَ العدا ورقابَهُمْ ... وللنصرِ تاجٌ في لوائك معقود
لذاتِكَ في الدنيا أعتلاءٌ ورفعةٌ ... وعزٌ وفي الآفاقِ ذكرك محمود
بقيتَ على مرِّ الدهور مملكاً ... جنابُكَ محروسٌ وبابُكَ مقصود

* * * * * * * * * *

هنيئـاً للقيادةِ والمعـالي ... وبشرى للسجادةِ والجلالِ
بمولودٍ بمولـده أستقامتْ ... لوالدهِ السعود على التوالي
به بلغت أمانيـه مناها ... به غدتِ المكارمُ في أحتفال
سيطلعُ في سماءِ المجدِ بدراً ... ومنصبُه على الجوزاءِ عـال
ويغـدو بالنفاسةِ في أبتـداءٍ ... ويحظى بالرئاسةِ في المـآل
ويحرسهُ الإله بعينِ حفـظٍ ... ويمنحه البقـاءَ مدى الليالي
تباركَ المسرةُ كلَّ يومٍ ... ويصحبُكَ السُّرور بلا أنفصال

* * * * * * * * * *

انا منَ الحكمِ تائبٌ ... وعن دواعيه راغبٌ
بعـد التفقـه دهري ... ونيلِ أسنى المراتب
اصبحتُ أرمى بعـارٍ ... للحـالِ غيرِ مناسب
اشكو الى الله بـثي ... فهو المثيبُ المعـاقب

* * * * * * * * * *

القاضي أحمد بن محمد بن جزي

أقولُ لعزمي او لصالح أعمالي
« الا عِمْ صباحاً ايها الظلُّ البالي »

اما واعظي شيبٌ سما فوق لمتي
« سموَّ حبابِ الماء حالاً على حال »

انار به ليلُ الشبابِ كانه
« مصابيحُ رهبانٍ تُشبُّ لِقفال »

نهانيَ عن غيي وقال منبهاً
« الستَ ترى السمّار والناس احوالي »

يقولون غيّرهُ لتنعمَ برهة
« وهل يَعمِينْ من كان في العُصر الخالي »

اخالطُ دهري وهو يعلمُ انني
« كبرتٌ وان لا يحسنُ اللهوَ امثالي »

ومؤنسُ نار الشيبِ يقبحُ لهوه
« بآنسةٍ كانها خطُّ تمثال »

أشيخاً وتأتي فعلَ مَنْ كان عمره
« ثلاثينَ شهراً في ثلاثةِ احوال »

وتشغفكَ الدنيا وما إن شغفتها
« كما شغف المهمومَ الرجلُ الطالي »

الا إنما الدنيا اذا ما اعتبرتها
« ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي خال »

فاين الذين استأثروا قبلنا بها
« لناموا فما إنْ من حديثٍ ولا صال »

ألم ترَ ان الظبية استشفعتْ به
« تميلُ عليه هَوْنةً غير مِجفال »

وقال لها : عودي فقالت له : نعم
« ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي »

فعادتْ اليه والهوى قائلٌ لها
« وكان عداءُ الوحش مني على بال »

ويا لبعيرٍ قال أزمعَ مالكي
« ليقتلني والمرءُ ليس بقتال »

وثورٍ ذبيحٍ بالرسالةِ شاهدٍ
« طويلِ القوى والروق اخنسَ ذيال »

وحنّ اليه الجذع حنةَ عاطشٍ
« لغيثٍ من الوسمي رائدهُ خال »

وأصليْنِ من نخلٍ قد التأما له
« بما احتسبا من لين مسٍ وتسهال »

وقبضةِ تُرْبٍ منه ذلّتْ لها الظبا
« ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب اغوال »

وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلاً
« وليس بذي سيف وليس بنبّال »

وحسبك من سوطِ الطُّفَيْلِ إضاءةً
« كمصباحِ زيتٍ في قناديل ذبال »

وبزّت له العجفاءُ كلُّ مُطهّمٍ
« له حَجَباتٌ مشرفاتٌ على الفال »

ذهلت بها عنا فكيف الخلاص من
« لعوب تنسيني إذا قمتُ سربالي »

وقد علمتْ مني مواعدُ توبتي
« بأنّ الفتى يهذي وليس بفعّال »

ومذ وثقت نفسي بحبّ محمدٍ
« هصرتُ بغصنٍ ذي شماريخَ ميّال »

فأصبح شيطانُ الغواية خاسئاً
« عليه القتام سيءَ الظنّ والبال »

ألا ليت شعري هل تقول عزائمي
« لخيلي كرّي كرّةً بعد إقبال »

فانزلَ داراً للنبي تزيلُها
« قليلُ همومٍ ما يبيت بأوجالِ »

فطوبى لنفسٍ جاورت خيرَ مرسلٍ
« ببثربَ أدنى دارها نظرَ عال »

فمن ذكره عند القبول تعطرت
« صبا وشمال في منازلِ قفّال »

جوارُ رسولِ الله مجدٌ مؤثلٌ
« وقد يدركُ المجدَ المؤثلَ أمثالي »

وماذا الذي يثني عنان السرى وقد
« كفاني ولم أطلبْ قليل من المال »

ويا خسفَ أرضٍ تحت باغيه إذ علا
« على هيكلٍ عبل الجزارة جوّال »
وقد أخمدتْ نارٌ لفارس طالما
« أصابت غضاً جزلاً وكفت باجذال »
أبان سبيلَ الرشد اذ سُبُلُ الردى
« يقلن لأهلِ الحلم ضلّا بتضلال »
لاحمد خيرِ العالمين أنتقيتها
« ورضتُ فذلّتْ صعبةٌ أيّ اذلال »
وان رجائي أن الاقيَهُ غداً
« ولستُ بمقليّ الخلال ولا قال »
فأدركَ آمالي وما كلُّ آملٍ
« بمدركِ أطرافِ الخطوب ولا آل »

* * * * * * * * * *

فديتك يا سيدي مثلما فداك الزمانُ الذي زِنْتَهُ
جمالُ كمالك أظهرتهُ وسرَّ كمالكَ أخفيته
تشوفتَ مني الى بنت فكري فشرّفتَ شعري وزينته
وقد وردْتكَ وانت الذي اخذتَ فؤادي فخذ بِنْتَهُ

* * * * * * * * * *

كم بُكائي لبعدكم وأنيني مَن ظهيري على الأسى مَن مُعيني
جراح الخدّ دمعُ عيني ولكن عجبٌ أن يُجرح ابن معين

* * * * * *

أولى الناس يولون الغنيّ كرامة وإن لم يكن أهلا لرفعة مقدار
ويلوون عن وجه الفقير وجوههم وإن كان أهلا أن يُلاق بإكبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمّة فاصحّحوا إلا حديث ابن دينار

* * * * * * * * * * *

سعودٌ بها الإسلامُ نال أمانيّه أشادت ببشراه وشادت مبانيّه
هنيئاً لهذا الملك نصرٌ مؤزّرٌ وحقٌ علينا أن نُديم تهانيّه
ضمانٌ على الأيام أنّك غالبٌ وأنّك لا تُبقي من الشرك باقيّه
لقد نصرَ الإسلامَ منكَ مؤيّدٌ معالمَهُ أحيى، وأعلى مراقيّه
فيا غزوةً ما كان أسعدَ يومَها ويا نعمةً للدين والملك ضافيّه
ويا بطشةً ما كان أعظمَ صولها ويا عزمةً كانت على الروم قاضيّه
لقد عزّ دينٌ كنتَ أنتَ حسامَهُ ونصرَهُ إن نابَ خطبٌ وحاميّه
هو الملكُ زانتهُ مكارمُ جمّةٌ لديكَ وصانتهُ عزائمُ ماضيّه
فأوليتهُ الإعزاز لمّا وليتهُ وأخصبتَ مرعاهُ وأعشبتَ واديّه
وسدّدتَ مرماهُ وأعليتَ أمرَهُ وشيّدتَ مبناهُ وشرّفتَ ناديّه
وحلّيتَ بالإسلام والجودِ جيدَهُ وجلّيتَ بالتوفيقِ والرشدِ داجيّه
ألا في سبيل اللهِ ما أنت صانعٌ ولله والإسلام ما كنتَ آتيّه
قضى لكَ بالتفضيل كلُّ مجرّبٍ عليمٍ بأخبار الأوائلِ راويه

القاضي أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي حبل المعافري

تكفّلَ بالرزقِ الذي تستحثُّهُ ... الهكَ فلتُجْمِلْ اذا انتَ طالبُهْ
وكن ساعياً فيه على وَفْقِ أمرِه ... شكوراً له فالشكرُ لا شكَّ جالبه
وإياكَ والسعيَ المذلَّ فانه ... ينالُكَ منه ما أنالكَ واهبه
دعِ الحرصَ فيه واسألِ اللهَ بسطةً ... فما الحرصُ مُدْنيهِ ولا البطءُ سالبه
فيا ربَّ وانٍ ناله كيفَ ما اشتهى ... وربَّ حريصٍ أعوزته مكاسبه

* * * * * * * * * * *

عثوّي كلَّ يومٍ في ازديادٍ ... وعمري في انحطاطٍ وانتقاص
ولذاتي تقضّتْ وانقضاعي ... بها باقٍ إلى يوم القصاص
ولي حاجاتُ نفسٍ لا أرى ما ... أشيرُ اليه منها غيرَ قاص
وقد حُمّلتُ أعباءً ثقالاً ... جوانيَ لا تنوءُ بها فلاصي
ويبطئني المعاشُ ولا عتابٌ ... على قدرِ لرزقِ ذي اعتياص
ألاقي دونه حرباً عواناً ... بأعداءٍ على قتلي حراص
تنوّا نحوي أعِنّتَهم طلاباً ... وجاسوا بالأداني والأقاصي
فهيهاتَ أصمتني سهامٌ ... نوافذُ لا تقي منها دلاصي

* * * * * * * * * * *

مضى من دنِّ عمري كلُّ صفوٍ ... فما أبقي من الدردي لمفي
وولتْ طيباتُ العيشِ عني ... وأعوزَ من بقاياها التشفي
فلا قَدَمٌ تساعدني لسيرٍ ... ولا بَصَرٌ بمرئيٍ يُوفّي
ولذاتُ المطاعمِ شرُّها ما ... غدا[1] بالسنِّ من خلل وضعف
وذا داعي المنونِ ضحىً ومسّى ... يُناديني هلمَّ نداءَ عُنف
فلي هَرَبُ المروعِ يروم منجىً ... أمامي وهو لا ينفكُّ خلفي
وقد جعلتْ لي السنونَ قيداً ... وثيقاً مؤذناً بلحاقِ حتف

وشيبي مُنذِرٌ لو أن نفسي تطاوعُ بالمتابِ بغيرِ خلف
فكم وعدٍ لها من بعد وعدٍ ولكن ما لها عزمٌ موفي
وليس سواك يا مولاي أرجو على إسرافيَ الأحرى بصرف
فعاملْ بالجميل جميلَ ظني وقابلْ نُكر أفعالي بعُرف

* * * * * * * * * * *

أقولُ لها من بعدِ ما كدتُ للهوى
أميلُ وأعصي داعيَ الرشدِ والنصحِ
إليكِ فهذا الشيبُ أوضَحَ صُبحُهُ
وقد أوجبَ الامساكَ متضحُ الصبح
فصدّت وأغرتْ بالخضابِ لعلها
تسومُ دليلَ الحكم يوماً من القدح
فقلت كفى بالزور في الوجه شاهداً يحطُّ جميلاً في الوقار الى قبح

* * * * * * * * * * *

القاضي أحمد بن علي بن برطال

استودع الرحمنَ مَنْ لوداعهم قلبي وصبري آذنا بوداع
بانوا فطرفي والفؤادُ ومِقْولي باكٍ ومسلوبُ العزاء رداع

القاضي أحمد بن عتيق الشاطبي

تراختْ بكَ الدنيا وجدَّ بك السَّيْرُ
وأشغلتَ بالفاني وقد زهد الغيرُ
فحتى متى تكبو السوابقُ في الثرى
وتصحبُ رجلاك اللامةَ يا عَيْرُ
عَدَتْ بك عن نيلِ المعيشة كَبْرَةٌ
تراختْ لها الاعضاء واستُنْزِرُ الخير
وَقلَّ انتفاعُ الأهل منكَ فأعرضوا
كأنك فرخٌ مَلَّ من زَقِّهِ الطير
مُرادُ الغواني منك خيرٌ ووزنُهُ
فها أنت لا خيرٌ لديك ولا أَيْرِ

* * * * * * * * *

قد عجزتُ عن القضا كلُّ شيءٍ الى أنقضا
أغمدَ الدهرُ مُرْهَفاً كان منّا قد أنتضى
كلُّ ما يفعل الاله قبلناه بالرضى
نسأل الله عفوه المرتجى فيما الذي مضى

* * * * * * * * * *

القاضي أحمد بن يحيى بن محمد بن عبيدة التميمي

محياكَ إصباح وبشرُكَ وضاحُ ... وسعدُكَ فتّاحٌ وحمدك نفّاحُ
وسلطانك الأعلى فلا مَثنَوِيّةٌ ... وللسيفِ والاقلام في ذاك إيضاح
وأنت الاميرُ ابن الاميرِ لنسبةٍ ... لها كلُّ طرفٍ في البرية طماح
فمجدٌ يفوقُ النجمَ سامٍ الى العلا ... ووجهٌ يروقُ الشمس أزهر وضاح
من الذروةِ العليا من النفر الأولى ... لهم صُحُفٌ في الحمدِ تُتلى وامداح
همُ القومُ كلُّ القومِ حشوُ برودهمْ ... حنانٌ وإحسانٌ وعطفٌ وإصلاح
فكلُّ أميرٍ دونهم فهو صورةٌ ... وأملاكُ نصرٍ في الحقيقة ارواح
ويوسفُ منهم فاقهمْ بمكارمٍ ... تَبينُ على وجه الزمانِ وتلتاح
وزاد عُلاً لا يستقلُّ بشرحها ... وان زاد وصّافٌ واطنب مَدّاح
فسحبُ يديه بالنوالِ سواكبٌ ... ونورُ محيّاهُ منيرٌ ولمّاح
لقد طبَّق الدنيا جميلُ ثنائه ... فسار بطيبِ الذكر حادٍ وملاح
ألا إن رأس المالِ عند مديحه ... وبيضُ أياديه الموالاتِ أرباح
جنحتُ اليه باعتقادي وطاعتي ... فبُشرى لجنوحي في معاليه الجاح
ألا ايها المولى هنيئاً بإمرةٍ ... بأسعادها يزهى الزمان ويرتاح
وهذا مديحٌ في الهناء نظمتُهُ ... ونشرُ مديحي في معاليكَ فواح
قدحتُ له فكري بأورى زنادهِ ... فلله زندٌ من ضميريَ قدّاح
ودُمْ في سعاداتٍ تروح وتغتدي ... فيقدم إمساء بهنٌ وإصباح

القاضي إسماعيل بن محمد بن محمد بن هاني

أتعرفُ ربعاً للتواصلِ قاوياً ... عفتْ آيُهُ الا الصُّوى والأواريا
تعاورَ فيها كل عامٍ مجلجلٍ ... وجرَّتْ عليه الرامساتُ السوافيا
بكتْ برباهُ للسحاب مدامعٌ ... فلما وهت القتْ عليه المآقيا
ولما دعا داعي الفراقِ وأجهشتْ ... قلوبٌ تلقتْ من يد الشوق فاريا
واصبح داعي الشوقِ لأياً مسيرُهُ ... وداعي التنائي ناعبَ السربِ ضاويا
ظللتَ ترجّي الوصل منه ولم تكنْ ... له قبل إلمامِ التفارقِ راجيا
اد شمتَ برقاً هجتَ بشراً لعلّه ... أتى موهناً من أرضه لك سارياً

وان سمعتْ أذناك في سببٍ صدىً ... اصختَ رجاءَ أنْ أتى لك داعياً
وان كان واقي في الدجنّة طارقٌ ... تبادرُ عساه أن يكونَ الموافيا
لعلك تلقاه بعافٍ سبيلهُ ... من الأرضِ قد أضحى من الأنس خاليا
عفا فغدا لا يستبينُ لناظرٍ ... وإدراكُهُ يعشي العيونَ الروانيا
فتلقاهُ فرداً لا يُراعُ بكاشحٍ ... أميناً من أن تلتقي سواه ملاقيا
قريبَ التلاقي غير صعبٍ قيادُهُ ... كما شئتَ بسامَ الثنايا مُواليا
يمدُّ رواقاً للتواصلِ سجسجاً ... ويوردُ عذباً من تدانيه صافيا
فتجني الرضى منه على حين غفلةٍ ... من الدهر مهلاً ليس ترهب واشيا
فهاك ممنّى القلبِ جمرَ غرامهُ ... له لوعةٌ لا ترتجي الدهرَ آسيا
يجهّزُ جيشاً للغرام مظفّراً ... ويورده بحراً من الدمعِ طاميا
موارِدُ دمعٍ لا يُخافُ نفادها ... يمدُّ الشكالي بحرُها والبواكيا

يغالبُ أشجاناً يراه غلابُها فأصبح للخدين والوجه كاببا
سفاهٌ لعمري ان يغالبَ قادرٌ على الفصلِ لا يلقى عن الهمّ ثانيا
ومن رام غمر البحر يزحم موجَهُ
فأرشدك بأن يلقى لدى النسف طاميا
فلا تتبع يأساً فتتلف بالاسى فؤاداً بنار الوجدِ أصبح صاليا
فقد يُدرك الشعبُ البعيدُ مَرامه ويضحي الذي أبدى الجماحَ مواتيا
ويضحي الذي منه الغرامُ وداؤه اذا شاءه الله الطبيب المداويا

* * * * * * *

هوىً واهوى يثنوه إثرَ الهوى هوىً
كذاك هوىً حتى أزورَ المقابرا
فلو جئتَ قبري بعد سبعين حجةً
تزورُ وقد صارت عظامي نواخرا
لكان الصدى مهما أتيتَ مسلّما
ومؤتمراً ان كنت قد جئتَ آمرا

* * * * * * * *

القاضي خالد بن (عيسى بن) احمد القتوري البلوي

الله اكبرُ حبـــذا إكبارُهُ هذا الشفيعُ لنا وهذي دارُه
لاحتْ معالمُ يثربٍ وربوعهـا مثوى الرسولِ وداره وقراره
هذا النخيل وطيبةٌ وعمـــدٌ خيرُ الورى طراً وها أنا جاره
هذا المصلى والبقيعُ وها هنـا ربعُ الحبيبِ وهـــذه آثاره
هذي منازله المعظمةُ التي جبريلُ رُدِّدَ بينها تكراره
هذي مواضعُ مهبط الوحي الذي تشفي الصدورَ من العمى أسطاره
هذي مواطىءُ خيرِ من وطىءَ الثرى
وعلا على السبعِ العـــلا استقراره
ملأ الوجودَ حقيقةً اشراقُهُ فأضاءَ منه ليله ونهـــاره
والروضةُ الفيحاءُ هب نسيمها والبانُ بانَ ونمَّ منه عراره
ونعطرتْ سَلعٌ فسلْ عن طيبها لِمَ لا تطيبُ وبينهـــا مختاره
بشراكَ يا قلبي فقد نلتَ المنى وبلغتَ ما تهوى وما تختاره
وتجلَّ يا طرفي فبالك ناظراً ابصرتَ طيبةَ فانقضتْ أوطاره
قد امكنَ الوصلُ الذي أمَّلتُهُ وكذاك حبي أمكنتْ اسراره
قد كان عندي لوعةٌ قبل اللقا والآن ضاعفَ لوعتي ابصاره
رفقاً قليلاً يا دموعيَ أقصري فالدمعُ يحسنُ في الهوى اقصاره
قد كانت الدمنُ الكريمةُ في غنىً عن ان يفيض بربعها تيـــاره
أيضيعُ من زار الحبيب وقد رأى ان المزورَ بيـــاله زوّاره
أيخيبُ من قصد الكريمَ وعنده حسنُ الرجاء شعارُهُ ودثاره
أيؤمُ بابَكَ مستقيلٌ عـاثرٌ فيردَّ عنك ولا تُقالُ عثاره
حاشا جلالك ان يؤمّلهُ امرؤٌ فيعودَ صفراً خُيِّبَتْ أسفاره

يا سيدَ الأرسال ظهري مُثقَلٌ فعسى تخفُّ بجاهكم أوقاره
رحماك فيمن أوبقته ذنوبه فكأنما إقباله ادباره
لبس الصغارَ وقد تعاظم وِزْرُهُ والعفوُ تصغر عنده اوزاره
شطَّ المزار ولا قرارَ وشدَّما يلقى بحبٍّ شطَّ عنك مزاره
واقى حماك يفرُّ من زلاته واليك يا خيرَ الأنام فراره
وأتاك يلتمسُ الشفاعةَ والرجا يقتادُهُ وظنونُهُ أنصاره
والعبد معتذرٌ ذليلٌ خاضعٌ ومقصّرٌ قد طوّلتْ اعذاره
متوسّلٌ قد أغرقته دموعُهُ متوصلٌ قد أحرقته ناره
قذفتْ به في غربةٍ أوطانُهُ ورمتْ به لعلائكم اوطاره

فامنُنْ وسامحْ واعفُ واصفحْ واغتفرْ
فلأنتَ ماحٍ للخطا غفّاره
صلى عليك الله ما حيّا الحيا روضَ الربى وترنمتْ اطياره

* * * * * *

بعثتْ خيالاً والعواذلُ هجّعُ فسرى ينمُّ به شذا يتضوّعُ
ودنا يعاطيني الحديثَ على دجىً كأس الثريا في يديه تشعشع
وكأنما الاكليلُ جامٌ مُذهَبٌ بيواقتِ الجوزاءِ فيه يُرصّع
نادمتُ فيه اخا الغزالة جؤذراً يغدو بأكنافِ القلوب ويرتع
في ليلةٍ لا الوصلُ فيها بيننا خجِلٌ ولا قلبُ العفاف مُروّع
رقَّ الهواء بها ورقَّ لي الهوى فمشى مُوشّىً بيننا وموشّع
يا جيرةً جار الزمانُ ببعدهمْ ومقرُّهمْ مني الحشا والاضلع
ان كان موضعكمْ خلا عن ناظري لم يخلُ منكم في فؤادي موضع
لم تسكنوا وادي الأراك وإنما قلبي مصيفكمُ ودمعي المربع

واللهِ ما ضحكَ الربيعُ بربعكمْ إلا وعن عيني مزنٌ يهمع
وإذا شكوتَ إلى الصديق فانه يسليكَ أو يغنيك أو يتفجع
يا بارقاً تنشقُ عنه سحابةٌ عن مثل مدمعيَ السفوحِ وتقلع
أشبهتَ من أهواه حُسْنَ تبسمٍ فأصبتَ إلا أنه هوَ أنصع
باللهِ خُذْ عني تحيةَ نازحٍ لم يبق فيه اليوم فيما يطمع
واقرأ على الجِزْعِ السلامَ وسحَّ منْ
قَطَراتِ دمعكَ حيث تلك الأربع
ما كان أطيب عيشنا الماضي بها لو كان ذاكَ العيشُ فيها يرجع
أيام نغفرُ للصبا ذنب الهوى ونشفّعُ الوجه الجميلَ فيشفع
ما سرّني تبديدُ دمعي لؤلؤاً وعهدتُهُ بيدِ الحسان يُجمّع

* * * * *

عُدَّ الهوى يقظانَ والرأيَ الذي ... ينجيك منه، اذا ارتأيت، نئوما
فاذا رأيتَ الرأيَ يتّبع الهوى ... خالفْ وفاقهما تُعَدَّ حكيما
وعليك إعمالَ المشورةِ انها ... تحمي صحيحاً او تُعِلُّ سقيما
دوكما تخافُ من الحليم مداجياً ... خفْ من نصيحك في السفاهةِ شوما
وآحذرْ معاداةَ الرجالِ توقّياً ... منهمْ ظلوماً كنتَ او مظلوما
والناسُ إما جاهلٌ لا يتقي ... عاراً ولا يخشى العقوبة لوما
او عاقلٌ يرمي بسهمِ مكيدةٍ ... كالقوسِ ترسلُ سَهمها مسموما
فاحلمْ على القسمين تسلم منهما ... وتسدْ فتدعى سيّداً وحكيما
ودعِ المماراةَ التي من شأنها ... ان لا تُديمَ على الصفاء نديما
أبت المغالبةُ الوِدادَ فلا تكنْ ... ممن يغالبُ ما حييت حليما
وإذا منيتَ بغربةٍ فاخفضْ جناحَ الذلّ وآخضعْ ظاعناً ومقيما
ان الغريبَ لكالقضيب تخيّراً ... ان لم يلِنْ للريح عاد رميما
وآبغِ الكفافَ ولا تجاوزْ حدَّهُ ... ما بعده يجني عليك هموما
وآبسطْ يديكَ متى غَنِيْتَ ولاتكنْ ... فيمنْ يكونُ به المديحُ ذميما
واذا بذلتَ فلا تبذّرْ إن ذا التبذيرِ مثلُ أخيه كان رجيما
وَعَفِ الوِرودَ اذا تزاحم موردٌ ... واحسبْ وِرودَ الماء فيه حميما
واصحبْ كريمَ الأصلَ ذا فضلٍ فمَنْ ... يصحبْ لئيمَ الأصلِ عُدَّ لئيما
فالفضلُ من لبس الكريم فمن عرى ... عنه فليس كما يُقال كريما
وان المقارنَ بالمقارنِ يقتدي ... مَثَلٌ جرى جَرْيَ الرياح قديما
وجماعُ كلِّ الخيرِ في التقوى فلا ... تعدمْ حُلى التقوى تُعَدَّ عديما

وقد وصل الطرفُ الأغرُّ كأنه غمامةُ غيثٍ برقُها غرةٌ تهدي
يخيّلُ لي أن الشباب أعيدَ لي وسُوِّدَ ليلي دون هجرٍ ولاصد
ففدّيتُهُ بالنفسِ وهي قليلةٌ ويُغلي الهدايا قيمةً شرفُ المهدي
فلو أنني أنصفتُهُ ما أمتطيته وقلتُ له: طأ إن تشأ عزةً خدّي
واقضمتُه حبَّ القلوبِ كرامةً وسُقيتُهُ ماء الشبيبة عن ورد
والبستُهُ عن برقعٍ رقةَ الصبا ملونة العطفينِ بالهزل والجد
وسلمتُ[٣] عمري في عذاريَّ معذّر فألفيتُه منه على صفحةِ الخد

* * * * *

تفديك انفسُنا وان قلتَ فدا فهي الكثيرةُ لا تعادِلُ أوحدا
واسلمْ سلمتَ من الحوادثِ كلّها وبقيتَ صدرَ المنتدى بحرَ الندى
حتى تُليحَ الشيبَ أبيض واضحا فتجوزَ غاياتِ الحياة مدىً مدى
فاذا انقضى الاجلُ المسمّى زرتمُ في الخلد جدَّكمُ الكريمَ محمدا
وافى كتابكمُ فبتُّ لأجله ريّانَ أشكو من تباريح الصدا
ريانَ من وردي لعذبِ خطابه ظمآنَ من حرِّ الجوانحِ مُكمَدا
ونشرتُهُ وكتمتُهُ فكأنني شاهدتُ منك به الفضائلَ واليدا
ودعوتُ ربي في بقائك سالماً والله ينجز في الدعاءِ الموعدا

* * * * * *

لاح الصباحُ صباحُ شيبِ المفرق فاحمدْ سُراكَ نجوت مما تتقي
هي شيبةُ الاسلام فاقدرْ قدرها قد أعتقتك وحقَّ قدرُ المعتق
خطّتْ بفودَك أبيضاً في أسودٍ بالعكس من معهود خطِّ المُهرِق
كالبرق راع بسوطه طرفَ الدجى فأعاد دُهمته شياتِ الأبلق
كالفجرِ يُرسلُ في الدجنة خيطَه ويحوكُ ثوبَ ضيائه بالمشرق
كالماءِ يسترُه بقاعٍ طحلبٌ[15] فتراهُ بين خلالهِ كالزئبق

كالحيّـــة الرقشاءِ الا انه لا يبرأُ الملـوعُ منه اذا رُقي
كالنجم عُدّ لرجمِ شيطانِ الصّبا يا ليتَ شيطانَ الصبا لم يحرق
كالزّهر الا أنـــه لم يبتسمْ الا لغصنٍ ذابـلٍ لم يورق
كتبسّم الزنجيّ الا أنـــه يُبكي العيونَ بدمعها المترقرق
وكذا البياض قذى العيون ولا ترى للعينِ أنكى من بياضِ المفرق
ما للغواني وهو لونُ خدودها يجزعنَ من لألائه المتألّق
أَوَ خلتَهُ لمعَ السيوف ومن يَشِمْ لمعَ السيوفِ على المفارقِ يَفرق
هو ليس ذاك ولا الذي أنكرته نكراً فخفّ ما خفنَ منه واتق
داءٌ يعزُّ عن الطبيبِ دواؤُهُ ويضيعُ خسراً فيه مال المنفق
لكنه ، والحقُّ اصدقُ مقولٍ شَيْنُ المسيءِ الفعلِ زينُ المتقي

* * * * *

أقلي فما الفقرُ بالمرءِ عـــارا ولا دارُ من يألفُ الهون دارا
ولا يكسب العزّ الا الغنى غنى النفس فلتتخذْهُ شعارا
وما اجتمعَ الشملُ في غيره فيحسنَ الا وساءَ انتشارا
فزهرةَ غيرِك لا تنظـري فيألمَ قلبُـــك منه انكسارا
وهزّي اليـــكِ بجـذع الرضى تساقطْ عليكِ الأماني ثمارا

* * * * *

لو أنّ ايامَ الشبابِ تعودُ لي عَوْدَ النّضارة للقضيبِ المورق
ما انبكيتُ على شبابٍ قد ذوى وبقيتُ منتظراً لآخرَ موتق

* * * * * *

الناسُ كالأرضِ دون شكٍّ ما طاب منها يطيبُ زرعه
من لم يكنْ أصلُهُ كريماً لم يعلُ في المعلُوّات قَرْعُهْ

لكَ القلمُ الاعلى الذي طال فخرُهُ وان لم يكنْ الا قصيراً مجوّفا
تعلّمَ منه السيفُ ابدعَ حكمةٍ فها هو أمضى ما يكونُ محرفا

* * * * * *

ليَ دينٌ على الليالي قديمٌ ثابتُ الرسم منذ خمسين حجه
أَفأعْدَى بالحكم بعد عليها أم لها في تقادُمِ العهدِ حُجه

* * * * *

نجوتُ بفضل الله مما أخافُهُ ولم لا وخيرُ العالمين شفيعُ
وما ضمتُ في الدنيا بغير شفاعةٍ فكيف إذا كان الشفيعُ أضيع

* * * * * * *

القاضي عبدالله بن خديم الغرناطي

أيا سيدي الأعلى وشمسَ هدايتي ووجهة تعظيمي وروضة إيناسي
لساني نبا عن شكرِ آلائكَ التي توالتْ فآلتْ ان تقيّدَ انفاسي
ومن لي بمدحٍ في معاليكَ منصفٍ
وقد جلَّ مدُّ البحر عن قسط قسطاس
لأرسلتَ نحوي من قبولك لحظةً فلم تُبقِ لي آثارُ جودك من باس
وآسيتَ اسقامي بتدبير جابرٍ واسّست إبلالي على غير آساس
وناديتَ أنصار العلاج فأسرعتْ اليك من الآفاق سُبّاق أفراس
من الصينِ اقصى الارض والهند اقبلت
تيمم من مرماك أوجه قرطاس
فنخل منها العشرَ عَرْضكَ جمعها لنصرةِ مستعدي الرجاء على الياس
فبُرِّزَ منها الوردُ سابقَ حلبةٍ
تقاصر خصلَ السبق في الشكر للناس

تَنَفَّلتُ نيلي البرءَ أربح مغنم تُقادُ لي الآمال فيه بأمراس
وسقّيتني للعلم كأساً روّيةً تنيرُ دياجي المشكلاتِ بنبراس
ومَهَّدْتَ لي سُبْلَ اعتنائكَ كاسياً ملابسَ برٍّ صدقه دون إلباس
فأثني ثناة الروضِ سُقياهُ اكؤساً غمامٌ على الساقي امتناناً أو الكاس
قياماً بحقِّ الفرض في كل محفلٍ وسعياً للثم الرجل منك على الراس
وان جحد الناسُ اصطناعكَ أو نسوا فاني بريءٌ عند ذاك من الناس

* * * * * * * * * *

جميع المباخر محتاجةٌ سوايَ لتجديد نار وطيبْ
بجمرِ الذكاءِ وطيب الثناءِ غنيتُ انتساباً الى أين الخطيب

* * * * * * * * * *

مباخرُ الطيب لهـا غايةٌ من بعدها تحتاج تجديدَ طيبْ
وهذه تعبق طيبـــاً متى تُعزى الى مُنشِئها ابنِ الخطيب

* * * * * * * * * *

أبت المعارفُ أن تُنالَ براحةٍ الا براحـةِ ساعد الجِـــدّ
فاذا ظفرتَ بها فلستَ بمدركٍ اربـاً بغير مساعـــد الجَدّ

* * * * * * * * * * *

القاضي عثمان بن محمد بن يحيى بن منظور القيسي

قد جمع الحكمَ وفصلَ الخطابْ ما ضمّه مجموعُ هذا الكتابْ
من أدبٍ غضٍّ ومنْ عِليةٍ تسابقوا للخيرِ في كل باب
فجاءَ فذاً في العلا والنهى ومنتقى صفوِ لبابِ اللباب
ألّفَه الحبرُ الجليلُ الذي حازَ العلا إرثاً وكسباً فطاب

* * * * * * *

أعوّذُ من يُمسي عليه معلقاً حجابي بطه او بياسين والخمسِ
من الجنّ والعُمّار او أُم مَلدَمٍ وتلك هي الحمّى،ووسوسةِ النفس
ومن امّ صبيان وسحرٍ وبغضةٍ ومن ربط ذي عرس تكلف في عرس
ومن ساكنِ الحمام والفرن والرحى ومن ساكني قبرِ القتيل من الانس
ومن غُولة في القفر او صوتِ هاتفٍ
ومن وَجعٍ في الرأس يَخرُج عن حس
بهرشاهيا هرشاهيا وَشراهيا وباسمٍ عظيمٍ جاء في آية الكرسي
فخُذهُ على طُهرٍ ولا تدّخلنْ به خلاءَك،واسمَ الله نزهّ عن الرجس
وَنحّهِ ان جاممتَ زوجك يا أخي الى ان تجيدَ الطهر من ذلك اللمس
وجلده وأغسلهُ بماءٍ وحلّ فيه ما شئته من زعفرانٍ ومن ورس
وتشتر به واشربْ لكلّ أذايةٍ ترى النفعَ حقاً حين تصبحُ او تمسي
وقل رحم الله الفقيهَ فذكرهُ
بخيرٍ له خيرٌ من أجرة ذي الطرس
ووالله يا انسان لولا وصيةٌ
لشيخٍ نصيحٍ كان من خيرة الجنس
بأن لا يُرى أجرٌ له غيرَ درهم
لبيعٍ بألفٍ وهو يشكو من البخس

يا مالكي وهو لي فخرٌ تملكُهُ
ذاتي ، عتابُكَ عندي أعظمُ المننِ
فكلُّ ما ينطقُ المولى الكريم بـه
في شأن مملوكه من أحسن الحسن

* * * * * *

وما صدَّ شخصي عن لزوم مقامكمْ
سوى نقصِ ذاتي فارفقوا بيَ في العتب
وان غبت حسّاً عنكمُ لضرورةٍ
فأنتمْ معي معنىً لكناكَ في القلب

* * * * * * * *

سحابةُ سرٍّ بل رياضُ فضائلٍ
سقاها سحابُ العلم من مائه العذبِ
تجلّتْ فأجلتْ عن فؤادي شقا الضنا
وحيّتْ فأحيتْ قلبَ عاشقها الصبْ
إذا رُمتُ وصفَ البعضِ من حسنها الذي
يهيمُ بـه كلّي يغصُّ بهـا لبّي

* * * * * * *

أبدى لنا من ضروب الحسن أفنانا هذا الطهورُ لمولانا ابنِ مولانا
فلا تحرّك لسانا يا أخا ثقـة بريمِ رامةَ إن وفّى وإن خانا
يظلُّ ينشرُ مَيْتَ الوجـدِ عن جدثٍ
من الجفونِ أو الاحشاءِ عُريانا

فما النسيبُ بأولى من حديثِ علاً ... عنِ الإمام ينيل المرءَ رضوانا

يَمّمْهُ تحظَ بما أمّلْتَ من نعمٍ ... تجنيكَ للسُّول أفنانا فأفنانا

وقمتَ في الولد الميمونِ طائرهُ ... بسنّةِ الدينِ إكمالاً وإحسانا

بدا لنا قمرٌ تعنو العيونُ له ... مُقلّداً من نطاق المجد شُهبانا

فارتاحَ عطفُ الثناءِ وأنثنى طرباً ... له وأطلعَ وجهاً منه مزدانا

فيا دماً سال عن تقوى فعاد له ... بين الدماءِ طهوراً طيّباً زانا

لله درُّ بني نصرٍ لقد ملكوا ... كلَّ المحاسنِ أشياخاً وشبانا

اي والذي خلق الانسان من علقٍ ... حقّاً واعطاكَ ما أعطى سليمانا

* * * * * * * *

القاضي محمد بن أبي الحسن بن ورد بن أبي بكر الغساني

يا ليلةً عظمتْ بها الأذكارُ وتفتحتْ من نورها الأنوار
وسرى النسيمُ بطيبها متأرجاً فله شذا مِنْ نفحها مِمْطار
والدهرُ منها قد تجلى بهجةً وكستْهُ من أسرارها انوار
والقضب منها كُلِّلَتْ بأزاهرٍ وترنمت تشدو بها الاطيارَ
وتحلتِ الدنيا جمالاً رائقاً فلها من الحسنِ البديعِ سِوار
والشهبُ تهمي من تواكفِ بذلها والبذلُ من اعطائها مدرار
والحقُّ منها قائمٌ متأيدٌ يعلو له طولَ الزمانِ مَنار
والدين منتصرٌ بجدٍّ ثباتها وله ظُبى تحمي الورى وشفار

* * * * * * *

القاضي محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد

ذرني فقد ساعدَ وقتٌ وطابْ اذ الاماني سمحتْ باقترابْ
ابذلُ جهدي في طلاب العلا فباذلُ الجهد حميدُ المآب
حططتُ آمالي بمعنى السنا ومنتهى القصدِ وكنهِ الطلاب
فقِدْحُ مَنْ عَامَلهُ فائزٌ طوبى له اليومَ وحسنُ المآب
مولايَ ما إنْ عنكَ لي مَصْرَفٌ عند اعتدالِ الوزن زال الحجاب
أستَ لي مجداً ومن بعده ظلتُ اخا حُزْن رهينَ اكتئاب
مُغَلَّبَ الأشواقِ لا أنثني عن فَرْطِ ترداد وطولِ اضطراب

* * * * * * *

حاشاك او حاشا عُلاك التي ما مثلُها فهي لبابُ اللباب
ان تتركِ العبدَ لأهماله في ضيقِ عيشٍ دائماً واجتناب
فأمننْ بإسعافي ولا تَنسَني لا أعدم الرحمنُ ذاكَ الجناب

* * * * * * * * *

القاضي محمد بن أحمد بن شبرين

ظعن الصبا ومن الحال قفوله ... ان كنت باكيه فتلك طلوله
قف عندها خيل الدموع ورجلها ... وأندب شباباً شط عنك رحيله
نزحت بثينته وليلاه معاً ... فبكى المعاهد فيه وجميله
رعياً لجيراني وللظل الذي ... قد كان يجمعنا هناك ظليله
هذي ديارهم تمثلهم بها ... ان المتيم شأنه تمثيله
واندب اخلاء المصافاة الأُلى ... فلربما ندب الخليل خليله
عهد أحيلت حاله فاليوم لا ... معقوله منا ولا منقوله
أشجاك مجتمع عفت آياته ... وتعاورته شموله وقبوله
قد كنت تصغر عن سني فتيانه ... فاليوم تصغر عن سنيك كهوله
ولقلما تبقى الرسوم فويح من ... أهواه من هذا المتاع قليله
لا يأمنن ذو مهلة فكأن به ... قد يممت دار المقام حموله
ما كان ماضي العيش إلا خطرة ... خطرت ووقت قد تتابع جيله
أسفاً على زمن كريم عهده ... ولت غضارته وغاب سبيله
ضيعت في طلب الفضول بكوره ... لكن ندمت وقد أتاك أصيله
دع عنك تذكار الصبا ان الصبا ... رسم يهيج لك الغرام محيله
يا مفرقاً نزل المشيب به أتئد ... فالحر لا يؤذى لديه نزيله
لم يعتمد شيب محلة لمة ... سوداء إلا والحمام زميله
قد كان أنسي في الشباب فصدني ... وأبى علي وصاله ووصوله
فعليك يا أنسي تحية مقصر ... طاحت عن اللذات منه ذحوله
حسبي إذا رمت الأنيس مؤنس ... من ربنا سبحانه تنزيله
تبدو الحقائق لي إذا رتلته ... يا حبذاه وحبذا ترتيله
يبلى الزمان ولا يزال مجدداً ... لا نصه يبلى ولا تأويله
أعظم به للمؤمنين مفصلا ... فرق الضلال من الهوى تفصيله

نال الهدى والبرّ حاملهُ كما نالَ الكرامةَ والعلا محموله
أدى أمانته أمـينٌ ناصحٌ في السدرة العلياءِ طابَ مقيله
روعاه عنه مصطفى متخيّرٌ صَحّتْ رسالتُهُ وصُدّقَ قيله
فلشد ما قد أحسنا في امره هـذا محمدُهُ وذا جبريله
للناشقين به رنيدٌ كلما مُدتْ من الليلِ البهيم سُدوله
كم تحت هذا الليلِ من متململٍ متملقٍ خرّقَ الحجابَ عويله
من كلّ من راقتْ امرةُ وجهه وحلا له بـين الأنامِ خموله
ذي مشيةٍ هَوْنٍ وَبُرْدٍ مُنْهَجٍ وعلى المقـاماتِ الملا تعويله
رفض الوجودَ ولم يبالِ برزقه لِمَ لا ومولاهُ الغني كَفله
لله منه في الدجنةِ وقفـةٌ هبّ النسيمُ لهـا فهبّ بليله
فاذا الصباحُ بدا طوى منشورَها صوناً لسرٍّ والجهـولُ يُذيله
يا حاضراً عندي وليس بجائزٍ ادراكهُ إن العقـول تُحيله
يا غائباً عـن ناظريَّ ولم يغبْ احسانُهُ عني ولا تَنْويلـه
يا واحداً حقـاً وليس بمكن تشبيهُهُ كلاّ ولا تخييلـه
انا ذلك العبدُ الظلومُ لنفسه زلتْ به قدمٌ وانت مُقيله

* * * * * * * * * *

يا ليتَ شعري وهل يُجدي الفتى الطمعُ
هل بعـد مُفترقِ الأحباب يُجْتَمَعُ
جزعتُ اذ قيلَ سار القومُ وانطلقوا
وليس يُنكرُ في أمثالهـا الجزع
حازَ الاسى بعـدهم صبري بجملته
لا النصفُ فرْضيَ منه لا ولا الرُّبعُ
ردّوا عليَّ فؤادي انني رجلٌ بالعيش بعد فؤادي لستُ أنتفع
وعللوني بأخبارِ المُذيبِ فلي على العذيب أسىً للصبر يَنتزع
جارت عليَّ النوى في حكمها وَعدَتْ
وكلفَ القلبُ منهـا فوق ما يسع

فمن رأى ليَ سرباً عند كاظمةٍ ... كادتْ عليه حصاةُ القلبِ تنصدعُ
قرينُ أنسيَ في دار الغرام ثوى ... فيا نعيمَ الهوى هل انت مُطلع
وايّ أنسٍ لنائي الدارِ مغتربٍ ... وَلتْ على رغمه لذاته جُمَع
يا حبذا منزلٌ بالغورِ تندبه ... وحبذا فيه مُصطافٌ وَمُرتبَع
وحبذا ذلك الوادي المقدسُ اذ ... سالت مذانبهُ فالريُّ والشبع
وحبذا وقفةٌ لي عند شاطئهِ ... طوراً اقومُ وطوراً عنده أقع
يا تلعةً اخضلت ماءً جوانبها ... هل فيكِ للطارقِ المجهود مُنتجع
ويا شباباً ذوى هل كرةٌ أبداً ... ويا خليطاً نأى هل انت مرتجع
اذا تذكرتُ أيامي فحيهلا ... فالدمعُ يُنصَبُ والانفاس ترتفع
خزعبلاتُ صبا مرتْ وأهلُ هوى ... مَرّوا فلا رَجعَتْ يوماً ولا رجعوا
فلو رأيتَ رسومَ الدارِ ماثلةً ... ينتابُها الظبيُ او يغتالها السبع

* * * * * * * *

أوْدَى ابن هانى الرِّضا ... فاعتادنى للثَّكل عِيد
بحرُ العلوم وصدْرُها ... وعميدُها إذ لا عَميد
قد كان زَيْناً للوُجو ... د نَفيه قد فُجع الوُجود
العِلْمُ والتَّحقيق والتوفيـ ... ـن والحَسَبِ التَّليد
تَنْدى خلائِقُه فقل ... فيها هى الرَّوض المَجْرد
مُغْضٍ عن الإخوان لا ... جَهْمُ اللقاء ولا كَنود
أوْدَى شهيداً باذلاً ... مجهوده فِعلم الشَّهيد
لم أنْسَه حين المعا ... رف باسمه فينا نشيد
وله صُبوب فى طلاً ... بالعلم يَتْلوه صُعود
لله وقت كان يَنظِمُنا كما نُظِم الفريد

أيـــام نَغْـــدو أو نَرُو ح وسَعْينـــا السَّعي الحميد
وإذا المَنِيحةُ جَشَّـــمُ حَضَبـــات حِلم لا تَبيـــد
ومُرادُنا جم النَّبـــا ت وعَيْشُنا خَضِـــر البُرود
لَهْفي على الإخـــوان والأتـــراب كلُّـهم نقيـــد
لو جِئتُ أوطـاني لأنـكرني النَّهـــايم والنُّجـــود
ولراعَ نفسي شيبُ من عادَرْته وهـــو الوَليـــد
ولطِفتُ ما بين اللُّحـو د وقد تَكاثَرَت اللُّحـــود
سُرعان ما عاث الحِمـــا م ونحن أيقـــاظٌ نجـــود
كم رُمْتُ إعمال المَســـير فقيَّدت عـزمي قُيـود
والآن أخْلَفَت الوعـــو د وأخلَقَت تلك البُـــرُود
ما للفتى ما يبْتَـــغي والله يفعـــل ما يُريـــد
أعلى القديم المُلْك يـا وَبلاد يَعْترض العبيـــد

* * * * * *

أنكرتَ ما كنت قبلَ اليومِ تعرفُهُ
وأخبرتْكَ الليالي انهـــا خُدَع
آهاً على صبوةٍ ألوى الزمان بها وكلُّ أُنسٍ لايام الصبا تبع
ماأسأرتْ غيرَ أشواقٍ وغيرَ أسىً يُجنّهُ نَدَمٌ يشقى به الكَمَع
سرعانَ ما ربعَ ذاك السربُ والأسفي
فاليومَ لا سبعٌ فيـــه ولا رُبـع

قومٌ جميع على حكم النوى نزلوا لم يُغْنِ ما ألفوا يوماً وما جمعوا
وأيّ حالٍ على الأيام باقيـــةٍ فبـــادرِ السيرَ واعلم انها قلع

عادتْ حديثاً وعادتْ دارهم طللاً كأنهم في عِراصِ الدار ما رتعوا
ألقى الزمانُ عليهم خلعةً حسنتْ لكن على عجلٍ ما أبتُزّت الخلع
ما ضرّ لمّا رأيتَ الصالحينَ بها لو كنتَ تقنع منها بالذي قنعوا
جازوا عليها فلم يستهوهم عَرَض
ولا ألمّ بهم حرصٌ ولا جشع
فكلما عَرَضَتْ دنيا لهم نَفَروا وكلما ذكروا مولاهم خَشعوا
طوبى لهم فلقد قرّ القرارُ بهم في مستقرّ نعيمٍ ليس يَنقطع

* * * * * * * *

منتهى مطلبي وأقصى مرامي نظرةٌ منكَ قبلَ يومِ الحمام
لم أسِغْ ، مذ نزعتَ عني ، شرابي يا حبيبي ولا استطبتُ طعامي
ظلمتني فيكَ النوى أيّ ظُلمٍ وامتحى نورُ وصلها بظلام
فسلامٌ على السرور فما كان سوى الحلم غرّني في المنام

* * * * * * * *

يا من اعاد صباحي فقده حَلكا قتلتَ عبدك لكنْ لم تُخَفْ دركا
مصيبتي بكَ ليستْ كالمصائب لا ولا بكائي عليها مثلَ كلّ بكا
لمنْ أطالب في شرع الهوى بدمي لحظي ولحظكَ في قتلي قد اشتركا

* * * * * * *

هل تَرجعنّ ليَ الأيامُ هيهاتا سرعانَ ما صدر الأحبابُ أشتاتا
أرجو لقاءهمُ والحال تُنشدني هيهات يرجعُ من دنياك ما فاتا
لهفي على ما تقضّى من عهودهمُ فانما كنّ للافراح ميقاتا
هانتْ على نفسيَ الأرزاءُ بعدهمُ فلستُ آسى على شيء إذا فاتا

لي همةٌ كلما حاولتُ أمسكها على المذلة في أرجاء أرضيها
قالتْ ألم تكُ أرضُ اللهِ واسعةً حتى يهاجرَ عبدٌ مؤمنٌ فيها

* * * * * * * * * * *

متى تسمحِ الدنيا بقربكم متى لقد عاث هذا البينُ ظلماً وعنتا
الا قبّحَ اللهُ الفراق فانه لأصعبُ ما يلقاه من دهرهِ الفتى
أفي كل عامٍ رحلةٌ بعد رحلةٍ لقد أتعبتنا رحلةُ الصيفِ والشتا
وكنتُ أرى ذا قوةٍ وشبيبةٍ ولكن تولّتني الليالي فولّتا
وكيف احتمالي ذاك والركن قد وهى وهذا مشيبي بالحسامِ مُنكّتا

* * * * * * * * * * * *

أخذتِ بكظمِ الروح في ساعةِ النوى
واضرمتِ في طيّ الحشا لاعج الجوى
فمن مخبري يا ليت شعري متى اللقا وهل تحسنُ الدنيا وهل يرجع الهوى
سلا كلُّ مشتاقٍ وأقصر وجدُهُ
وعند اللوى وجدي وفي ساكن اللوى
ولي نية ما عشت في حفظ عهدهم الى يومِ ألقاهم وللمرء ما نوى

* * * * * * * * * * *

سَقَى اللهُ أشلاءً كرُمْنَ على البِلى وما غَضَّ من مقدارها حادثُ البَلا
وما شَجانى أن أُهين مكانُها وأُهمل قَدْرٌ ما عهدناه مُهْمَلا
ألا أُضْنِع بها يادهرُ ما أنت صانعُ فما كنتَ إلا عَبْدَها المُتَذَلِّلا

سَفَكْتَ وما كان الرُّقُوءَ نواله ... لقد جئتَها شَنْعاء فاضِحَةَ المَلا

يكفى سبنتى أزرق العين مُطْرِقٌ ... عدا فغدا فى غَيِّه متوغِّلا

لِنِعْمَ قتيلُ القوم فى يوم عِيده ... قتيلٌ تبكيه المكارم والعُلا

وذاك لأنّ الأمر فيه شهادةٌ ... ومُنْتُها محفوظةٌ لن تُبَدَّلا

فيا أيها المَيْت الكريم الذى قضى ... سعيداً حميداً فاضلاً ومُفْضلا

لتَهْنَ من ربِّ السماء شهادة ... تُلاقى بِبُشْرَى وجْهك المتهلِّلا

رثيتُك عن حبٍّ ثَوى فى جوانحى ... فما ودَّع القلب العميد وما قلا

ويارُبَّ من أوليتَه منك نعمةً ... وكنتَ له ذُخْراً عتيداً ومَوْئلا

تناساك حتى ما تَمُرُّ ببالِه ... ولم يَذْكر ذاك الندى والتَّفضلا

يُرابض فى مثواك كلُّ عشيَّةٍ ... صَفِيف شَواء أو قديداً مُمَعْجلا

حَمَى الله من ينسى الأذمَّة رافضاً ... ويَذْهل مهما أصبح الأمر مُشْكلا

حنانَيْك يا بَدْرَ الهُدى فلشدَّما ... تركتَ بُدُور الأفق بعد أُفَّلا

وكنتَ لآمالى حياةً هنيئةً ... فغادرت منى اليوم قَلْباً مُقَتَّلا

فلا وأبيك الخير ما أنا بالذى ... على البُعْد يَنْسى من ذِمامك ماخلا

فأنت الذى آوَيْتَنى مُتغرِّباً ... وأنت الذى أكرمتنى مُتَطَفِّلا

فإن لم أَنَلْ منك الذى كنتُ آملاً ... فما كنتَ إلا المُحسِن المُتَفَضِّلا

فما آليتُ لا ينفكّ قلبى مُكْمَداً ... عليك ولا ينفكُّ دمعى مُسْبَلا

إلا إن يوم ابن الحكيم لمُشْكِلٌ ... فؤادى فما ينفكُّ ماعشتُ مُشْكلا

فَقَدْناه فى يوم أغرَّ مُحَجَّل ... ففى الحَشْرِ نلقاه أغرَّ مُحَجَّلا
تَمَتْ نحوه الأيام وهو عَميدُها ... فلم تشكر السُّعدى ولم تحفظ الوَلا
تعاوَرَت الأسياف منه مُمَدَّحاً ... كريماً سمافوق السَّماكين مَنْزِلا
وخانته رِجْلٌ فى الطَّوافِ به سَعَتْ ... فتاه بِصَدْرٍ للعلوم تحمَّلا
وجَدلٌ لم يَحْضُره فى الحىِّ ناصرٌ ... فمن مُبْلِغ الأحياء أن مُهَلْهِلا
يد الله فى ذاك الأديم مُمَزَّقا ... تباركَ ما هَيَّتْ جنوباً وشَمْألا
ومِن حَزَنى أنى لَسْتُ أعرف مَلْحَداً ... له فأرى للتُّرْب منه مقبلا
رُوَيْدك يا مَنْ قد غدا شامتاً به ... فبالأمس ما كان العماد المُؤَمَّلا
وكنا نُنادى أو نُراوح بابَه ... وقد ظلَّ فى أوْج العُلا مُتَوقِّلا
ذكرناه يوماً فاستهلَّت جفوننا ... بدمع إذا ما أَمْحَل العام أخْضَلا
وما زج منه الحُزْن طول اعتبارنا ... ولم نَدْرِ ماذا منهما كان أطْوَلا
وهاج لنا شَجْواً تذكُّرُ مجلسٍ ... له كان يُهدى الحىَّ وللاَّ الأُلى
به كانت الدنيا تُؤخر مُدْبراً ... من الناس حَتْماً أو تُقدم مُقْبلا
لِتَبْكِ عيونُ الباكيات على فتًى ... كريم إذا ما أَسْبَغ العُرْف أجْزَلا
على خادم الآثار تُتْلى صحائفا ... على حامل القرآن يُتْلى مفصلا
على عَضُدِ المُلْك الذى قد تضوعت ... مكارمه فى الأرض مِسْكاً ومَنْدلا
على قاسم الأموال فينا على الذى ... وضعْنا لديه كل إصْرٍ على علا
وأنَّى لنا من بعده مُتَعَلَّلٌ ... وما كان فى حاجاتنا مُتَعَلَّلا
ألا يا قصيرَ العُمْر يا كاملَ العُلا ... يمِيناً لقد غادَرْت حُزْناً مؤثلا
يسوء المُصَلَّى أن هَلَكْتَ ولم تَقُمْ ... عليك صلاةٌ فيه يشهدها الملا

يا بَيْنُ قد طـــال المدى أَرْعِد وأَبْرِق يا يَزيـــــد
ولكل شيء غـــــايةٌ ولربمـــا لان الحَديـــــد
إيهٍ أبا عبـــد الإلَـــــه ودونَنا مَرْمى بعيـــــد
أين الرسـايل منـك تأْ تينا كما نُظِم العقـود
أين الرُّســوم الصالحـا ت تصرَّمَتْ أيــن العُهـود
أنعم مـاءً لا تخطَّتـــــك البشاير والسُّعود
وأقدم على در الرِّضـــا حيث الإقامة والخُلـــود
والـقَ الأحبَّـة حيث دا رُ المُلْك والقَصْـر المَشِيد
حتى الشَّهادة لم تَفُتْـــك فنجمُك النَّجم السَّعيد
لا تَبْعُدَن وعُدْ لَوْ انَّ المَيْت فى الدنيا يعـود
ولين بُليـــت فإنَّ ذكـــرَك فى الدُّنا غَضٌّ جديد
تالله لا تَنْـــاك أَنْدِبـــة العُلى ما اخضَـــرَّ عُود
وإذا تسومح فى لحقـو قٍ فحقُّك الحـقُّ الأكيد
جادَتْ صـداك غمـامةٌ يُروى بها ذاك الصَّعيـد
وتمهَّدتك مـــن المُهَيمـن رحمةٌ أبـداً وجُـود

* * * * * * * * * *

يا عين سِحّى بدمع واكِفٍ سَرِب لحامل الفضل والأخلاق والأدب
بكيتُ إذ ذُكِر الموتى على رجل إلى بلى من الأحياء مُنْتَسب
على الفقيه أبى بكر تضمَّنه رَمْس وأعمل سيرا ثم لم يؤُب

قد كان بى منه وُدٌّ طاب مشرعُه ما كان عن رغَبٍ كلاًّ ولا رَهَب
لكن ولا على الزحمن مُحتسبا فى طاعة الله لم يمذُق ولم يشب
فاليوم أصبح فى الأجداث مُرتهنا ما ضرَّت الريح أملُودا من الغضب
إنا إلى الله من فَقْد الأحبَّة ما أشدَّ لذعا لقلب الثَّاكل الوَصِب
من للفضائل يُسديها ويُلحمها من للعُلى بين مَوْروث ومُكْتسب
قُلْ فيه أما نَصِفْ رُكْناً لمُنْتبذ رَوْضٍ لمُنْتَجع أُنْسٍ لمُغْتَرب
باق على العهد لا تَثنيه ثانية عن المكارم فى وِرْد ولا قُرْب
سهل الخليقة بادى البِشر مُنبَسط يَلقى الغريب بوجه الوالد الحَدِب
كم غيَّر الدهر من حال فَقَلَّبها وحال إخْلاصُه ممتدَّة الطُّنُب
سامى المكانة معروف تقدُّمه وقَدْره فى ذوى الأقدار والرُّتب
أكْرِم به من سجايا كان يحملها وكلها حَسَن تُنبيك عن حَسَب
ما كان إلا من الناس الأُلى دَرَجوا عقلا وحلما وجوداً هامى السُّحب
أمسى ضجيعَ الثَّرى فى جَنب يلفَعَةٍ لكن محامدَه تبقى على الحُقُب
ليست صَبابة نفسى بعده عجباً وإنما صبرها من أعجب العُجب
أجاب دمعى إذ نادى النعىُّ به لو غَيْر مَنْعاه نادى الدمع لم يُجب
ما أغفل المرءَ عمَّا قد أُريد به فى كل يوم تناديه الرَّدى اقتَرب
يا ويحُ نفسى الأنفاس مَضَت هدراً بين البطالة والتَّسويف واللَّعب
ظننت أنى بالأيام ذو هزء غلطت بل كانت الأيام تهزأ بى
أشكو إلى الله فقرى من معاملة لله أنجو بها فى مَوْقف العَطَب
ما المال إلا من الله تُوَّى فأفْلَح من جاء القِيامة ذا مال وذا نَشَبِ
أبا بكر الأرْضَى نداء أخٍ باكٍ عليك مدى الأيام مُكْتَئِبِ

أهلاً بقَدْمتك الميمونُ ظاهرها ... على محل الرِّضى والسَّهل والرَّحب
نم فى الكرامة فالأسباب وافرة ... وربما نِيلَت الحُسنى بلا سبب
لله والآجال قاطعةٌ ما ... بيننا من خطابات ومن خُطَب
ومن فرايد آداب يُحَبِّرها ... فيودع الشُّهب أفلاكاً من الكُتب
أما الحياة فقد مُلِّيتَ مدَّتها ... فعوّض الله منها خير مُنْقَلب
لولا قواطعُ لى أشراكها نُصبت ... لزُرْت قبرك لا أشكو من النَّصب
وقلّ ما شُفيت نفسٌ بزَوْرة ... من حِلِّ البَقيع ولكن جُهْد ذى أرب
يا نُخْبةً ضمها تُرْبٌ ولا عجب ... إن التراب قديما مدفن النُّخُب
كيف السبيل إلى اللُّقيا وقد ضربوا ... بينى وبينك ما بقى من الحجب
عليك منى سلام الله يتبعُه ... حسنُ الثَّنا وما حبِّيت من كثب

* * * * * * * * * *

عينٌ بكى لمَيْت غادروه ... فى ثراه مُلْقَى وقد غدروه
دفنوه ولم يُصَلِّ عليه ... أحدٌ منهم ولا غسّلوه
إنما مات يوم مات شهيداً ... فأقاموا رسماً ولم يقْصِدوه

* * * * * * * * * *

استقلاَ ودعاني ... طائفاً بين المغاني
وانعما بالصبر إني ... لا أرى ما تريان
قُضي الأمر الذي في ... شأنه تستفتيان
ومضى حكم إلهه ... ما له في الملك ثان

مات يـــوم السلم قعصاً مـــدْرَهُ الحـــرب العوان
واستُبيـــح الملك ابن المـــلك الحـــرّ الهجـــان
يـــا خليـــليّ أعينـــا ني على شجو عناني
واذكـــرا سابغـــة النعمـــة فيمـــا تذكـــران
وإذا صلّيتمـــا يـــو ماً عليـــه أذّنـــان
مـــا علمنـــا غير خيرٍ فاقضيـــا مـــا تقضيان
لا نبـــالي مـــا سمعنـــا مـــن فـــلان وفـــلان
غيرَ مـــا قالـــوا اعتقدنا وعلينـــا شاهـــدان
وغـــداً يجمعنـــا المـــو قف مـــن قاصٍ ودان
ورضى الله هـــو المط لوب في كـــل أوان
وأخـــو الصدق لعمري ذو مقامـــات حســـان
وهـــوى النفسِ عناء حائـــل دون المعـــاني
وعـــلى البغضاء يطوى وُدّ إخـــوان الخـــوان
بأبي والله أشـــلا ء على الرمـــل حَـــوان
بفتًى ما كـــان بالـــوا ني ولا بالمتـــواني
يمـــزج المـــاء نجيعـــاً وينـــادي : علّـــلاني
ليس بالهيّـــابة النكـــــس ولا الغمـــر الهـــدان
أبيض الوجـــه تـــراه والـــردَى أحمرُ قـــان
أي سيـــف لضرابٍ أي رمـــح لطعـــان
ذو نجـــار خزرجيّ الـــ ـمُنتمى سامـــي المكـــان
ذكره قـــد شاع في الأر ض إلى أقصى عُمان

لا تـراه الدهـرَ إلا حِلفَ سرج أو عنان
عن صهيـل الخيـل لا يا نهيـه تعـزاف القيـان
إن ألمّـت هيعـة طا ر اليهـا غير وان
يصدعُ الليـل بقلب ليـس بالقلـب الجبـان
يا لهـا مـن نصبةٍ لـو لا نحـوس في القران
وشبـاب عاجلوه بالردى في العنفـوان
لم يجاوز من سنيـه العشرَ إلا بثمـان
دوّخ الأقطـار غزواً مـن دضاب ومحـان
حكّمـوا فيـه الظُبى أم رمح مـن لمـح العيـان
إن يكونوا غـادروه في الثرى ملقى الحـران
تشربُ الأرضُ دماً منـ ـه تهـاداه الغـواني
وتحيّيـه بتسليـ ـم ثغـورُ الأقحـوان
فالمعـالي أودعتـه بين سَحـر ولَبان
وغوادي المزن يرضعـن ثـراه بلبـان
ضـاع صرح الثغـر لمـا أغمـد السيف اليمـاني
وأعـير الأسـدُ الـور د القميص الأرجـواني
عاطيـاني أكؤسَ الحـز ن عليـه عاطيـاني
حملـه دون صلاة للـرى ممـا شجـاني
أوَ ما كانـوا له يـد عـون أعقـاب الأذان
لا تهينـوه فمـا كـا ن بأهـل للهـوان
عجبي والله مـن إبـ ـطان هـذا الشنـآن
أنا مـذ غـاب فبالـا لي فؤاداً مـا أراني
وبحسبي دعوات أنا فيهـا ذو افتنـان

بتّ أهديها إليه بعد ترتيل المثاني
ذاك جهدي إنّ إحسا ن أبيه قد غذاني
فأنا الشيعةُ حقاً بفؤادي ولساني
أفأنسى ذلك العهـ ـد وليس الغدر شاني
ويقال الرشح موجو د قديماً في الأواني
وعهود الناس شتّى من عجاف وسمان
وهي النعمة حقاً شكرها في كل آن
اتّئد يا فارس الخيل فغير الله فان
والمعالي تطلب الثا ر وتأتي بالأماني
وهي الأرحام لا تنسى ولو بعد زمان
أنت من رحمة غفّا ر الخطايا في ضمان
وهو يوفي الخصم إن شا ء وزاناً بوزان
والذي أفشى قبيحاً حظّه عضّ البنان
سلّم الله على من فيه ذو جهل لحاني
وجزاه بجهاد جاء منه ببيان
ربّنا أنت خبيرٌ بخفيات الجنان
ويداك الدهرَ فينا بالندى مبسوطتان
ومجال العفو رحبٌ والرضى غضُّ المجاني
فتغمّدْنا برحمى وقبول وأمان
واجمع الشمل على أفـ ضل حال في الجنان

أوْدَى ابن هانى الرِّضا فاعتادنى للثَّكل عيد
بحرُ العلوم وصدْرُها وعميدُها إذ لا عَميد
قد كان زَيْناً للوُجو د نَفيه قد فُجع الوُجود
العِلْمُ والتَّحقيق والتوفيق والحَسَب التَّليد
تَنْدى خلائِقُه فقل فيها هى الرَّوض المَجُود
مُغْضٍ عن الإخوان لا جَهْمُ اللقاء ولا كَنود
أوْدَى شهيداً باذلاً مجهوده فِعم الشَّهيد
لم أنْسَه حين المعا رف باسمه فينا نشيد
وله صُبوب فى طلاً ب العلم يَتْلوه صُعود
لله وقت كان يَنظِمُنا كما نُظِم الفريد
أيام نَغْدو أو نَرُو ح وسَعْينا السَّعى الحميد
وإذا المَشيخةُ جَثَّمُ هَضْبات حِلم لا تَبيد
ومُرادُنا جم النَّبا ت وعَيْشُنا خَضِر البُرود
لَهْفى على الإخوان والأتراب كلُّهم نقيد
لو جِئتُ أوطانى لأنكرنى التَّهايم والنُّجود
ولراعَ نفسى شيبُ من غادَرْته وهو الوَليد
ولطفتُ ما بين اللُّحو د وقد تَكاثَرَت اللُّحود
شُرعان ما عاث الحِما م ونحن أيقاظٌ هُجود
كم رُمْتُ إعمال المَسير فقيَّدت عزمى قُيود
والآن أخْلَفَت الوعو د وأخلَقَت تلك البُرود
ما للفتى ما يبْتَغى والله يفعل ما يُريد
أعلى القديم المُلْك يا 181 وَيْلاه يَعْترض العبيد

القاضي محمد بن أحمد الشريف السبتي الغرناطي

دعيني من مقال العاذلين ... وخلّي بين تهيامي وبيني
ومن يك سالما فلديّ حب ... سلوُّ القلب عنه غير هين
علقت فقلتي للنوم حرب ... بأعزل ، وهو شاكي المقلتين
مليحُ الدل شاقت كل قلب ... شمائله ، وراقت كل عين
جنى ، وحمى ، فلم أطلب بثأري ... محاجره ، ولم أتقاض ديني
أهيم بخدّه وبمبسميه ... فأنسبُ بالحمى و الأبرقين
عقدتُ مع الغرام فبعتُ فيه ... وقاري والتصبرَ صفقتين
وهمت بناعم المعطفين فيه ... عذابُ الصبّ عذبُ المرشفين
تدير عليّ عيناه كؤوسا ... كأن سُلافها من رأس عين
كففتُ المقلتين ليشهدا لي ... فجرّحتِ الدموع الشاهدين
فلو أبصرت ناظريَ المُعنّى ... وماءُ الدمع فوق الوجنتين
بصرت بوردتين يسحُّ منهما ... سكيبُ القطر ، فوق نهارتين
اذا أعرضتَ أعرضَ كل صبر ... وآذن نومُ أحداقي ببين
ولم تبد الرياض بحسن زيٍّ ... ولم تزهُ الربا بكمال زين
كأن نسيمها لما أقاسي ... تهب عليلة بالأبردين
كأن الدهر غب بها بكته ... لما أيدى حمام الشاطئين
أهيج لها هوى وتهيجُه لي ... فنُلفى في الهوى متطارحَين
وقد هاج الحمام الوجد قبلي ... لتوبة عند بطن الواديين
بعيشك هل ترى ثاني وحيد ... يَرى بك ثالثاً النيّرين
وهل يدنو من الآمال صبٌّ ... بعيد بين هُدب الناظرين
فإن يكن الجمال حباك مُلكا ... وأيّد ناظريك بحاجبين
فما أرضى لملكك أن كسرى ... وقيصر في مقام الحاجبين
تخيّرني وفي عِطفيك لِينٌ ... فعالك عن فؤاد غير لين
وأعرف في لحاظك ما رأت في ... ظبا الثقفي قاتلةُ الحسين
وألقي في الهوى بيدي وما لي ... على فتكات لحظكَ من يدين
علام الغيبُ عني ؟ لا أغبتَ[182] بك الخيراتُ هامية اليدين

القاضي محمد بن سعد بن قاسم الأوسي إبن الفخار

جمالُ ذي الأنفسِ أن تتّضِعْ
فاعملْ على تحصيلِ ذا تنتفعْ
فهذه الأثمانُ في وزنِها ان يكُ فيها ناقصٌ يرتفعْ

* * * * * * * * *

اخرجْ من الدنيا ولا تعلقْ منها بما لا بدّ ان يُنتَسَفْ
ألا ترى البدر على بُعْده مهما يكن في ظلها يَنكَسِفْ

* * * * * * * * * *

إياك من زهرة الدنيا وزينتها وَلتنأ عن ذا الدنا مهما اليك دنا
ازهد إذا أمكنتْ من نفسها كرماً فالزهدُ فيها يُريحُ النفسَ والبدنا

* * * * * * * * * *

دارِ بهذي الدارِ سكانها تَقِمْ على التأسيسِ أركانها
ولتفعلِ الخيرَ فما غيره من واجبٍ قاومَ إمكانها

* * * * * * * * * *

صافِ لمن صافاك وأبرزْ لهُ مستويَ الباطن والظاهر
لا تكُ كالماءِ يغرُّ الفتى صفاؤُهُ وليس بالطاهر

* * * * * * * * * *

سافر فما استولى على غايةٍ من ليستِ الاسفارُ من دَيْدَنِهْ
فالغيثُ غيمٌ وهو في جوّه والتبرُ ترب وهو في معدنه

* * * * * * * * * *

القاضي محمد بن عبدالله بن منظور القيسي

ما للعطاسِ ولا للفالِ من اثرٍ فثقْ فديتُكَ بالرحمنِ واصطبرِ
وسلمِ الأمرَ فالاحكامُ ماضيةٌ تجري على السنن المربوطِ بالقدر

* * * * * * *

القاضي أحمد بن عتيق الشاطبي

تراختْ بكَ الدنيا وجدَّ بكَ السَّيرُ
وأشغلتَ بالفاني وقد زهد الغيرُ

فحتى متى تكبو السوابقُ في الثرى
وتصحبُ رجلاكَ السلامةَ يا عَيرُ

عَدَتْ بكَ عن نيلِ المعيشةِ كَبْرَةٌ
تراختْ لها الاعضاء وأستَنْزِرُ الخبر

وَقلَّ انتفاعُ الأهلِ منكَ فأعرضوا
كأنكَ فرخٌ مَلَّ من زَقِّهِ الطير

مُرادُ الغواني منكَ خيرٌ ووزنُهُ
فها أنت لا خيرٌ لديكَ ولا أبر

* * * * * * * * *

قد عجزتُ عن القضا كلُّ شيءٍ الى أنقضا
أغمدَ الدهرُ مُرْهَفاً كان منّا قد أنتضى
كلُّ ما يفعلُ الإله قبلناهُ بالرضى
نسألُ اللهَ عفوَهُ المرتجى في الذي مضى

* * * * * * * * *

القاضي محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي

يأبى شجونَ حديثيَ الإفصاحُ اذ لا تقومُ بشرحِهِ الألواحُ
قالتْ صفيةُ عندما مرّتْ بها إبلي أتنزلُ ساعـــةً ترتاح
فأجبتها لولا الرقيبُ لكان في مـــا تبتغي بعد الغدو رواح
قالتْ: وهل في الحيِّ حيٌّ غيرنا فاسمحْ فديتك فالسماحُ رباح
فأجبتها: إن الرقيبَ هَوَاكِ بيديه منـــا هـــذه الارواح
وهو الشهيدُ على مواردِ عبده سيانِ مـــا الإخفاء والايضاح
قالتْ واين يكون جودُ الله إذ يُخشى ومنه هـــذه الافراح
فافرحْ على اسم الله جلَّ جلاله وأشطحْ فنشوانُ الهوى شطاح
وارهجْ على ذمم الرجال ولا تخَفْ فالحلُّ رحبٌ والتوالُ مُباح
وانزلْ على حكم السرورِ ولا تبَلْ فالوقتُ صافٍ ما عليك جُناح
وأخلعْ عذارك في الخلاعةِ يا اخي باسمِ الذي دارتْ به الاقـداح
وانظر إلى هذا النهار فثنْهُ ضحكتْ ونورٌ جبينه وضاح
انواره نفحتْ وأترعَ كأسُهُ فقـد ابتوى ريحانُهُ والراح
وأنظرْ الى الدنيا بنظرةِ رحمةٍ فجفاؤُها بوفائهـــا يتزاح
لا تعذلِ الدنيا على تلويتها فلليلها بعد المساءِ صباح
فاجبتُها لو كنتُ عالمةَ الذي يبدو لِتاركِهَا وما يَـلْتَـاح
من كلِّ معنىً غامضٍ من أجله قد ساح قومٌ في الجبال وناحوا
حتى لقد سكروا من الأمر الذي هاموا به عند العيان فباحوا
لعذرتني وعلمتِ أنّيَ طالبٌ ما الزهد في الدنيا له مفتاح

فاترك صفيّك قارعاً باب الرضى والله جلّ جلاله الفتّاح
يا أختُ حيّ على الفلاح وخلّني فجماعتي حثّوا المطيّ وراحوا
خذها على رغم الفقيه سلافةً تجلى بها الأقمارُ في شمس الضحى
أبدى أطبـــاءُ العقول لأهلها منها شراباً للنفوس مفرّحا
وإذا المرائي قال في نشوانها قلْ انت بالاخلاصِ فيمن قد صحا
يا قهوةً دارت على أربابها فاهتزتِ الأقدام منها واللحى
مُزجَتْ فغارَ الشيخُ من تركيبها فلذاك جرّدها وصاح وصرّحا
وبدتْ فغار الشيخ من إظهارها فاشتدّ يبتدرُ الحجاب ملوّحا
لا تعترضْ أبداً على مستهترٍ قد غارَ من أسرارها ان تفضحا
وكذاك لا تعتبْ على مستهترٍ لم ما الايضاح لما أوضحا
سكرانُ يعثرُ في ذيولِ لسانه كفراً ويحسبُ انه قد سبحا
كتمَ الهوى حرية بعض وبعض ضاق ذرعاً بالغرام فبرّحا
لا تحسَبنْ على العدالة هاتفاً نقدَ ارتياحِ العاشقين مبرّحا
الحبُّ خمرُ العاشقينَ وقد قضت حتماً على من ذاقها ان يشطحا
فاشطحْ على هذا الوجود وأهلهِ عجباً فليس براجح من رجحا
كبّر عليهمْ انهمْ موتى على غيرِ الشهادةِ ما أعرّ وأقبحا
واهزأ بهم فمتى يقل نصحاؤهمْ أفلحْ فقلْ حتى ألاقيَ مفلحا
وإذا رزينهمُ استخفكَ قل له بالله يا يحيى بن يحيى دع جحا
ابني سليمى قد محا مجنونكم مجنونَ ليلى العامرية قد محا

هل يستوي من لم يَبُح بحبيبه مَعَ مَن بذكر حبيبه قد صرحا
فافرحْ وطبْ وارهجْ وقل ما شئته ما أملح الفقراءَ يا ما أملحا

* * * * * * *

ان كنتُ أبصرتُكَ لا أبصرتْ بصيرتي في الحقّ برهانها
لا غروَ اني لم أشاهدكمُ فالعين لا تبصرُ إنسانها

* * * * * * *

يلومونني بعدَ العذارِ على الهوى ومثليَ في حبي له لا يُفنّدُ
يقولون : أمْسِكْ عنه قد ذهبَ الصبا .
وكيف أرى الامساكَ والخيط أسود

* * * * * * * *

ومُصفرةِ الخدين مطويّةِ الحشا
عن الجُنْبِ والمصفرُّ يؤذنُ بالخوفِ
لها بهجةٌ كالشمسِ عند طلوعها
ولكنها في الحينِ تغرب في الجوف

* * * * * * * *

مُرَجّي رجتي فضلَ أنعمك التي بكفيك عجزاها ثناءً ومَوحدا
وقد جدتَ بالإحسانِ في حلّ قيده فصيّره بالإحسانِ منكَ مقيّدا

* * * * * * *

إذا ما كتمتُ السرَّ عمن أوَدُّهُ توهّمَ أن الودَّ غيرُ حقيقي
ولم أخْفِ عنه السرَّ من ظِنّةٍ به ولكنني أخشى صديقَ صديقي

* * * * * * *

قالوا : تغربتَ عن أهـــلٍ وعن وطنٍ
فقلتُ : لم يبقَ لي أهـــل ولا وطنُ
مضى الأحبّـةُ والأهلون كلهمُ
وليس بعـــدهمُ سكنى ولا سكن
أفرغتُ حزني ودمعي بعـــدهم فأنا
من بعـدِ ذلك لا دمـعٌ ولا حَزنُ

* * * * * * * *

ما رأيت الهموم تدخلُ إلا من ضروب العيونِ والآذان
غضّ طرفاً وسدّ سمعاً وان أحسستَ همّاً فلا تثقْ بضماني

* * * * * * * *

حزنتْ عليكَ العينُ يا مَغْنى الهوى
فالدمـعُ منها بَعْدَ بُعدك مـا رقـا
ولذاك مـا صُبغتْ بلـونٍ أزرقٍ
أوَما ترى ثوبَ المـآتم أزرقا

* * * * * * * *

تطالبني نفسي بما ليسَ لي به يدانِ وأعطيها الأماني فتَقْبَلُ
عجبتُ لخصمٍ لجَّ في طلباته يصالحُ عنه بالمحال فيفصل
ما رأيتُ النساءَ يصلحنَ إلا للذي يصلح الكنيف لأجله
فعلى هذه الشريطة فاصحبهنَّ لا تعدُ بامرىءٍ عن محلّه

* * * * * * * *

قد هجوتُ النساء دهراً فلم أبلغْ أداني صفاتِهِنَّ الذميمهْ
ما عسى أن يقال في هجوِ من قد خصّهُ المصطفى بأقبح شيمه
أوَ يبقى لناقص العقل والدين إذا عُدَّتِ المثالبُ قيمه

* * * * * * * *

قد كنتُ مغروراً بوعظي وما أبتُ من عليَّ بين البشرْ
من حيثُ قد أمّلتُ إصلاحَهُمْ بالوعظِ والعلم فخانَ النظر
أوَ يبقى لناقص العقل والدين إذا عُدَّتِ المثالبُ قيمه

* * * * * * * *

يا من إذا ما رمتُ توديعَهُ ودعتُ قلبي قبـــل ذاك الوداعْ
فاترك التوديع عمداً لكي أعلل النفسَ ببعضِ الخداع
فلم أجد أوعظ للنـــاس من أصواتِ وعّاظِ جلود البقر

* * * * * * * *

يا من إذا ما رمتُ توديعَهُ ودعتُ قلبي قبـــل ذاك الوداعْ
فاترك التوديع عمداً لكي أعلل النفسَ ببعضِ الخداع
يا محنة النفس بألوفها من أجلها قد جاء هذا الصراع

* * * * * * *

يفنى الهوى وغرامُ عزّة بـــاقِ والشوقُ يذهب ما عدا اشواقي
حلف الهوى ألا يفارقَ مُهجتي طولَ الزمان إلى بلوغِ تراقي
فالوجدُ ما طويتُ عليه جوانحي والدمـعُ ما جادتْ به أماقي
أنا فارسُ العشـاقِ ما منهمْ فتى يهتزّ بين يدىَّ يوم سباقِ
وإذا هم بـعدون خلفي سُـرعا لم يظفروا يوم الهوى بلحاق

فأنا الذى عَرفَ الرِّجـالُ مقامَهُ ... من بينهم فى مَصرَع العُشّاق

قالوا لِعَاذِلنا وعاذِرنا ومـــــا ... بى من غرام منهمُ ووفاق

قد صُمِّمَت أذنِى عن حديثِكم كما ... عَميتُ اذا شـاهدتكُمُ أحْداقى

إن شئتَ تعلمُ هل شعرتَ بأمركُمُ ... امَّ لا، فهاكَ انظرُ إلى استِغراقي

الحالُ أغلبُ والدَّليـــلُ مؤخّرٌ ... والحكمُ فى ذا الباب للأذواق

دعْنِى وعزَّة والغَـــرامَ فإنهُ ... تثليثُ توحيـدٍ بغيـــرِ نِفاق

دَاءُ الهـوى ما إن أدينُ ببُرئهِ ... ما للطبيـبِ ولى، ومَا للرَّاقى

هى عِلةٌ أو ســـكرةٌ لا ترتجى ... صَحوا، وكيف وما عَدمتُ الساقى ؟

لله ســـاق في حلاوةِ كاسِـــه ... للمُدْنفِ الهيـمان مُرُّ مَذاق.

وأمَرُّ من سِجن الهَوى أن لم أبِلْ ... بعظيم ما فى جنْبِ ذاك ألاقى

يا قلبُ كم أسْعَى ومَالى مَخلصٌ ... نحو التفلتِ من شديدِ وَثاقى

للهِ ما يلقاهُ أربابُ الهَوى ... من كُل ما يَفرى عُرى الأعناق

لاغروَ أن يَشْقى المُحبّ ببعدهِ ... إن لم يَدنْ محبوبُه بتَـــلاق

الموتُ كلُّ الموتِ أنّى مُبْتلى ... بفراق من يَشْكُو أليمَ فراقى

يا مَنْ فؤادى في وصَال جَمالهم ... ما زالَ في طمع وفى إشْفاق

إن كان دهرٌ قَد قضى بفراقنا ... فعَســاكمُ لا تنقضـوا ميثاقى

* * * * * * * * *

تأسفتُ لا كن حين عزَّ التأسُّف ... وكفكفتُ دمْعاً حين لا عينَ تذرفُ

ورام سكوناً وهو فى رِجْـــل طاير ... ونادى بأُنسٍ والمنـازل تعنـــف

أراقب قلبي مرّةً بعد مرة ... فألفيه ذيّاك الذي أنا أعرفُ
سقيمٌ ولا كن لا يحسُّ بدايه ... سوى مَنْ له في مأزق الموت مَوْقف
وجانب قلباً ليس يأوي لمألَفٍ ... وعالج نفساً داؤها يتضاعف
وأعجبُ ما فيه استواء صفاته ... إذا الهمّ يشقيه أو السرُّ يَتْرِف
إذا حلّت الضرّاء لم ينفعل لها ... وإن حلّت السرّاء لم يتكيّف
مذاهبُه لم تبدُ غاية أمرِه ... فؤادٌ لعمري لا يُرى منه أطرفُ
فما أنا من قوم قُصارى همُومهم ... بنُوهم وأهلُوهم وثوبٌ وأرغفُ
ولا لي بالإسراف فكرٌ محدثٌ ... سيغدو حَبيبي أو سيثمر مُطرف
ولا أنا ممّن لهوُه جلّ شأنُه ... بروضٍ أنيق أو غزال مُهفهف
ولا أنا ممّن أنسُه غايةَ المُنَى ... بصوتٍ رخيمٍ أو نديم وفرقف
ولا أنا ممّن تزدهيه مصانعٌ ... ويُنبيه بُنيان ويُلهيه مُخرَف
ولا أنا ممن همّه جمعُها فإن ... تراءت يَنِب بنفي لها وهو مُرْجف
على أنّ دهري لم يَدَع لي صُروفه ... من المال إلا مَنْحة أو مجلف
ولا أنا ممن هذه الدار همّه ... وقد غرّه منها جمالٌ وزُخرف
ولا أنا ممن للنوال قد اتّبرى ... ولا أنا ممن صان عنه التعطف
ولا أنا ممن نجّح الله سعيهم ... فهمّتهم فيها مُصَلٍّ ومُصحف
فلا في هَوًى أضحى إلى اللهو قائداً ... ولا في تُقًى أمسى إلى الله يزلف
أحارب دهري في نقيض طباعه ... وحَرْبُك من يقضي عليك تعجّرف
وأنظره شَزْراً بأصلف ناظر ... فيعرض عني وهو أزهى وأصلفُ
وأضبطه ضبط المحدّث صحفه ... فيخرج في التوقيع أنت المُصحِفُ

ويأخذ منى كلّ ما عزّ نيلُه ... ويبدو بجهلى منه فى الأخذ تُحْتَف
أدور له فى كل وَجْه لعلّنى ... سأنبته وهو الذى ظلّ يحلف
ولما يئسنا منه تَهْنا ضرورة ... فلم تَبْقَ لى فيها عليه تشوّف
تكلّفتُ قطع الأرض أطلب سَلْوةً ... لنفسى فما أجدى بتلك التكلّف
وخاطرتُ بالنفس العزيزة مُقْدماً ... إذا ما تخطّى الفضلُ قصد مُرْهف
وصرّفت نفسى فى شئون كثيرة ... لحظّى فلم يظفر بذاك التّسرّف
وخُضت لأنواع المعارف أبْحُراً ... فى الحين ما استجرتُها وهى تَنْزَف
ولم أخلُ من تلك المعانى بطايل ... وإن كان أهلوها أطالوا وأسرفوا
وقد مرّ من عمرى الألَذ وها أنا ... على ماضى من عَهْده أتلهّف
وإنى على ما قد بَقى منه إن بقى ... لحرمةِ ما قد ضاع لى أتخوّف
أعُدّ ليالى العمر و الفرض صَوْمها ... وحبّك من فَرْض المحال تعسّف
على أنها إن سلّمت جَدَليّةً ... تعارض آمالاً عليها يُنيف
تُحدثنى الآمال وهى كِذِبُها ... تُبدّل فى تحديثها وتُحرّف
بأنّىَ فى الدّنيا سأقضى مآربى ... ويمدُّ يحثُّ الزهدُ لى والتقشّف
وتلك أمانٍ لا حقيقة عندها ... أفى قَرْنى الضّدّين يبقى التكلّف
وربّ أخِلّاء شكوتُ إليهم ... ولكن لفهم الحال إذ ذاك لم يَفُ
ببعضهم يُزرى علىّ وبعضهم ... يغضّ وبعضٌ يُرثى ثم يَصْدُف
وبعضهم يومى إلىّ تعجّباً ... وبعضٌ بما قد رأيته يتوقف
وبعضهم يُلقى جوابه على ... مُقْتَضى العقل الذى عنه ينوقف
بسمع استماعاً ثم يُعِدُّ إجابة ... على غير ما تحدُوه يحنو ويخصف
ولا هو يبدى لى علىّ تعقّلا ... ولا هو يُرثى له ولا هو يَعْنِفُ

وما أمرُنا إلا سواء وإنما ... عرفنا وكلٌّ منهم ليس يعرف

لو قد قرّعنا من علاج نفوسنا ... وحطّوا الدنيّة من علبل و أنصفُ

أما لهم من علّة أرّمت بهم ... ولم يعرفوا أغوارها وهى تَتْلَف

وخُضْنا لهم فى الكتب عن كُنْه أمرهم ... ومثلى عن تلك الحقائق يكشِفُ

وصنّفتُ فى الآفات كلّ غريبة ... فجاء كما يهوى الغريبُ المُصَنَّف

وليس عجيباً من تركّب جهلهم ... فإن يعجبوا عن مثل ذاك وصَرِّفُ

إذا جاءنا بالسُّخف من نزْو عقله ... إذا ما تَلَقّاه ازْوَرَّ وانْسَخَف

فما جاءنا إلا بأمرٍ مناسب ... أينهض عن كفّ الجبان المثقّف

ولا كن عجيبُ الأمر علمى وغفلتى ... ندْيتكم أىّ المحاسن أكشِف

إلا أنها الأقدار يظهرُ شرّها ... إذا ما وفى المقدور فالرأى يَخْلف

أيا ربُّ إن القلب طاش بما جرى ... به قلمُ الأقدار والقلبُ يَرْجُف

وإنّا لندعوهم ونخشى وإنما ... على رسْلك الشرعى من لك يعنُف

أقول وفى أثنائه ما أنا قائلٌ ... رأيتُ المنايا وهى لى تتخطّف

وإنى مع الساعات كيف تقلّبت ... لأشهِدها إن فوّقت مُتَهدِّف

وما جرّ ذا التّسويف إلاّ شَبيبتى ... تُخيّل لى طولَ المدى فأسوّف

إذا جاء يومٌ قلتُ هو الذى يلى ... ووقتُك فى الدنيا جليسٌ مُخَفّف

أقدّم رِجْلاً عند تأخير أختها ... إذا لاح شخصٌ فالنّفس تَكْسِف

كأنّى لدانى المراقد منهم ... ولم أودعهم والخضُّ ريّان يَنْشِف

وهَبْنى أعيش هل إذا شاب مَفْرِق ... وولّى شبابى هل يُباح التّشوّف

وكيف وبتّ دعى الطريق رياضةً ... وتلك على عصر الشّباب تُوَظّف

متى يقبل التّقويم غير عطوفة ... وبى بعدُ حيّا فالنّضار تَنْسِف

ولو لم يكن إلاّ ظهورة سره ... إذا ما دنا التّدليس هان التّعطّف

أمَوْلَى الأسارى أنت أوْلى بعذرهم ... وأنت على المملوك أحقُّ وأعْطف
قَذَفْنا بلجِّ البحر والقيدُ آخذٌ ... بأرْجُلنا والرِّيح بالموج تعصف
وفى الكَوْن من سرِّ الوجود عجايب ... أطلَّ عليها العارفون وأشرَفُ
وكَمْ عليهم نكتةٌ فتأخَّروا ... ودَدْتُ بأن القوم بالكل أسْعَفُ
فليس لنا إلاَّ أن نحطَّ رقابنا ... بأبواب الاسْتِسلام والله يَلْطُف
فهذا سبيلٌ ليس للعبد غيرها ... وإلاَّ فماذا يستطيع المُكلَّف

* * * * * * * *

لا بارك الله فى الزُّهاد إنهم ... لم يتركوا عرَض الدنيا لفضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم ... يُطايروها فمُلُّوا ثقل حملهم
وعظَّم الناس منهم تركها فغدوا ... من غبطة التَّرك فى حرص لأجلهم
نعم أُسَلِّمُ أن القوم إذ زهدوا ... زاداً وأعلَى الناس طرًّا فضل تركهم
من حيث قد أحرَزوا التَّرجيح دونهم ... لاشيءٌ أبين من ترجيح فضلهم
فالمالُ والجود والراحات غايةُ ما ... يحكى لنا الزهد فى ذا عن أجَنُّهم
والزاهدون براحات القلوب مع الأبـ ... ـدان مُرُّوا وعزُّوا بعد ذلُّهم
فكل ما فرَّقوا قد حصَّلوا غرضاً ... منه وزادوا ثناء الناس كلُّهم

* * * * * * * *

جزى الله بالخير أعداءنا ... فوردهم أنْقَى المصدر
هم حَمَلونا على العُرْف كرْهاً ... وهم صَرَفونا عن المُنْكر
وهم أقْعَدونا بمجلس حُكْمٍ ... وهم بَوَّؤونا ذُرى المِنبر

وهم صيّرونا أمّة علم ودين وحبّك من مفخر
عدوّى بأول فعل مأثم وإن جئتُ بالإثم لم يعذر
وأنت ترى تمحيص من يعدل بين للسيء و بين البرّ
ولا زوّد الله أصحابنا بزاد تقيّ ولا خير
هم جرّؤونا على كل إثم وما كنتُ لولاهم بالمُخبر
وعدّوا من إكبار آثامنا فكانوا أضر من الغائر
أعارنى القوم ثوب التقى وإنى بما أعاروني برى
إذا خدعوني ولم ينصحوا وإنى بالنصح منهم حرى
فمن كان يكذب حال الرضى يصدق فى غضب يفتر
بلى سوف تلقى لدى الحالتين يحكم النفس هوى الفرّ
فيارب أبق علينا عقولنا نبيع بها وبها نشترى

****

لقد ذم بعض الخمر قوم لأنها تكر على دين الفتى بفساد
وقد سلموا قول الذى قال إنها تحلّ من الدنيا بأعظم ناد
وتذهب بالمال العظيم فلن ترى لمدمنها من طارف وتلاد
فيمسى كريماً سيّداً ثم يغتدى سفيهاً حليفَ الغىّ بعد رشاد
وقالوا تسلّى وهو عارية لها وإلاّ فلم يأتوا لذاك بشاد
وصلةٌ ونور وحناء طفلة ومرآى به للطريف مير جواد
وهل يُداوَى من مرارتها التى أواخرها مقرونةٌ بمهاد
ولو أشرب الإنسان سهلاً بهنه لأصبح مسروراً بأطيب زاد
ومن حسن حال الشاربين يقيئها بالرغم من برقٍ وساد
ومن حسن ذا المحروم أن مُدامه إذا غلبت تكسوه ثوبَ رُقاد
فيخلف الندمان طرّاً لروحه ويحدوهم نحو الروحة حادى

القاضي محمد بن محمد بن شعبة الغساني

يَبْلى على مرّ الجديدين الهوى وهواكِ يا ليلى جديدٌ باقِ
قد رقّ من فرطِ الهوى جسمي فهل لي في الهوى من مُشْفقٍ أو راقِ
ما ذاق قيسٌ في الهوى ما ذقته كلا ولا أحدٌ من العشاقِ
انتِ المنى فصلي محبّكِ أو ذري لا بدّ منك على نوى وتلاقِ

* * * * * * * * * *

إذا ما الخلُّ خالك دونَ ودٍّ وجارُكَ بالكلامِ عليكَ جارا
ففارق كلَّ مَنْ يُدْعى خليلا ولا تصحبْ من الأقوام جارا

* * * * * * * * * *

ما ذوّق الدهرُ الأنامَ مشقةً مثلَ اعتياضِ شبيبةٍ بمشيب
وبعادُ من قربتْ إليهِ دارُهُ وفراقُ كلِّ حبيبةٍ وحبيب

* * * * * * * * * *

القاضي محمد بن محمد بن على القرشى

عادَتْ بِبُرْئِكَ بهجةُ الأيّامِ
واستقبلتْكَ بنشرِها البسّامِ

وغدتْ عليكَ وفودُ راحتِكَ التي
نهبَتْ جيوشَ السُّقمِ والآلامِ

فانزاحَ عنكَ الضَّيْرُ غيرَ معاودٍ
وأتيحَ بالآمالِ كلُّ مرامِ

فاستأنفِ العُمرَ الطويلَ فهذهِ
بُشرى السَّعادةِ آذنَتْ بدوامِ

فلأنتَ حائزُ خَصْلِ كلِّ فضيلةٍ
في الدِّينِ يومَ تراهُنِ الأقوامِ

كالغيثِ أو يَخشى فكالضِّرغامِ
طَلقُ الجَبينِ محبَّبٌ فكأنَّهُ
جذبَ القلوبَ لنفسِهِ بزمامِ

يا أيُّها المَلِكُ الذي إنعامُه
أبداً يسحُّ ، ولا انسكابُ غمامِ !

غفلَ الأنامُ فأهملوا شكرَ الذي
وهبوهُ منكَ ، فأنتَ خيرُ إمامِ

وتنبَّهوا لمّا اعتراكَ تألُّمٌ
بالحالِ أنَّكَ غايةُ الإنعامِ

فلقدْ تشكّى مِنْ شكاتِكَ مَنْ نأتْ
أسبابُه فضلاً على الخُدّامِ

والآنَ صحَّ لكَ الشِّفاءُ وكلُّهم
قامُوا بفرضِ الشكرِ أيَّ قيامِ

وتكفلت لهم السعودُ بما ابتغوا
فالخيرُ أجمعُ في البسيطةِ عامِ

فاستشهدوا البُشرى لذلكَ بينهم
وأصاخَ سمعاً مُعرقٌ وشآمي

نَعَمِ الإلهُ لنا حياتك إنها
ذُخرُ الأنامِ وبهجةُ الأيامِ

ولأنتَ أزهاهُمْ وأطولهم يدا
في الحالتين : النقضِ والإبرامِ

برزت فوقَ النجمِ في طلب العُلا
والغيثُ كفٌّ ومالَ للإحجامِ

أفعالُ أسرتك التي تستنمُوا
مَرقى العُلا فعلوا على الأقوامِ

وتميزوا بين الأنام بمجدهمْ
كتميزِ الأعيادِ في الأيامِ

قومٌ إذا افتخرَ الكرامُ فإنهمْ
غوثُ الصريخ وقاتلُ الإعدامِ

فتضحوا البحارَ وكلَّ طودٍ راسخٍ
بِندامُ ورجاحةِ الأحلامِ

وكفى بهمْ شرفاً على من غيرهم
حبُّ النبيِّ ونصرةُ الإسلامِ

أمّا بنو نصرٍ فأرواحٌ ، بها
حيي الورى ، والناس كالأجسامِ

والقومُ جسمٌ ، يوسفٌ هو روحُه
وُصلت لهُ الأعوامُ بالأعوامِ

قُطبٌ إذا دارُوا ، وواسطةٌ إذا
نُظموا ، وشمس ضُحىً وبدرُ تمامِ

القاضي محمد بن يحيى بن غالب

أضاءت بك الدنيا وأشرق نورها ... ولاح عليها بشرها وسرورها
وقد ظلمت بالسعد منك سعودها ... كما صلحت بالامر منك أمورها
فكل الى مرآك هزته وحشة ... كما استوحشت غرناطة وقصورها
وبان بأن الحق حفك في العلا ... وبان بكم إفك العداة وزورها
فمن لم يقوم ميله عنك عقله ... تقومه أعجاز القنا وصدورها

بعثت لتأمين البحور جنودها ... بها أمنت كالبر منها بحورها
شواني تحكيها انقضاضا شواهن ... وان صرصرت يوما حكاها صريرها
وان قيل غربان فمن أجل أنها ... نواعب ارواح العدا اذ تغيرها
وان قيل عقبان فغير حقيقة ... والا على التحقيق فهي وكورها
تخطف اذ تنقض كالنجم رجمي ... بغاث العدا عقبانها وصقورها
تجاذبها اجنحها شبها كما ... تواظرها زرق العيون وحورها
لها صفحات الماء مثل صحائف ... وتلك الجواري المنشئات سطورها
ميامين في الاسفار أنى تيممت ... فبالیمن والاقبال يأتي سفيرها

* * * * * * * * * *

آه من لوعتي ومما أعاني ... ضاق صدري بالسر والكتمان
كنت أخفي عن الوشاة الى أن ... فضحتني بدمعها أجفاني
ولئن دام يا خليلي ما بي ... فاحساني بالحب لا شك فان
وتحولي على غرامي دليل ... شاهد بالذي يجن جناني
منذ زمان قد كنت أخفي ولكن ... من تحولي لم يدر مني مكاني
يا فؤادي صبراً عسى من قضى بالبعد يقضي من بعده بالتداني

يا زمانَ الوصالِ هل من رجوعٍ حفظَ اللهُ عهدَ ذاكَ الزمانِ

أين وردٌ وسوسنٌ كنتُ أجني أين شهدٌ رشفتُ من أقحوانِ

بتُّ ليلي والبدرُ فيه نديمي مخجلاً بدرَه ببدرٍ ثانِ

قائلاً للحسّادِ موتوا بغيظٍ نلتُ من أحبُّ كلَّ أمانِ

ولكم بتُّ أرقبُ النجمَ سُهداً ودموعي كالوابلِ الهتانِ

باسطاً لليدينِ أدعو بذلٍ ليس لي بالبعادِ منكَ يدانِ

* * * * * * * * *

القاضي محمد بن يوسف بن الجقالة

أعِدِ التفاتَكَ في الهوى لمتيّمِ ... يشكو النوى من ظالمٍ متظلّمِ
لو كنتَ تسمحُ بالتفاتك ساعةً ... لرأيتَ كيفَ أذابَ حبُّكَ أعظمي
جسمٌ نحيلٌ لو وقفتَ برسمه ... لعرفتَهُ من بعد طول توهم
أخفى الضنى جسدي فصار كأنه ... معنىً خفيٌّ في كلامٍ مبهم
ولنارِ شوقي في الضلوعِ توقّد ... ويزيدها دمعي التهابَ تضرم
وعجبتُ من ضدين كيف تجمّعا ... النارُ تُضرَمُ والمدامع تَنهمي
رحماكَ في دنفٍ أرقّ من الهوا ... رفقاً بمن يهواكَ وارحمْ تُرْحم
يا هاجري يا قاتلي بصدوده ... أحللت لا بالشرع قتلَ المسلم
هذا نجيعي فوق خدّك شاهدٌ ... أَجنَيْتُ حتى حلَّ قتلي أو دمي
إن قلتَ ما في الخدّ غيرُ تورّدٍ ... فدمي عليه لائحٌ كالعندم

سلتْ على قُرْبٍ لحاظك مرهفاً
ورمتْ على بُعْدٍ كرَمي الاسهم

ولقد علمتُ بأنها سفكتْ دمي ... لكن جهلتُ كأنني لم اعلم
واردتُ أخذَ الثأرِ منك فراعني ... من غابةِ الغزلان صولةُ ضيغم
ما كنتُ أطلبُ منكَ ثاراً في دمي ... ان شئتَ قتلي فهو غير محرم
لا ثارَ لي غيرُ الوصولِ وأخذُهُ ... صعبُ المنال على المشوقِ المعدم
يهواكَ الا ما رحمتَ صبابتي ... ونظرتَ من حالي بعينِ ترحم

وصحبتُ أيامي على علاتها وبلوتُها في شدةٍ ورخاءِ
وقطعتُها بالشكرِ في نعمائها ولقيتُها بالصبرِ في الضراء

* * * * * * * *

القاضي يحيى بن السراج بن جلوط

نهـــاك نذيرُ الشيبِ لو كنت ترعوي
وهل بعـــد إنذارِ المشيبِ نذير
الى كم تُرى عن نُصحِ نفسكَ مُعرضاً
وتصغي الى الآمالِ وهي غرور
أرى العمرَ ولّى مُعرضاً عنك فاغتنمْ
بقيَّتَهُ إنَّ البقـــاءَ عسير
وبادرْ الى الطاعاتِ غيرَ مقصّرٍ فأطولُ ايامِ الحيـــاة قصير
إلهي أجرْني من عذابك إنه عذابُكَ محـذورٌ وانت مجير
ولا تُخزني يومَ الحسابِ ونجني بفضلكَ إن الفضل منك كثير
تَدَبَّرتَ الى الصفحِ الجميلِ فجدْ به فأنت به يا ذا الجلال جدير
وَمُنْ يخبري من قبيحِ إساءتي فعبدُك مما قد جنـــاه كسير
فما ضلَّ من آثرتَه رُشدَ نفسِهِ ولا ذلَّ مَنْ والاه منك نصير

* * * * * * * *

القاضي يوسف بن موسى الجذامي المنتشاقري

حباك فؤادي نيلَ بُشرى فأحياكا وجيدٌ بآدابٍ نفائسَ حياكا
بدائعُ أبداها بديعُ زمانه فطاب بها يا عاطرَ الروض رياكا
أُمهِدِ بها اودعت قلبي علاقةً وان لم ازل مُغرىً قديماً بعلياكا
اذا ما اشار العصرُ نحو فريده فـــاياكَ يعني بالاشارة اياكا
لأُتحفَني لقياك أسنى مؤمّلي وهل تحفةٌ في الدهر إلا بلقياكا
واعقبتَ اتحافي فرائدَكَ التي وجوُب ثنائي بالسانيَ اعياكا

* * * * * * * * *

هواكمْ بقلبي ما لِمُحكَمِهِ نسخُ ومن أجلهِ جفني بمدمعه يسخو
ومن نشأتي ما إنْ صحَتْ منه نشوتي سواءٌ به عصرُ الشباب أو الشرخ
عليه حياتي قد تعادت وميتتي وبعثي اذا بالصور يتّفق النفخ
ولي جَلَدٌ أضحى قنيصَ غرامه ولا شركٌ يدني إليه ولا فخ
قتلتُ سلوّي حين أحييتُ لوعتي وما احتيج للإقرارِ في حالتي لطخ
وما صحّ جسمي إذ زكت بيّناته يحولُ عليه من دموع الأسى نضخ
وأرجو بتحقيقي هواكم بأن أفي(٤) بعهدٍ ولا نقضٌ وعقدٍ ولا فسخ
وما الحبُّ إلا ما استقل ثبوتُهُ لمبناهُ رصٌّ في الجوانبِ أو رسخ
اذا مَسلَكٌ لم تستقمْ بطريقه سلكتَ اعتدالاً مثلما يسلكُ الرخ
بدا لضميري من سناكم تلمُّحٌ فَبَخٌ لعقلٍ لم يَطِرْ عندها بَخٌ
على عَوْدِ ذاك العهدِ ما زلت نادباً كما تندبُ الورقاءُ فارقها الفرخ
يدي بأياديكم وقلبيَ شاغلٌ فمن فكرتي نسجٌ ومن أنملي نسخ

* * * * * * * * *

أدبُ الفتى في ان يُرى متيقظاً لأوامرٍ من ربِّـــه ونواهي
وإذا تمسكَ بالهوى يهوي بـــه فالحبلُ منه لمن تيقَّنَ واه

* * * * *

ترى شعروا أني غبطتُ نسَيْمَةَ ذكتْ بتلاقي الروض غبَّ الغمائمِ
كما قابلتْ زَهْرَ الرياضَ وقبَّلتْ ثغورَ أقاحيه بلا لومِ لائم

* * * * *

لوعةُ الحبِّ في فؤادي تعاصتْ أن تُداوى ولو أتى ألفُ راق
كيف يُرْثَى من علةٍ وعليهـــا زائدٌ علةُ النـــوى والفراق
فانسكابُ الدموعِ جارٍ بجارٍ والتهابُ الضلوع راقٍ فراق

* * * * *

يا من بدنيـــاهُ ظلَّ في لجج حَقِّقْ بأنَّ النجاةَ في الشاطي
تطمعُ في إرثكَ الفلاحَ وقـد أضعتَ مـــا قبله من أشراط
كنْ حذراً في الذي طمعتَ به من حَجْبِ نَقْصٍ وَحجب إسقاط

* * * * *

لما تناهى الصب فى تشويقه درر الدموع اعتاضها بعقيقه
متلهفٌ ونـؤاده متلهِّـب كيف البقاءُ مع احتـدام حَريقه
متموِّج بحر الدموع بنجْده أنَّى خلاص يُرتجـى لغريقه
متجرِّع صاب النَّوى من هاجرٍ ما إن يحنُّ لِلاعِجـات مُشُوقه
يُسْبِي الخواطر حُسْنه ببديهه يُصْبِي النُّفـوس جمالُه بأنِيقه
قَيْدُ النواظر إذ يلوح لراميٍ لا تَنْثنى الأحداق عن تَحْديقه
للبدر لمحته كبِشر ضيائه للمسك نَفْحته كنَشْر فَتِيقه
سَكِرت خواطر لاعِجيه كأنَّهم شربوا من الصِّبا كأس رحيقه
عطشوا لثَغر لا سبيل لريقه إلا كلَمْحِهم للَمْعِ بَريقه

ماضرّ مولىً عاشقُوه عبيدَه ... لو رقَّ إشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطباري ما أنا بمُطيقه ... مثل الـسُّلوّ ولا أنـا بمُطيقـه
سجع الحمام يشُوق تَرْجيع الهوى ... فأثار شَجْو مشوقه بمشوقـه
وبكت مديلاً راعهـا تفريقـه ... ويحقُّ أن يبكى أخُو تفريقـه
وبكاء أمثالى حقٌّ لأننى ... لم أقضِ للمولى أكيـد حقُوقه
وغَفَلت فى زمن الشباب المنقضى ... أقبح بنسخ برورِه بعقُـوقه
وبدا المشيب وفيه زجْرُ ذوى النهى ... لو كنت مزدجرا لشيم بروقـه
حَسْبى نَدامة آسـف مما جَنى ... يصل النَّشيج لوزره بشهيقـه
ويَرُم ما خَرم الهوى زمن الصبا ... ويرُوم من مولاه رَتْق فُتوقـه
ويردد الشكوى لديـه تذلُّلا ... علَّ الرِّضا يُحبيه درْك لحـوقه
فَيصُحُّ من سُكر التَّصابى صَحْوه ... نَسْخاً لحكم صُبوحـه بغَبُوقه
لو كنتَ بمِّت التُّقـى وصحبته ... وسلكت إيثاراً سـواه طريقـه
لأفَدْت منه فوائداً وفرائـداً ... عُرضت تُسام لرابح فى سوقه
لله أربـاب القلـوب فإنهـم ... من حِزْب من نال الرِّضا وفريقه
قاموا وقد نام الأنام فنـورهم ... هَتَك الدُّجا بضيائـه وشُروقه
وتأنَّـوا بحبيبهم فلهم بـه ... بِشْرٌ لصدق الفضـل فى تحقيقه
قَصَرت عنهم عندما سبقوا المدى ... ولسابق فَضْـل على مَسْبوقـه
لولا رجاءُ تَلمُّحى من نورهم ... يحيى الفـؤاد بسيره وطـرُوقه
وتأرُّجٌ يُستاف من أرواحهـم ... سببُ انتعاش الرُّوح طيب خلوقه
لَفُتنت من جراء جراءى التى ... من خوفها قلبى حليف خفوقـه
ومنى رجاءُ توسُّل أغْدَدتـه ... ذخراً لصدمات الزمـان وضِيقه
حبٌّ ومَدْحى أحمد الهادى الذى ... فوزُ الأنـام بصِحَّ فى تصديقه
أسْمَى الورى فى منصِب وبمَنْسب ... من هاشم زاكى النِّجـار عريقه
الحقُّ أظهره عقيب خفائـه ... والدِّين نظَّمه لـدى تفريقـه
ونفى هُداه ضلالةً من حائرٍ ... مستوثق بنعوتـه و لحوقه

سبحان مَرْسِله إلينـــا رحمة ... يَهدى ويَهدى الفضل من توفيقه
والمعجزات بدت بصدق رسوله ... وحقيقُه بالمأثـــرات خليقُـه
كالظبي فى تكليمه والجِذْع فى ... تَحْنِينه والبدر فى تَشْقيقـــه
والنَّار إذ خمدت بنـور ولاده ... وأجاجُ ماء قد حَلا من ريقـه
والـــزَّاد قلَّ فـــزاد من بركاته ... فكفى الجيوش بتمْره وسُوَيقـه
ونُبوع ماء الكفّ من آياتـــه ... وسلامُ أحجار غَـــدت بطريقه
والنخل لمَّا أن دعاه مشى له ... ذا سرعة بعروقه و علوقه
والأرض عاينها وقد زُويت له ... فقَريب ما فيها رأى كسَحِيقه
وكذا ذراع الشَّاة قد نطقت له ... نُطْق اللسان فصيُحه وذليقُـه
ورى عِداه بكف حصباء فانثنت ... هرباً كمذعور الجنـان فروقـه
وعليه آيات الكتاب تنزَّلت ... تُتلى بعُلْو جلاله وبسوقـه
فأذيقُ من كأس المحبة صَرْفها ... سبحان ساقيه بها ومُذيقـــه
حـاز الثَّناء ونـاله بعرُوجـه ... جـاز السماء طِباقهـا بخروقـه
ولكَم له من آية من ربِّـــه ... ورعايـــةٍ وعنايـــة بحقوقـه
يا خيرة الأرْسال عنـد إلهـه ... يـا مُحْرز العَلْيـا على مخلوقـه
عَلقَت آمـــالى بجاهـك عدَّة ... والقصد ليس يخيب فى تَعْليقه
ووثقت من حبل اعتمادى عُمْدة ... لتمسُّكى بقَـــويِّه ووثيقـه
ولئن غدوتُ أخيذ ذنبي إننى ... أرجو بقصدك أن أرى كطليقه
وكساد سُوق مذلجأت إلى بابكم ... يقضى حصول نفـوذه ونفوقـه
ويحِنُّ قلبي وهو فى تَغْريبـــه ... لزاره لربَّاك فى تشريقـه
وتزيد لوعته متى حثَّ السُّرى ... حـاد حِـداً بجِمـاله وبنُوقـه
وأرى قَشِيب العمر أمسَى بالياً ... ومرور دهرى جدَّ فى تمزيقـه
وأخاف أن أقضى ولم أقض المُنى ... بنفوذ سهم مَنِيَّـتى ومُرُوقـه

فمتى أحطُّ على اللِّوى رَحْلى وقد ... بَلَغت ركابى لِلْحمى وعقِيقه
وأمرِّغ الخدَّين فى تُرْبٍ غـدا ... كالمِسْك فى أرَج شـذا مَنْشُوقه
وأعيد إنشادى و إنشائى الثَّنـا ... ببديـع نظم قريحـتى ورقِيقـه
حتى أُميـل العاشقيـن تطرُّباً ... كالغُصْن مرَّ صبـاً على مَنْشوقه
وتحيَّةُ التسليم أبلغ شافعى ... وثنا المـديح حديثُه وعتيقُـه
ولذى الفخـار وذى العلى ووزيره ... صِدِّيقه وأخـى الهدى فارُوقه
منى السلام عليهم كالزهر فى ... تأليفهـا والزَّهـر فى تأليفه

* * * * * *

إليك تحن النُّجب والنُّجباءُ ... فهم وهى فى أشواقهم شُركاءُ
تَخُبُّ بركاب تحبُّ وصـولها ... لأرض بها بادٍ سنى وسنـاءُ
فأنفاسها ما أن تنى صعداؤهـا ... وأنفاسهم من فوقهـا سـعداءُ
همُوا عالجوا إذ عجَّل السَّير داءهم ... وأشـباه مثلى مُدْنَفـون بُطـاءُ
لعدت ودونى للحبيب ترحَّلوا ... وما قاعد والراحلـون سـواءُ
له وعليه حبُّ قلبى وأدمعـى ... وقد صحَّ لى حبٌّ وصحَّ بـكاءُ
بطيبة هل أرضى و تبدو سماؤها ... وإن تلك أرضا فالحبيب سماءُ
شَذا نفحها واللَّمح منها كأنَّـه ... ذكاءُ عبير والضِّيـاءُ ذكـاءُ
فيا حاديا غَنِّى وللرَّكب حاديا ... عِنانى بعد البعد عنك عـنـاءُ
ببِلْع فسلْ عما أقاسى من الهوى ... وسَلْ بقِبـاءٍ إذ يلوح قبـاءُ
وفى عالج منِّى بقـلبى لاعج ... فهل لى عـلاج عنده وشـفاءُ
وفى الرقمتين أرقم الشوق لاذع ... ودرياقه أن لو يُبـاح لِقـاءُ
أما كن تمكين وأرضٌ بها الرضى ... وأرجاءُ فيها للمشوقِ رجـاءُ

المصادر و المراجع

* _القرآن الكريم .(رواية حفص عن عاصم)

أولا:المطبوعات

*امرؤ القيس
1_ديوان امرىء القيس، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، 1958م.

*ابن أبي الدّم _شهاب الدين إبراهيم
2_كتاب أدب القضاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ، 1987م.

* ابن الأثير_ضياء الدين
3_المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي ،بدوي طبا نه ،مكتبه مصر ،القاهرة ،طبعة أولى ،1959م

*ابن الأحمر_اسماعيل بن محمد
4_نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ،طبعة ثانية ،1987م
5_نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق محمد رضوان الداية ،دار الثقافة 1967م.

* أنيس _إبراهيم
6_موسيقى الشعر ،مكتبة الأنجلو المصرية ،طبعة ثانية ،1952م.

* بدوي _أحمد أحمد
7_أسس النقد الأدبي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ.

*بدوي _أحمد محمد
8_علامات على خارطة النقد الأدبي ،منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ،1989م.
* البصير _ حسن كامل
9_بناء الصورة الفنية في البيان العربي ،مطبعة المجمع العلمي ، بغداد 1987 م

* بالنثيا _أنخل جنثالث
10- تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، طبعة أولى ،1955م.
* البغدادي
11- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،تحقيق عبد السلام هارون ـ دار الكتاب العربي ـالقاهرة ـ 1969م

* البكري _أبو عبيد
12_ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب ، بيروت ،طبعة ثالثة 1983م .

* البناهي _علي أبو الحسن
13_ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق ليفي بروفنسال ،دار الأفاق الجديدة، بدون تاريخ.

*بهجت _منجد مصطفى
14_ الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دار الكتب للطباعة و النشر ، العراق ،1988م.

*البهوتي _منصور يونس
15_ كشاف القناع عن متن الإقناع ،المطبعة الشرفية ، القاهرة طبعة أولى ، بدون تاريخ .

*التنبكتي _أحمد بابا
16_ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق عبد الحميد الهرامة ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ،1989م.

*التجيبي _القاسم بن يوسف
17_ برنامج التجيبي ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،تونس ،1981م.

* الجاحظ _عمرو بن بحر
18-البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ،القاهرة ،1968م.

*الجرجاني _عبد القاهر بن عبد الرحمن
19_أسرار البلاغة ، تحقيق هلموت ريتر ، دار المسيرة ، بيروت ،طبعة ثالثة ،1983م.

*ابن جعفر _قدامة
20_نقد الشعر ،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،بدون تاريخ

*الحاج _حسين حسن
21_أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت، طبعة ثالثة ،1997م.

*حسين _حمدي عبد المنعم
22_تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين ،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،طبعة أولى،1986م.

*حسين _محمد محمد
23_الهجاء والهجاءون،دار النهضة العربية بيروت ، طبعة الثالثة ،1991 م.

*حمادة_محمد ماهر
24_الوثائق السياسية و الإدارية في الأندلس و شمال أفريقيا ،مؤسسة الرسالة، طبعة ثانية ،1986 م.

*الحصني_أحمد سليم
25_ابن زمرك الغرناطي ، مؤسسة الرسالة ،طبعة أولى ،1985م.

* الحميري_محمد بن عبد الله بن عبد المنعم
26_الروض المعطار في خبر الأقطار ، نشر ليفي بروفنسال ، الجزء الخاص باسم (صفة جزيرة الأندلس)، مطبعة التأليف الترجمة والنشر ، القاهرة ،1973م.

*الخشني_محمد
27_قضاة قرطبة و علماء أفريقيا ، تحقيق عزت العطار ، مكتبة الخانجي،القاهرة ،طبعة ثانية ، 1994م.

* ابن الخطيب_لسان الدين
28_الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، طبعة رابعة ،2001م.
29_أعمال الأعلام فيما بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ،مكتبة الثقافة الإسلامية ،طبعة أولى ، 2004م.
30_الكتيبة الكامنة فيما لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة ،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت 1983م.
31_كناسة الدكان بعد انتقال السكان ،تحقيق محمد كمال شبانة ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف ،دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .
32_اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، طبعة ثالثة ، 1980م.

*ابن خلدون_عبد الرحمن محمد
33_تاريخ ابن خلدون ،دار الكتاب اللبناني ،1968م.
34_مقدمة ابن خلدون ،تحقيق على عبد الواحد وافي ، دار النهضة مصر ، القاهرة ، طبعة ثالثة ،بدون تاريخ .

* الداية_محمد رضوان
35_تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، طبعة ثانية ، 1993م.

* دنون_عبد الواحد
36_دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، المدار الاسلامي ، طبعة أولى ، 2004م.
37_الرحلات المتبادلة بين الغرب الاسلامي والشرق ، المدار الاسلامي ، طبعة أولى ، 2004م.

* الراضي_أحمد أحمد
38_تحفة الخليل في العروض والقافية ،مؤسسة الرسالة ، طبعة ثانية ثم 1975م .

*ابن رشيق _أبو علي الحسن
39_ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، طبعة خامسة ، 1981.

*الركابي – جودت
40_في الأدب الأندلسي ،دار المعارف .

*الزركلي _خير الدين
41_ الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين ،بيروت ، طبعة ثالثة، 1969م.

* الزمخشري _ جار الله محمود
42_أساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1994م

* السامرائي _ إبراهيم ، وعبد الواحد ذنون ، ناطق صالح مطلوب
43_تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، دار الكتب الجديدة ، طبعة أولى ، 2000م.

*السيوطي _جلال الدين
44_ بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، طبعة أولى ، 1956م.

*الشايب _أحمد

45_ الأسلوب ،مكتبة النهضة المصرية ،طبعة سادسة ، 1966م.

*الشكعة _مصطفي

46_ الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ،دار العلم للملايين ، طبعة ثامنة ، 1995م.

*ابن طبا طبا _ محمد أحمد العلوي
47_ عيار الشعر ، تحقيق طه الحاجري ، د.محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى، 1956م. *

*عبد العزيز_ سحر

48_ ملابس الرجال في الأندلس،بحث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ،كلية الآداب ، الإسكندرية

*عتيق _ عبد العزيز

49_الأدب العربي في الاندلس ، دار النهضة العربية للطبعة والنشر، بيروت ، 1976م

50_علم البيان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1974م

*عرنوس _محمود محمد

51_تاريخ القضاء في الإسلام ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، 1943م .

*ابن عزيم _ على بن عزيم الغرناطي

52_مختارات ابن عزيم ، تحقيق د. عبد الحميد الهرامة ، الدار العربية للكتاب ، 1993م .

* العسقلاني _شهاب الدين أحمد

53_الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، تحقيق عبد الوارث محمد على ، منشورات دار الكتب العالمية ، بيروت ، طبعة أولى ، 1997م .

* العسكري _ أبو هلال بن عبد الله

54_كتاب الصناعتين ، تحقيق على محمد البجاوى ، و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، طبعة ثانية ، بدون تاريخ

* عصفور _د. جابر

55_الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1974م .

* عنان _ محمد عبد الله

56_الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، طبعة ثانية ، 1961م .

57_نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2001م

* فرحات _يوسف شكري

58_ غرناطة في ظل بني الأحمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، طبعة أولى 1982م.

* ابن فرحون _ إبراهيم بن نور الدين

59_ تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، المطبعة الشرفية ، مصر ، طبعة أولى ، بدون تاريخ .

60_الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مأمون بن محي الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، طبعة أولى ، 1996م.

*الفيروز آبادي
61_القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

*ابن قتيبة _ عبدا لله بن مسلم
62_الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ .
63_عيون الأخبار ، مجموعة تراثنا ، بدون تاريخ .

*القرطاجني _ حازم
64_منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الاعلامي ، بيروت، طبعة ثالثة ، 1986م.

*القلقشندي _ أحمد بن علي
65_صبح الأعشى في صناعة الانشا، وزارة الإرشاد و الثقافة المصرية ، بدون تاريخ.

*كنون _ عبد الله الحسيني
66_أدب الفقهاء ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ، طبعة أولى ، 1988م.
67_ذكريات – مشاهير رجال المغرب والأندلس ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ.

*الماوردي
68_الأحكام السلطانية ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ، طبعة ثانية ، 1966م .

*المجذوب _ عبد الله الطيب
69_المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، طبعة أولى ، 1955م.

*المرزباني _ محمد بن عمران
70_الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، تحقيق محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1965م .

*المرزوقي _ أبو علي أحمد بن محمد
71_شرح ديوان الحماسة ، تحقيق أحمد أمين ، و عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، طبعة أولى ، 1951م .

*المصري _ زين الدين بن نجيم
72_البحر الرائق في شرح كنز الدقائق ، دار الكتب العربية ، القاهرة بدون تاريخ .

*المقري_أحمد بن محمد
73_نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1969م.

*مليجي_أحمد محمد
74_النظام القضائي الاسلامي، مكتبة وهبة ، طبعة أولى ، 1984.

*ابن منظور_جمال الدين محمد
75_ لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

*ابن منقذ_أسامة
76_البديع في نقد الشعر ، تحقيق أحمد أحمد بدوي ،وحامد عبد المجيد، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، 1960.

*النقراط_علي محمد
77_ابن الجياب الغرناطي ، حياته وشعره ، الدار الجماهيرية للنشر، طبعة أولى ، بدون تاريخ.

*النويري_شهاب الدين أحمد
78_نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، وزارة الثقافة ، طبعة أولى ، 1986م.

*اليراسة_عبد الحميد
79_القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري ، دار الكتاب ، طرابلس ، طبعة ثانية ، 1999م.

*الوادي آشي_محمد بن جابر
80_برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، طبعة ثالثة ، 1982م.

*واصل_نصر فريد محمد
81_السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام، المكتبة التوفيقية، مصر ، طبعة ثانية ، بدون تاريخ .

ثانياً: الرسائل العلمية

*شويدح_سامي كمال
82_العصبية و أثرها في الشعر الاندلسي_من الفتح وحتى عصر ملوك الطوائف – جامعة قاريونس - بنغازي_رسالة ماجستير غير مطبوعة_2000م.

ثالثاً: الدوريات

* غرة- محمد هيثم-
83_شعر الشريف السبتي- مجلة التراث العربي- دمشق- العدد97.

84_ مجلة المورد - كتاب الحروف - المجلد الثالث - 200 - العدد الرابع.

فهرس الموضوعات

المقدمة

الفصل الأول: مملكة غرناطة والقضاء فيها

المبحث الأول: معالم الحياة في مملكة غرناطة

- مملكة غرناطة(اسميا - موقعها - ولاياتها) 1

- الحياة السياسية في مملكة غرناطة 2

- الحياة الفكرية في مملكة غرناطة 10

- ملامح الحياة في المجتمع الغرناطي 16

المبحث الثاني : القضاءوالقضاة في مملكة غرناطة

- المعنى اللغوي للقضاء 19

- المعنى الاصطلاحي للقضاء 20

- مشروعية القضاء في الإسلام 21

- صفات القاضي 23

- خطة القضاء في الأندلس 25

- قضاة الأندلس (عزوفهم عن القضاء - تعليمهم - لباسهم) 28

الفصل الثاني: شعر قضاة مملكة غرناطة

المبحث الأول : ثقافة القضاة وشعرهم 32

- ثقافة القضاة 32

- علاقتهم بالشعر 37

- ضياع و فقدان دواوين بعض القضاة 39

- اختلاف الرواية في شعر القضاة 41

- مقدار ما وصل إلينا من شعر قضاة غرناطة وأهم مصادره 44

المبحث الثاني: أهم أغراض شعر قضاة غرناطة

- المديح النبوي 46

- الغزل 50

- أغراض غزلية 53

- الرثاء 56

- الوصف 59

- المديح 62

- الحكم والنصح 66

- الزهد 69

- الهجاء 71

الفصل الثالث: دراسة فنية لشعر قضاة غرناطة

أولا : الموسيقى 76

المحور الأول : الموسيقى الخارجية 76

1- الوزن 76

2- التصريع 85

3 - القافية 87

المحور الثاني: الموسيقى الداخلية 93

1- استخدام البديع 93

2- التوزيع المتناسب للحروف 97

3- التكرار 99

ثانيا: اللغة 101

1- جزالة الألفاظ 101

2 - رقة الألفاظ وسهولتها 102

3 - الاقتباس من القرآن الكريم 103

4 - الاقتباس من الشعر الشرقي 106

5- ألفاظ غير مناسبة 107

6 - مؤثرات بدوية 108

ثالثا: الصورة الفنية 109

أنواع الصور في شعر قضاة غرناطة

1- الصور التقريرية المباشرة 110

2- الصورة البيانية 111

أ- التشبيه 111

- التشبيه المفرد 111

- التشبيه التمثيلي 113

- التشبيه الضمني 114

ب - الاستعارة 115

رابعا بناء القصيدة 116

- الابتداء والافتتاح 116

- التخلص والخروج 119

- ختام القصيدة 121

الخاتمة 123

ملحق بأهم أشعار قضاة غرناطة 126

فهرس المصادر والمراجع 210